The Islamic University–Gaza
Research and Postgraduate Affairs
Faculty of Arts
Master of History




الجامعـــــــة الإســــلاميــة – غـزة
شئون البحث العلمي والدراسات العليا
كليـــــــــة الآداب
ماجستير تاريـــــــخ

# الثغور الشامية في العهد العباسي الأول

# (132–232هـ/750–847م)

# The Shami Thoghour in the First Abbasid Era (132–232 AH, 750–847 AD)

**إِعدَادُ البَاحِثِ**

**توفيق سلمان فريح حشاش**

**إِشرَافُ**

**الدُكتُور: إبراهيم أحمد حسن أبو شبيكة**

**قُدمَ هَذا البحثُ اِستِكمَالاً لِمُتَطلباتِ الحُصولِ عَلى دَرَجَةِ الْمَاجِستِيرِ**
**فِي التاريخ الإسلامي بِكُليةِ الآداب فِي الْجَامِعَةِ الإسلامِيةِ بِغَزة**

**نوفمبر/2016م – صفر/1438هـ**






الجامعة الإسلامية-غزة

The Islamic University of Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا     هاتف داخلي 1150


الرقم: ج س غ/35/ Ref:

التاريخ: 2017/01/24م Date:

# نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **توفيق سلمان فريج الحشاش** لنيل درجة الماجستير في **كلية الآداب/ قسم التاريخ**، وموضوعها:

**الثغور الشامية في العهد العباسي الأول** (132 - 232هـ/750-847م)

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الثلاثاء 26 ربيع الثاني 1438هـ، الموافق 2017/01/24م الساعة الواحدة، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

| | | |
|---|---|---|
| د. إبراهيم أحمد أبو شبيكة | مشرفاً و رئيساً | .................... |
| أ.د. رياض مصطفى شاهين | مناقشاً داخلياً | .................... |
| د. يوسف إبراهيم الزاملي | مناقشاً خارجياً | .................... |

**وبناءً عليه توصي اللجنة بمنح درجة الماجستير بإذن الله تعالى بعد انقضاء المدة القانونية اللازمة حسب الأصول.**

**والله ولي التوفيق ،،،**

نائب الرئيس لشئون البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. عبدالرؤوف علي المناعمة


+97082644400 +97082644800 public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps iugaza iugaza mediaiug iugaza

P.O Box 108, Rimal,Gaza,Palestine ص.ب 108 الرمال . غزة . فلسطين

**إقـــــــــرار**

**أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:**

# الثغور الشامية في العهد العباسي الأول

# ( 132 - 232هـ / 750 - 847م )

# The Shami Thoghour in the First Abbasid Era (132–232 AH, 750–847 AD)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

## Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

| Student's name: | توفيق سلمان فريح حشاش | اسم الطالب: |
|---|---|---|
| Signature: | | التوقيع: |
| Date: | 2016/11/14 | التاريخ: |

**ملخص الرسالة باللغة العربية**

هدفت الدراسة إلى التعرف على الثغور الشامية في العصر العباسي الأول وعلى أهمية تلك الثغور بالنسبة للجانبين الإسلامي والبيزنطي، وكذلك على شكل الحياة في تلك الثغور في فترة الدراسة، وأخيراً التعرف على الدور الذي لعبته تلك الثغور في مجالات الحياة المختلفة في العصر العباسي الأول.

وقد اعتمد الباحث في كتابته للرسالة على منهج السرد التاريخي.

و خلص الباحث إلى عدة نتائج من أبرزها: أن الثغور اكتسبت أهمية كبرى عند المسلمين لما للرباط فيها من أجر كبير حث عليه القران والسنة المطهرة، وخاصة أن هذا الأجر تلائم من الأهمية الدينية لبلاد الشام.

وقد تنوعت الثغور إلى عدة أنواع منها الثغور البرية ومنها الثغور البحرية ويضاف إليها نوع جديد ابتكره العباسيون ألا وهو العواصم، وقد اهتم خلفاء بني العباس الأوائل بشكل كبير بالثغور، فعملوا على تحصينها وشحنها بالرجال والعتاد، وكذلك قيادة الحملات العسكرية للدفاع عنها، وتسيير الحملات السنوية التي كانت تهدف لإرعاب الروم وردعهم عن أي تعدي عليها.

و كانت الثغور ذات طبيعة اجتماعية واقتصادية وعلمية خاصة نظراً لواقع الحياة الذي كانت تعيشه كونها تحت تهديد مستمر، وإليها نفر من أراد الجهاد والرباط وطلب العلم، ولقد لعبت الثغور دوراً مهماً على مجمل الأحوال في الدولة الإسلامية وعلى شكل العلاقة بين الجانبين، سواءً على الصعيد السياسي أو الحضاري أو العسكري أو الأمني أو الاقتصادي.

ومن أهم التوصيات التي خلص إليها الباحث:

- أن الثغور لم تأخذ حظها من البحث لذا مطلوب من الباحثين الاهتمام بهذا الأمر.
- ضرورة التركيز على الأدوار التي كانت تقوم بها الثغور ففيها الكثير من المعلومات التي تستفيد منها الأمة وخاصة في ظل الظروف التي تعيشها.

# Abstract

**The Shami Thoghour in the First Abbasid Era (132–232 AH, 750–847 AD)**

This study aims at introducing the Shami Thoghour, boarder areas of the Islamic empire, during the First Abbasid Era. This includes importance of these areas for both the Muslims and Byzantines. It also includes how life looked like in these areas, and how they affected the different aspects of life at that period. In this regard, the study used the historical descriptive method.

The study arrived at several conclusions. Most important ones are: Thoghour have a great status in Islam considering the great reward of Ribat, staying for Jihad in these areas as mentioned in Quran and Sunnah. This reward is consistent with the religious importance of the Shami areas.

Thoghour have several types including land and naval ones. This also includes the Capital Thoghour, a type which was invented by Abbasids. The early Abbasid caliphs paid a great attention to Thoghour through fortification, arming, carrying out several military campaigns to protect these Thoghour, and carrying out annual military campaigns to terrify Romans and deter them from attacking them.

Thoghour had a social, economic, and scientific nature considering lifestyle at these areas. This was characterized by a continuous readiness for war, and a continuous accommodation of scholars and fighters. Thus, it is possible to say that Thoghour played a great role in forming the relationship between Muslims and their neighbors, considering the political, civic, military, and economic aspects.

The most important recommendations of the study are:

- Thoghour as a research topic did not receive sufficient attention of researchers. Thus, researchers are required to consider this point.
- It is required to focus on the several roles of Thoghour, which are rich in beneficial stories for the Islamic Ummah, especially in the current hard time and circumstances.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ۝ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }.

[الصف:10–13]

## اْلإهـــدَاْءُ

**إلى المرابطين على ثغور الإسلام**

**على طول الأرض وعرضها...**

**وخاصة على ثغور الشام الجريحة**

**من قضى منهم نحبه**

**ومن ينتظر ..!**

## شكرٌ وتقديرٌ

أشكر الله أولاً وآخراً...

ثم أشكر كل من ساهم معي في انجاز هذا البحث وأخص منهم الدكتور الفاضل إبراهيم حسن أبو شبيكة .. على ما بذله معي من جهد حتى يظهر هذا البحث بهذا الشكل...

ولا أنسى الأستاذ الفاضل غانم الحشاش على ملاحظاته القيمة خلال مراحل كتابة هذا البحث..

ولا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر للأستاذين المناقشين أ. د رياض شاهين، والدكتور يوسف الزاملي على نصائحهما القيمة كي يخرج البحث في أبهى شكل.....

وختاماً.. الشكر كل الشكر للزوجة الغالية التي لم تدخر جهداً في توفير كل أجواء الراحة و المناخ الملائم لإنجاز هذا العمل..

سائلاً المولى عز وجل أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم يوم القيامة

**الباحث**

توفيق سلمان حشاش

# فهرس المحتويات

# المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد بن عبد الله عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم ... وبعد

كان المسلمون وما زالوا هدفاً لأعدائهم المحيطين بهم، والذين يتحينون الفرص الزمانية و المكانية، لسلب ما في أيديهم من أرض أو مال أو قوة، وإن الناظر في تاريخ الإسلام يجد أن فترات القوة والتمكين، تميزت بحكام أخذوا الحيطة والحذر من أعدائهم، وأخذوا بأسباب القوة، وشحنوا حدود دولتهم بالحاميات العسكرية المرابطة على الثغور والمدافعة عنها، وكلما زاد الاهتمام بتلك الحاميات العسكرية المرابطة على الثغور كلما طال عمر الدولة واستمر سلطانها، وإذا ضعف الاهتمام بها أصبحت الدولة في مهب الريح، ونهباً لأعدائها.

ولذلك فنحن أمة الإسلام في حاجة إلى دراسات وأبحاث علمية؛ تكشف لنا عما كان يدور في تلك الثغور، وتوضح لنا ملابسات نشأتها، واهتمامات الخلفاء بها، وشكل الحياة بداخلها، والدور الذي لعبته في مجمل مجالات الحياة في تلك الفترة.

ويأتي هذا البحث ليلقي الضوء على الثغور الشامية الجزرية بنوعيها البرية والبحرية، والمهمة التي قامت بها في الدفاع عن حدود الدولة الإسلامية أمام الأطماع البيزنطية المتواصلة، تلك الحدود التي كانت تشهد حالة صراع متواصل بين المسلمين والبيزنطيين، بدءا من عهد الخلفاء الراشدين مروراً بالعهد الأموي حتى العهد العباسي الأول وما بعده.

لذلك أولى خلفاء بني العباس الأوائل تلك الثغور اهتماماً عظمياً، وعملوا على تعزيزها، وسيروا إليها وعبرها الحملات الحربية المتلاحقة لإنقاذها من أيدي الروم، الذين لم ينفكوا عن مهاجمتها في أوقات ضعف المسلمين، وكذلك لحمايتها من الأطماع الرومية في إعادتها إلى سلطان الإمبراطورية البيزنطية، وبنوا خلفها ما عُرف باسم العواصم، والتي كانت عبارة عن خط دفاع ثان، ومصدر إمداد لتلك الثغور بالرجال والعتاد والمؤن، لذلك كان الدور الذي لعبته الثغور كبيراً كخطوط دفاعية أولى عن حدود الدولة الإسلامية، وأيضاً بؤر انطلاق للحملات العسكرية، وكذلك مراكز لجمع المعلومات والتفاصيل عن بلاد الأعداء، بالإضافة إلى كونها ميادين للتأثير والتأثر بين الجانبين في مجالات الحياة المتعددة.

**أهمية الدراسة:**

- اظهار أهمية الرباط والمرابطين في الإسلام وتحديداً على أرض الشام.
- دراسة الدور الذي لعبته الثغور في بلاد الشام كنقاط احتكاك متواصل مع البيزنطيين، لأخذ العبر والعظات للاستفادة منها في واقعنا الحالي.
- الموضوع لم يأخذ حقه من البحث رغم أهميته.

**أهداف الدراسة:**

- التعريف بالثغور وأهميتها.
- التعرف على أنواع الثغور وتقسيماتها.
- بيان دور الدولة العباسية في تعزيز الثغور في العصر العباسي الأول.
- إبراز أشكال الحياة في الثغور بأنواعها (اجتماعية، اقتصادية، علمية ).
- إظهار الأدوار التي أدتها الثغور من الناحية السياسية والعسكرية والأمنية...إلخ.

**حدود الدراسة:**

- الحدود المكانية: شمال بلاد الشام والجزيرة والساحل الشرقي للبحر المتوسط.
- الحدود الزمانية: العهد العباسي الأول (132-232هـ /750-847م).

**منهجية الدراسة:**

- اتباع منهج السرد التاريخي.
- تقسيم مادة الدراسة إلى عدة فصول كل فصل يتحدث عن موضوع.
- التعريف ببعض الشخصيات والأماكن والمصطلحات الهامة في الدراسة.
- التركيز خلال البحث على الفترة الزمنية موضوع الدراسة ولم يتم التطرق إلى أي من التطورات التي حدثت في منطقة الثغور بعدها.

**تقسيمات الدراسة:**

وجاءت هذه الدراسة في خمسة فصول بعد التقديم وهي مرتبة كالتالي:

الأول: ويتم الحديث فيه عن تعريف الثغور وفضل المرابطة فيها في القرآن والسنة، وخاصة الثغور الشامية بعد التعرف على حدود الشام وأهميتها وفضلها، وكذلك أهمية الثغور ودواعي إنشائها، وتطورها منذ قيام الدولة الإسلامية حتى بداية العصر العباسي.

الثاني: يتناول تقسيمات الثغور في العصر العباسي الأول وكيف انها قسمت إلى ثغور برية شامية وثغور برية جزرية وثغور شامية بحرية، ثم تم التطرق لإقليم العواصم والذي كانت بعض مدنه محسوبة من الثغور حتى عهد الرشيد.

الثالث: تحدث فيه الباحث عن دور الدولة العباسية في تعزيز الثغور، وبعد أن تم التعرف على طبيعة العلاقة بين المسلمين والبيزنطيين في ذلك العصر، تم الحديث عن دور الخلفاء في بناء الثغور وتحصينها، وعن دورهم في شحنها بالرجال والعتاد، وعن قيادتهم للحملات الحربية وتسييرهم للصوائف والشواتي.

الرابع: تطرق فيه الباحث لأحوال الثغور في العصر العباسي الأول، وشمل ذلك الأحوال الاجتماعية من حيث طبيعة السكان وأعراقهم وأديانهم، ثم الأحوال الاقتصادية وكيف كان شكل الزراعة والصناعة والتجارة ، ثم الأحوال الثقافية والعلمية من حيث أشكال الحياة العلمية وعوامل ازدهارها وأبر العلوم التي ظهرت في ذلك العصر وأبرز العلماء.

الخامس والأخير: يتحدث فيه الباحث عن الأدوار التي لعبتها الثغور بداية من الدور السياسي، وكيف أنها كانت ميدان للتنافس الاسلامي البيزنطي وشهدت عدة ثورات أموية وطامعين بالخلافة، ثم الدور الحضاري حيث كان عبرها كان يتم التواصل الحضاري بين الجانبين والتأثير والتأثر، ثم الدور الأمني والعسكري وكيف كانت ميدان للصراع الاستخباري وجمع المعلومات ومنفى للمناوئين وغير ذلك، وانتهاء بالدور الاقتصادي وكيف أنها كانت عبئاً على بيت المال رغم أنها كانت رافداً مهماً له.

ثم تأتي النتائج والتوصيات....

تتلوها الملاحق .....

ثم قائمة المصادر والمراجع...

**معوقات الدراسة:**

واجه الباحث خلال كتابة هذه الدراسة عدة معوقات وصعوبات، من أبرزها:

- قلة المراجع التي تطرقت لهذا الموضوع.
- أغلب الرحالة والجغرافيين عاشوا في الفترة التي تلت فترة البحث، لذلك كانت هناك صعوبة في الحصول على المعلومات الكافية عن أحوال الثغور في تلك الفترة.
- كما كان لظروف الحياة الصعبة التي نعيشها سيما أزمة انقطاع التيار الكهربائي المتكررة دور هام في الضغط النفسي الذي كان يعانيه الباحث خلال إنجاز هذا العمل.

**الدراسات السابقة:**

بعد البحث والتقصي تبين أن بعض الباحثين قد تطرق لموضوع الثغور بصيغة أو بأخرى، وفيما يلي سنستعرض أبرز الدارسات العلمية التي تطرقت لهذا الموضوع، وما هي الجوانب التي تطرقت إليها تلك الدراسات، وفي نفس الوقت سنوضح مدى الاستفادة من تلك الدراسات، وما هي الإضافة التي أضافتها رسالة الباحث في هذا المجال:

- رسالة ماجستير بعنوان: الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية في منطقة الثغور الإسلامية الجزرية الشامية في القرن الثالث الهجري، للباحثة: هيام هاشم أحمد البدرشيني، وذلك لنيل درجة الماجستير من جامعة الملك عبد العزيز، 2002م.

  وقد حصرت الباحثة حديثها عن الثغور في المجالات الثلاثة السابقة، وأغفلت الحديث عن باقي الجوانب، كما أنها ركزت في دراستها على فترة زمنية تختلف عن الفترة التي تحدث فيها الباحث، فهي تحدثت عن القرن الثالث الهجري وأغفلت القرن الثاني والذي شهد تطورات مهمة، كما أنها ركزت في حديثها على الثغور البرية ولم تعطي الثغور البحرية اهتماماً كبيراً بخلاف ما قام به الباحث في دراسته.

  وقد استفاد الباحث من هذه الدراسة في التعرف على بعض المصادر، كما تم اقتباس بعض الآراء للكاتبة حول بعض الموضوعات، وخاصة فيما يتعلق بتقسيمات الثغور والحالة السياسية لها.

- رسالة ماجستير بعنوان: الدور السياسي والحضاري لإقليم الثغور والعواصم وأثرها على العلاقات العباسية البيزنطية (132-334هـ/ 750-945م)، للباحثة عبير عبد الحميد نجم، كلية الآداب جامعة الزقازيق.

وهي دراسة غير منشورة، ولم يتمكن الباحث من الحصول عليها.

إلا أنه يُستنتج من مقدمتها أن الباحثة قد ركزت في دراستها على نماذج من المدن الثغرية ولم تتطرق إلى مجمل الثغور التي تكونت منها المنطقة الثغرية، كما أنها لم تتطرق للثغور البحرية التي كانت جزءاً مهماً من المنطقة الثغرية، وركزت جل دراستها عن مدن إقليم العواصم، مقتصرة في حديثها على الوضع السياسي والحضاري فقط.

- رسالة ماجستير بعنوان: الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الثغور والعواصم الاسلامية على الحدود البيزنطية من 132هـ -656هـ/749م-1258م، للباحثة: نهلة أنيس محمد، جامعة الأزهر، 1991م، وهي دراسة غير منشورة، ولم يتمكن الباحث من الحصول عليها.

ولكن يستشف من عنوان الرسالة أنها تركز على جانبين من جوانب الحياة وتحديداً الاقتصادي والاجتماعي، كما أنها غطت كل فترة الحكم العباسي.

- رسالة دكتوراة بعنوان: جند قنسرين في العصر العباسي حتى قيام الدولة الحمدانية، (132-323هـ/749-944م)، للباحث المهدي عيد الرواضية، الجامعة الأردنية،2012م.

والدراسة تتحدث عن إقليم قنسرين فقط والذي يضم عدد محدود من الثغور، كما أن الفترة الزمنية تختلف عن الفترة التي تهتم بها رسالتنا.

وقد استفاد الباحث من هذه الدراسة التعرف على بعض المصادر، كما تم اقتباس بعض الآراء للكاتب حول بعض الموضوعات.

- رسالة ماجستير بعنوان: الجزيرة الفراتية منذ بداية العصر العباسي حتى نهاية خلافة المأمون 132-218هـ/750-833م، للباحثة: شيرين سليم حمودي، كلية الآداب جامعة دمشق، 2008م.

وقد تحدثت فيها الباحثة عن الجزيرة الفراتية بشكل عام، وتطرقت من خلالها للحديث عن بعض الثغور الجزرية التي تقع على حدود الجزيرة، كما أن الباحثة اقتصرت في دراستها على الفترة الزمنية التي انتهت بانتهاء خلافة المأمون.

وقد استفاد الباحث من هذه الدراسة في التعرف على بعض المصادر، كما تم اقتباس بعض الآراء للكاتبة حول بعض الموضوعات وخاصة حدود الجزيرة الفراتية وعلاقتها بإقليم الشام.

**دراسة مصادر الرسالة:**

بالنسبة لمصادر هذه الرسالة فقد اعتمد الباحث في إعدادها على عدة مصادر أساسية أفادت البحث بصورة مباشرة واستقى منها كم كبير من معلومات الرسالة، وسنستعرض هنا أهمّها:

**أولاً: كتب التاريخ العام والتراجم**

وأُستفيد منها فيما يخص تطورات الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية في مناطق الثغور، وهي كالآتي:

– فتوح الشام، للواقدي محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: 207هـ)، وهو من أقدم المؤرخين في الإسلام، ومن أشهرهم، ومن حفاظ الحديث، وهذا الكتاب ذكر فيه مصنفه تاريخ فتوح الشام بلدًا بلدًا، تناول كل بلد منها مبينًا ما تم في فتحها، وأسماء قوادها، وما حدث في المدن بعد فتحها، ويلاحظ أن المصنف لم يكتف ببلدان الشام، وإنما ذكر فتح العراق، وبعض بلدان مصر، مثل: الإسكندرية ودمنهور والبحيرة.

– التاريخ لخليفة بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (المتوفى: 240هـ)، وهو من أقدم ما أُلف في الحوليات، وتكمن أهمية الكتاب في أن ابن خياط اتبع في مؤلفه على منهج الإسناد والتوثيق، وكان يعد من المشهود لهم بالصلاح والصدق والنزاهة، وقد روت له كتب الحديث العديد من الأحاديث، وعلى رأسها صحيح البخاري، وفي تاريخه يذكر أحداث كل سنة على حده، ويعتبر شاهد عيان على الفترة التي نحن بصدد البحث فيها.

– فتوح البلدان، للبلاذري المتوفى عام (279هـ)، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري، ذكر فيه مؤلفه تاريخ الفتوح الإسلامية بلدًا بلدًا، بداية من دخول النبي صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة، وقصة بناء المسجد، ثم الحقبة التاريخية للخلفاء الراشدين، مستعرضًا أهم الأحداث التاريخية التي وقعت في عصر الخلافة الراشدة، ولعل أهم ما يميز الكتاب ذكره للبلدان(الثغور) التي فُتحت، وأهم الأحداث التي وقعت في تلك البلدان، وذكره كذلك لأهم ما

يميز كل بلد عن الأخرى، وذكره بعض الأبحاث العمرانية والسياسية التي لم يتطرق إليها أي من كتب التاريخ: كأحكام الخراج، والعطاء، والنقود، وغيرها.

– الأخبار الطوال، لأبي حنيفة أحمد بن داود الدينوري (المتوفى: 282هـ)، وهو كتاب يدون تاريخ الأنبياء وتاريخ الإسلام حتى ولاية المعتصم، ولا غنى عنه لأي باحث يبحث في العصر الأول من تاريخ الدولة العباسية.

– تاريخ الطبري المسمى بتاريخ الرسل والملوك، للإمام الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، وهو كتاب تاريخ جمع أحداث التاريخ من أول خلق العالم، وذكر تاريخ الأنبياء والملوك والتاريخ الإسلامي حتى وفاته، فذكر أنه أرخ بعد ذلك للسنوات، وبدأ بالقول في الزمان، وبدأ بذكر قصة آدم، وقصة نوح عليه السلام، وما ورد في ذلك من القصص، ثم أرخ بعد ذلك لتاريخ الفرس وبلاد المشرق التي كانت فيها حضارة قبل مولد النبي عليه الصلاة والسلام، ثم بدأ بعد ذلك بمولد النبي عليه الصلاة والسلام، وما ذكر من إرهاصات وقعت أثناء مولده عليه الصلاة والسلام في بلاد كسرى وفي بلاد قيصر، وبعد ذلك بدأ بسرد التاريخ الإسلامي منذ البعثة النبوية حتى وفاته، وقد كان معاصراً لفترة البحث، وروى الأحداث التي شاهدها، وقد كان الطبري إماماً مفسراً محدثاً ومؤرخاً، وقد ظل يملي كتابه من سنة (290هـ) حتى سنة (302هـ) يعني: لمدة اثنتي عشرة سنة كما ذكر المؤرخون في ترجمته، وتميز الطبري كغيره ممن جاءوا في تلك الفترة أنهم رووا التاريخ بالأسانيد، وبالتحديث والرواية عمن سمعوا منه إلى منتهى أسانيدهم، وأنه كان يجمع كل الروايات في الحادثة الواحدة، وإن اختلفت هذه الروايات، وقد نقل من تاريخه من جاء بعده من المؤرخين كالذهبي وابن كثير.

– مروج الذهب ومعادن الجوهر لأبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (المتوفي حوالي283 –345 هـ) وهو كتاب حول تاريخ العالم، ويبدأ بالحديث عن خلق العالم والتاريخ اليهودي، ونجد في الفصول التالية وصفاً للتاريخ والجغرافيا والحياة الاجتماعية والعادات الدينية للأراضي غير الإسلامية، مثل الهند واليونان وروما، ويشمل العمل أيضًا حسابات المحيطات وحساب تقويمات الأمم المختلفة والمناخ والنظام الشمسي والمعابد الكبيرة، وهناك أقسام مثيرة ونادرة تم تكريسها للغوص بحثاً عن اللؤلؤ في قاع الخليج الفارسي، والكهرمان في شرق أفريقيا، والعادات الهندية لدفن الموتى، والطريق البرية التي تؤدي إلى الصين، والملاحة البحرية ومخاطرها المختلفة مثل العواصف والأعاصير، بالإضافة إلى توضيح خصائص ومواقع البحار.

– تاريخ بغداد للخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: 463هـ)، وهو مؤرخ عربي مسلم، وألف الكثير من المؤرخين بعده كتب مشابهة لهذا الكتاب، مثل تاريخ دمشق (كتاب) لابن عساكر، ولقد تضمن الكتاب أكثر من 7831 ترجمة لحياة العلماء والمفكرين وأعيان البلد ورجال الدولة، وتكمن أهمية كتاب تاريخ بغداد الكبيرة لدراسة بحثنا هو أنه يؤرخ لمدينة بغداد التي كانت عاصمة الدولة العباسية، والتي من خلال معلوماته التاريخية نستطيع أن نصل إلى كثير من الحقائق عن الثغور والسرايا والصوائف وأحوال المناطق المحيطة بها.

– تاريخ دمشق لابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: 571هـ) وهو يضاهي كتاب "تاريخ بغداد" الذي صار نموذجًا للتأليف في تاريخ المدن، يحتذيه المؤلفون في المنهج والتنظيم، وقد استغرق التأليف في تاريخ دمشق وقتاً طويلاً من حياة مؤلفه، وكان عملاً ضخمًا يحتاج إنجازه إلى أعمار كثيرة، وكاد المؤلف ينصرف عن إنجازه وإتمامه، لولا أن خبر هذا الكتاب تناهى إلى أسماع "نور الدين محمود" حاكم دمشق وحلب، فبعث إلى الحافظ ابن عساكر يشحذ همته ويقوي من عزيمته، فعاد إلى الكتاب وأتمه سنة (559هـ /1163م)، ثم قام ولده القاسم بتنقيحه وترتيبه في صورته النهائية تحت بصر أبيه وعنايته، حتى إذا فرغ منه سنة (565هـ/1169م) قرأه على أبيه قراءة أخيرة، فكان يضيف شيئاً، أو يستدرك أمرًا فاته، أو يصوب خطأً، أو يحذف ما يراه غير مناسب أو يقدم موضعًا أو يؤخر مسألة، حتى أصبح على الصورة التي نراها الآن بين أيدينا، وتكمن أهمية الكتاب في أنه احتوى على جميع الأحداث العسكرية والسياسية في دمشق وبلاد الشام وثغورها، وقد اختصر تاريخ دمشق لابن عساكر المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: 711هـ).

– الكامل في التاريخ، لابن الأثير (المتوفي: 630هـ)، وهو كتاب تاريخ جامع لأخبار ملوك الشرق والغرب وما بينهما، وأتي فيه ابن الأثير بالحوادث والكائنات من أول الزمان، متتابعة يتلو بعضها بعضاً إلى وفاته، وهو كتاب قد جمع ما لم يجتمع في كتاب واحد، وقد جمعه من عدة مصادر منها تاريخ الطبري.

– بغية الطلب، وزبدة الحلب في تاريخ حلب، لكمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ابن العديم الحلبي الحنفي، (المتوفى: 660هـ)، وهما يتحدثان عن تاريخ مدينة حلب والمناطق المحيطة بها منذ ما قبل الإسلام إلى وفاته، والمؤرخ ابن العديم لم يقتصر فيهما على تاريخ حلب

فقط بل سجل تاريخ الشام والعراق ومصر، من خلال الحوادث والعلاقات التي كانت لمدينة حلب مع تلك البلاد والمناطق المحيطة بها، شمالاً وشرقاً وغرباً والحصون والمدن والقرى والقلاع الحدودية، روماً وصليبيين وأتراكاً وأكراداً وعرباً ومسلمين ومسيحيين، وصوّر في تاريخه الواقع الزراعي والاجتماعي والصناعي لتلك المناطق، ولذا فهما مصدرين هامّين من مصادر الرسالة.

– تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للإمام الذهبي؛ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، وهو من أهم الكتب الموسوعية الضخمة التي صنفها المؤرخون المسلمون، وهو كتاب تاريخ وتراجم معًا، منذ بدء الإسلام حتى نهاية عصر المؤلف في منتصف القرن الثامن، وهو من أشهر ما ألف للإمام الذهبي وأكبرها، وكما يظهر من عنوانه فهو رصد للتاريخ الإسلامي، بداية من الهجرة النبوية وحتى سنة 1300م/700هـ مبنياً على 70 طبقة (أي 700سنة حسب التقويم الهجري)، تلك الفترة التي نشأت فيها حضارة جديدة اتسعت جغرافيا شرقاً وغرباً، وشهدت أحداثاً كثيرة وثقها الذهبي مع تراجم للمشهورين (بلغ عددهم أربعين ألف شخصية) في كل ناحية من نواحي الحياة، الشيء الذي ميزه عن باقي الكتب، كما يعتبر كتابه هذا من أهم الكتب الموسوعية الضخمة التي صنفها المؤرخون المسلمون ويعتبر كتابه هذا كتاب تاريخ وتراجم معاً وبهذا يختلف عن الموسوعة الضخمة الأخرى للمصنف ،المعروفة باسم سير أعلام النبلاء.

– الوافي بالوفيات لصلاح الدين الصفدي، ( 696- 764 هـ/ 1296 – 1363 م): وهو من أوفى الكتب المؤلفة في تراجم الرجال، ويحوي 30 مجلداً، وقد استفاد الباحث من سيرة الأعلام التي وردت في هذا الكتاب.

– البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ/1372م)، وهو مصدر مهم لأن ابن كثير اعتمد في عرض المادة التاريخية على التلخيص والاختصار والنقل بالمعنى من المصادر، وجرّد تاريخه من كثير من الروايات الضعيفة والتي لا يعول عليها، واستوعب في تاريخه ما جاء في الحوادث عند المؤرخين قبله، ثم سردها ملخصاً على لسانه في سياق واحد متماسك، مع الإشارة والإحالة على مصادره التي استقى منها معلوماته، واهتم بذكر جميع الأحداث التاريخية التي وقعت ومنها أحداث الدولة العباسية، وهو كتاب تاريخ يذكر أحداث كل عام، واستعان به الباحث في التعرف على البعوث والصوائف في الثغور، و أفاد من الأحداث التي جرت في زمن الدولة العباسية فترة البحث.

**ثانياً: كتب الجغرافيا والبلدان**

وأستفيد منها في الحصول على المعلومات الهامة عن مدن الثغور ومواقعها، وخاصة عن مواقع الأمكنة والمدن والقرى، وهي كالآتي:

– البلدان، لأحمد اليعقوبي أبو العباس أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبي (المتوفى: بعد 292هـ)، وُلد في بغداد وقضى بعض حياته في أرمينيا وخراسان ثم هاجر إلى الهند والمغرب ومصر، توفي في مصر سنة 284هـ (897 م) وفي روايات أخرى عام 284هـ أو 298هـ، وينتمي لطبقة الكُتاب، وقد قامت شهرته على أثرين من آثاره هما: كتاب تاريخ ابن واضح أو تاريخ اليعقوبي؛ وفيه تحدث عن تاريخ الشعوب ما قبل الإسلام وتاريخ الإسلام حتى سنة 258هـ (872 م)، وكتاب البلدان، وتحدث فيه عن كبريات المدن في بلاد الإسلام.

– المسالك والممالك، لأبي القاسم عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة (المتوفى في حدود 300هـ)، وهو كتاب اعتمد عليه في منهجه الجغرافي الكثير من علماء الجغرافيا التالين له، أمثال ابن الفقيه، وابن رستة، وابن حوقل، والمقدسي، والجيهاني، والمسعودي، وذكر فيه مسالك الأرض وممالكها وصفتها وبعدها وقربها وعامرها وغامرها، والمسير بين ذلك منها من مفاوزها وأقاصيها، ورسوم طرقها، على ما رسمه المتقدّمون منها، وتم الإستفادة منه في تحديد أماكن الثغور وحدودها.

– الخراج وصناعة الكتابة لقدامة بن جعفر (المتوفي بعد سنة 325هـ)، والذي تحدث فيه عن دواوين الدولة، ودواوين البريد والسكك والطرق، ونواحي المشرق والمغرب، ودراسة جغرافية الأرض، وتكلم عن وجوه الأموال، وشؤون المجتمع الإنساني، وأسباب قوته وعوامل ضعفه وتدهوره وانحطاطه، ونظم الحكم في البلاد، وما ينبغي للحكم وما يجب عليهم، وهو مصدر مهم وتم الاستفادة منه في تحديد أماكن الثغور وحدودها كذلك.

– المسالك والممالك، لأبي اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري، المعروف بالكرخي (المتوفى: 346هـ)، وهو من مؤسسي علم الجغرافيا في العالم الإسلامي، وهو كتاب يتحدث عن أقاليم وممالك بلاد الاسلام بتفصيل مدنها وتقسيماتها، وتم الاستفادة منه في تحديد أماكن الثغور وحدودها أيضاً.

– صورة الأرض، محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، أبو القاسم (المتوفى: بعد 367هـ)، والذي تحدث في كتابه عن مشاهداته في أرجاء العالم الإسلامي شرقه وغربه، من نهر السند حتى

المحيط الأطلسي، بما فيها بلاد الشام حيث تقع الثغور، حيث تحدث عن تلك الأقاليم التي لم يذكرها أحد ، وذكر مدنها وجبالها وأنهارها وبحارها والمسافات بينها.

– المسالك والممالك المشهور بالعزيزي للحسين بن أحمد المهلّبي (المتوفى سنة 380هـ) وهو أي المهلّبي رحّالة لا يشق له غبار، وصل إلى أقاليم لم يسبقه أحد إليها، وقد نقل ابن العديم عن المهلّبي مقاطع مهمة تتعلق بحلب والثغور الشمالية قبل سقوطها نهائياً في يد البيزنطيين أواسط القرن الرابع الهجري، كما نقل ياقوت ياقوت في معجم البلدان عن كتاب المهلّبي أكثر من ثلاث وخمسين مرة، ونقل عنه أبو الفداء في تقويم البلدان احدى وعشرين مرة ، وتتصف معلومات المهلّبي بدقتها بالنسبة للمسافات بين المدن والأقاليم، وجدّتها حيث يبدو مصدراً وحيداً لبعض المواضع، وسعتها حيث يذكر مصادر المياه وعادات الناس وأحوالهم وزروعهم ومحاصيلهم، ومن خلال وصف المهلّبي، نستطيع أن نكوّن فكرة شبه كاملة عن التاريخ الاجتماعي، والتركيبة السكانية للثغور الإسلامية الشمالية قبيل سقوطها، كما أن الكتاب يحفل بمعلومات جديدة حول دمشق، وبيت المقدس وحلب وأنطاكية وغيرها من المدن التي وصلتنا مقاطع مسهبة عنها، ما يؤشر إلى غنى وسعة معلوماته، والتي لم تغب عن ابن العديم، الذي نوّه إلى أن في «العزيزي» ما لا يوجد في غيره.

– أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، لشمس الدين بن أحمد، أبو عبد الله الشاهي المعروف بالبشاري المقدسي (المتوفي:381هـ) وقد ذكر فيه الأقاليم الإسلاميّة وما فيها من المفاوز والبحار، والبحيرات والأنهار،، ووصف أمصارها المشهورة، ومدنها المذكورة،، ومنازلها المسلوكة وطرقها المستعملة، وذكر المشاهد والمراصد والخصائص والرسوم لكل بلد، والممالك والخدود، والصنائع والعلوم.

– معجم ما استعجم من أسماء المواضع والبلاد و كتاب المسالك والممالك لأبى عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: 487هـ)، والأول هو معجم لغوىّ جغرافىّ، يصف جزيرة العرب، ويصف ما بها من المعالم والمشاهد، والبلدان والمعاهد، والآثار، والمناهل والموارد، ويتتبّع هجرة القبائل العربية من أوطانها، واضطرابها في أعطانها، وتردّدها بين مصايفها ومرابعها، ومباديها ومحاضرها، ويذكر أيامها ووقائعها، وأنسابها وعشائرها، والثاني هو كتاب بلدان يصف فيه مواقع المدن وطرقها وأماكنها، وهما لا غنى عنهما لأي باحث يبحث في المواقع والأمكنة.

– نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، للإدريسي محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس المعروف بالشريف الإدريسي(المتوفى: 559هـ)، أمضى في جمعه وترتيب مادته قرابة الخمسة عشر عاماً، وقد رسم فيه خريطة كروية شاملة للعالم، قسمها إلى سبعة أحزمة عريضة فوق خط الاستواء، وقد اشتملت مقدمته على ذكر هيئة الأرض، وقسمتها بأقاليمها وذكر البحار بمبادئها وانتهاءها وأحوازها وما يلي سواحلها من البلاد والأمم.

– معجم البلدان لياقوت ياقوت (المتوفي سنة 626هـ)، وهو من أهم المصادر التي تحدثت عن الأماكن والتعريف بها، وقد أفاد الباحث كثيراً في التعريف بأغلب المواقع والمدن، وأماكن الثغور الواردة في رسالة البحث، وقد اختصره صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي (ت 739) في كتاب أسماه مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع.

– الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة لابن شداد( المتوفي:684هـ)، وهو كتاب في تاريخ دمشق وخططها، وجغرافية إقليم الشام.

– نهاية الأرب في فنون الأدب، لأحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: 733هـ)، وهو كتاب موسوعة شاملة في جميع المجالات ويقع في ثلاثة وثلاثين جزءاً.

– مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، لأحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين (المتوفى: 749هـ) وهو كتاب موسوعي أيضاً في جميع المجالات، ويتناول الممالك الإسلامية في مملكة الهند وبلاد المغول ، ومملكة إيران، ومملكة بلاد الروم، ومملكة مصر والشام والحجاز، والمناطق الحدودية والطرق والمسالك ومواقع المدن.

كما وتم الاستعانة ببعض المراجع الحديثة والمهمة، والتي كان لها أهمية كبيرة في إمداد الباحث بمعلومات قيّمة عن الثغور بشكل خاص، وعن الدولة العباسية بشكل عام، من أبرزها:

– دولة بني العباس للدكتور شاكر مصطفى، وهو من جزئين ويتحدث فيه عن التاريخ السياسي للخلافة العباسية، والمشاكل الداخلية التي تعرضت لها الإمبراطورية، وكذلك الصراعات التي حدثت بين الدولة العباسية والبيزنطيين، وهذا المرجع أفاد الباحث في العديد من موضوعات البحث.

– خطط الشام للدكتور محمد بن عبد الرزاق بن محمَّد، كُرْد عَلي، والذي يتحدث فيه عن بلاد الشام وحدودها وأوضاعها، منذ قبل الإسلام وحتى عصرنا الحالي، وقد استفاد منه الباحث في الكثير من المعلومات، وخاصة المتعلقة بالتقسيمات والأماكن.

– بلدان الخلافة الشرقية، للكاتب الأجنبي كي ليسترنج، وتحدث فيه عن كل البلدان التي تتكون منها الخلافة الإسلامية في حينه بما فيها الثغور، وقد تمت الاستفادة منه في تحديد أماكن وماهية بعض الثغور.

وسيجد القارئ لهذه الرسالة الكثير من المصادر والمراجع غير التي ذكرناها جمعت منها المعلومات، وأفاد منها البحث.

# الفصل الأول

# تعريف الثغور، فضائلها، نشأتها، أهميتها وتطورها

**المبحث الأول: تعريف الثغور**

الثغور هي كلمة لها دلالاتها اللغوية والاصطلاحية، ولتوضيح معناها فإننا سنشرع في تعريفها لغة واصطلاحاً، ثم بعد ذلك نوضح المفهوم العام لمصطلح الثغور، مع التطرق لبعض المصطلحات المرتبطة بهذا المفهوم.

**أولاً: الثغور لغة واصطلاحاً**

أ-**الثغور لغةً:** الثغور جمع مفردها ثغر، وهي كل فرجة في جبل أو بطن واد أو طريق مسلوك[1]، والثغرة تعني الثلمة، يُقال: ثغرناهم أي سددنا عليهم الثلم، والثغر هو المكان الذي يلي دار الحرب، وأيضاً يوصف الفم بالثغر[2].

كما جاءت بمعنى إنبات الأسنان أو سقوطها، فيقال:" أثغر الغلام إذا نبتت ثغره، واثّغَر إذا ألقى أسنانه"[3]، وأيضاً يُقال:" ثُغر الصبي إذا سقطت أسنانه، واثَّغَر إذا نبتت بعد السقوط" [4].

ب- **الثغور اصطلاحاً:** الثغر، بالفتح ثم بالسكون، وهو كل موقع قريب من أرض العدو[5]، وهي موقع المخافة من فروج البلدان[6]، وهي المواضع الخطيرة من الحدود والتي يتسنى للعدو التسلل منها بسهولة إلى أرض عدوه، ولهذا تجب حراستها والعناية بها، بوضع حاميات بها؛ لتشغل العدو ولتصده من الولوج إليها[7].

أو هي المواضع التي تلي دار الحرب أو التي تكون حداً بين بلاد المسلمين والكفار[8]، وتكون على الحدود المواجهة للعدو، وتشحن عادة بالمقاتلة وتخزن فيها المواد الغذائية والأسلحة، ويكون

---

[1] ابن منظور، لسان العرب (ج103/4).
[2] المصدر السابق، (ج104/4).
[3] ابن دريد، جمهرة اللغة (ج421/1).
[4] ابن فارس، معجم مقاييس اللغة (ج379/1).
[5] ياقوت، معجم البلدان (ج79/2).
[6] ابن سيده، المحكم (ج483/5).
[7] جواد علي، المفصل (ج323/9).
[8] ابن منظور، لسان العرب (ج104/4).

واجبها الأساس هو مواجهة الخطر الخارجي الموجه من قبل الأعداء[1]، كما يُطلق على المدينة المقامة على شاطئ البحر ثغراً[2].

ويورد قدامة بن جعفر في كتابه "الخراج" تفصيلاً للثغور الإسلامية حيث جعلها ثلاثة أقسام: برية مواجهة لبلاد العدو (الروم)[3] من ناحية البر فقط، وبحرية تواجهه من ناحية البحر فحسب، والثالثة يجتمع فيها الأمران، فهي برية بحرية، يحارب المرابطون فيها الأعداء عن طريق البر والبحر[4].

**ثانياً: المقصود بالثغور**

ويُقصد بالثغور في هذا البحث هي مجموعة القلاع والحصون التي أقيمت على جبهات المواجهة مع الروم على طول حدود بلاد الشام سواء كانت البرية أو البحرية، وهي على هيئة خطوط دفاعية للتصدي لغارات الروم المتكررة على دار الإسلام، طيلة مدة الصراع بين الطرفين، وتمتد من ملطية من أعالي الفرات إلى طرسوس على بحر الروم[5]، فيما يطلق عليها: " الثغور البرية"، ومن طرسوس حتى رفح فيما يطلق عليها: "الثغور البحرية"، وهي مراكز لحشد الجيوش وتنظيمها والانطلاق بها للجهاد صوب بلاد الروم صيفاً وشتاءً[6].

---

[1] اليوزبكي، الثغور ودورها (ص ص 10-11).

[2] معلوف، المنجد في اللغة والأعلام (ص 70)

[3] لفظ الرومي أو الروماني كانت ترادف عندهم كلمة " النصراني"، سواء كان من اليونان أو اللاتين، وصارت لفظة الروم بعد ذلك اسماً لأقرب الأقاليم النصرانية من بلاد الإسلام، ومن ثم صار" الروم" اسماً لآسية الصغرى عند العرب وهي البلاد العظيمة التي كانت تقابل بلاد الشام والعراق من الشمال. ليسترنج، بلدان (ص 159).

[4] قدامة، الخراج (ص 185).

[5] خليج من البحر المحيط يبدأ من بين الأندلس و طنجة ثم يمتدّ على سواحل المغرب حتّى ينتهى إلى أرض مصر، ويمتدّ على أراضي مصر حتّى ينتهى الى أرض الشام ممتدًّا عليها ثمّ يعطف بناحية الثغور فيدور على بلد الروم من أنطاكية وما قاربها، ثمّ يصير غربي البحر الى خليج القسطنطينيّة ويعبره ثمّ يمتدّ على سواحل اثيناس ثمّ على سواحل رومية، ثمّ يمتدّ على قرب إفرنجة فيصير البحر حينئذ جنوبيّا ويكون على ساحله إفرنجة الى ان يتّصل بطرطوشة من بلاد الاندلس ويمتدّ على البلاد التي وصفناها في صفة الاندلس حتّى يحاذى البصرة بجزيرة جبل طارق ثمّ يمتدّ على البحر المحيط الى شنترين وهى آخر بلاد الاسلام على هذا البحر من جانب بلد الروم. الاصطخري، المسالك (ص 68)، ابن حوقل، صورة الأرض (ج190/1).

[6] العسلي، فن الحرب (ج223/1).

وتعتبر الثغور منطقة محفوفة بالمخاطر بين الدولتين بسبب تعرضها الدائم للإغارة، واحتوائها على الدروب والمنافذ التي تسلكها الجيوش المحاربة من الطرفين، ولعل أول من ثبت هذه الفكرة عند المسلمين هو الخليفة معاوية بن أبي سفيان، والذي تولى إمارة الشام في بداية العصر الإسلامي حيث قام بإقامة نطاق من التحصينات، على شكل حاميات عسكرية دائمة في المعاقل الأمامية والممرات الجبلية على تخوم الدولة البيزنطية، والتي عرفت باسم الثغور[1].

وكانت تلك المواقع تشحن بقوات تكون على أهبة الاستعداد، واجبها حماية الحدود والوقوف بوجه العدو، وتعطيل تقدمه حتى تصبح القوات الرئيسية جاهزة لمواجهة العدو بكل ثقلها، وقد زاد من أهمية تلك المواقع سيطرة المسلمين على البحر المتوسط، فمنعوا بذلك البيزنطيين من تهديد بلاد الشام براً أو بحراً[2].

ويتضح من وضع المسلمين للثغور على تخوم بلادهم ما كان لديهم من نضج عسكري، فقد كانت تُقام على أبواب الطرق متحكمة في أماكن اقتراب العدو، وكانوا يراعون في ذلك أن تكون بعيدة عن البحار قدر الإمكان، وأن تكون قريبة من الصحراء التي يحسنون القتال فيها، وأن تكون محصنة بثنيات الأنهار ومنعطفات الجبال أو بالخنادق التي كانوا يحفرونها أو بغيرها من الموانع الطبيعية أو المصطنعة التي تضمن لمواقعهم ميزة استراتيجية ملحوظة[3].

وقد تبودلت تلك القلاع والحصون بين المسلمين والروم، فكان الفريقان فيها بين مدٍّ وجزر[4]، كما أن تلك الأماكن لم تكن ثابتة، فقد تندفع باتجاه العمق البيزنطي أو تنكمش تبعاً لقوة الطرفين وضعفهما وعلى طول زمن الصراع[5].

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان (ص184)، طقوش، تاريخ الدولة الأموية (ص 30).

[2] الطبري، تاريخ الرسل (ج373/3)، ابن مسكويه، تجارب الأمم (ج290/1)، العلي، امتداد العرب (ص ص 109-110).

[3] ملا علي، النشاط العسكري (ص 122).

[4] ياقوت، معجم البلدان (ج93/2).

[5] ابن الفقيه، البلدان (ص 161).

وتقع تلك الثغور ومن ورائها العواصم[1] ما بين أنطاكية على الساحل الشامي، حتى البلدة الصغيرة على سيف الصحراء عند ضفة الفرات اليمنى بالس، وحتى مدينة أبعد قليلاً نحو الشمال في منطقة زراعية هامة هي منبج، ثم حتى مدينة أبعد شمالاً هي سميساط[2].

فالثغور إذاً هي الأماكن التي يُخاف على أهلها من أعداء الإسلام، وهي التي تشرف على بلاد العدو من بلاد المسلمين، والمرابط هو المقيم فيها المعد نفسه للجهاد في سبيل الله، والدفاع عن دينه وإخوانه المسلمين وليصد عنهم عاديات أعدائهم.

**ثالثاً: مصطلحات مرتبطة بمفهوم الثغور**

ارتبط بمفهوم الثغور العديد من المصطلحات والتي كانت معروفة زمن الدراسة والتي من أبرزها:

أ. الأربطة (جمع رباط) وهي المواقع الحصينة التي يرابط بها المجاهدون، وتشحن بالذخيرة وتشبه مراكز المراقبة والنقاط الحدودية، وقد وجدت بين الثغور البرية ولكن معظمها كان يقع على الحدود البحرية على ساحل بحر الروم، وتمتد من بين طرسوس حتى أقصى جنوب فلسطين تحسباً من تعرض سواحل بلاد الشام لأغارات الروم البحرية، وكان يرابط بها المتطوعة وطالبي الجهاد والمتصوفة وغيرهم[3].

ب. المنارات والمناظر والمراقب وهي التي يكون فيها أقوام يراقبون العدو لئلا يطوقهم على غفلة، فإذا رأوه أعلموا أصحابهم ليتأهبوا[4]، والمنارات تركز وجودها في السواحل، أما المناظر (جمع منظرة ونظيرة ونظورة) والمراقب (جمع مرقب) فهي المواقع التي تقام في رؤوس الجبال أو يبنى لها على رؤوس الجبال، ويوضع فيها الناظرين والرقباء لمراقبة العدو والإشراف على الطرق[5]، ومهمتهم مناظرة العدو وحراسته ليتقوا غدره وشره، فإذا أراد الغارة أرسلت "المنظرة"

---

[1] انظر الفصل الثاني من البحث .

[2] مصطفى، دولة بني العباس (ج327/2).

[3] المرجع السابق، ص 298.

[4] ابن منظور، لسان العرب (ج487/2).

[5] مصطفى، دولة بني العباس (ج299/2).

رسالة تحذير للتهيؤ لصد العدو، والظاهر أن اتخاذ المناظر في المواضع العالية المشرفة، هو الذي جعل علماء اللغة يفسرون المناظر بأنها أشراف الأرض لأنه ينظر منها[1].

ت. المسالح والمرابطون فيها يسمون المسلحة، وأحدهم مسلحي، وسموا بذلك لأنهم كانوا ذوو سلاح أو لأنهم يرابطون في المسلحة، وكان يُجمع بها السلاح والرجال الذين يحفظون المواضع ويكون عددهم ما بين المائتين إلى الألفين، ويوكل إليهم مراقبة العدو وتحسس أخباره لئلا يغزوهم على غفلة منهم، وقد كانت كنقاط تعبوية دفاعية اتخذتها القوات الإسلامية بسبب سعة حدودها وانكشافها، مما يتحتم إنشاء مثل هذه المراكز، التي تتبدل مواضعها وقوتها حسب مصادر الأخطار والخطط التي تضعها قيادة تلك القوات[2].

أو هي الخطوط الأمامية من خطوط الدفاع عند بلد ما، ونقاط الأمان فيها، ومحل جمع المعلومات عن تحركات ونيّات العدو، بها حاميات مقيمة وظيفتها الأولى الاستطلاع وإخبار الجيش بقدوم عدو ما، ومشاغلته إلى وصول القوات المدافعة الكبيرة[3].

ث. المطامير (جمع مطمورة) وهي عبارة عن كهوف أرضية انتشرت في المنطقة الحدودية بين بلاد الروم وشمال الشام، وكان يلجأ إليها الناس هرباً من ويلات الحرب، وكانت تستخدم للتحفظ على الأسرى، وقد اشتهرت في العصر العباسي حتى أطلق على تلك المنطقة اسم المطامير أو ذات المطامير[4].

ج. الدروب (جمع درب) وهي المضايق والممرات التي تمر بين الجبال، والتي كانت تربط بين شمال بلاد الشام وبلاد الروم، أو هي المنافذ إلى آسيا الصغرى أو طريق الإفرنج من أوروبا إلى الشام على طريق البر[5].

ح. الضواحي وهي المناطق الحدودية التي يتركها الطرفان خالية، وينقلون السكان منها لتبقى كمناطق عازلة[6].

---

[1] جواد علي، المفصل (ج323/9).

[2] ياقوت، معجم البلدان(ج385/5)، مصطفى، دولة بني العباس (ج299/2).

[3] جواد علي، المفصل، (ج323/9).

[4] الواقدي، فتوح الشام (246/2)، مصطفى، دولة بني العباس (ج299/2).

[5] السمهودي، وفاء الوفاء (ج83/2)، كرد علي، خطط الشام (ج248/1).

[6] مصطفى، دولة بني العباس (ج299/2).

**المبحث الثاني: فضائل الثغور والرباط في القرآن والسنة.**

إن لحماية الثغور والرباط فيها له فضائل كبيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية، والرباط هنا يعني ملازمة ثَغْرِ العدو، كأنهم رُبطوا هناك، فثبتوا به ولازموه[1]، أي أن يربط هؤلاء خيولهم في الثغر، ويربط الكفار أيضاً خيولهم، كل يُعد لصاحبه، ثم سُمي المقام بالثغر (رِباطًا)[2]، وأهم هذه الفضائل ما يلي:

**أولاً: في القرآن الكريم**

لقد تضمن القرآن الكريم آيات كثيرة تحث على الجهاد والرباط في سبيل الله عموماً، وعلى حماية الثغور والمرابطة فيها بشكل خاص، وتجعل لهؤلاء المرابطين أجراً عظيماً في الدنيا والآخرة، ومن تلك الآيات على سبيل المثال لا الحصر:

يقول عز وجل في كتابه الحكيم: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ۝ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ۝ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ "[3].

ويقول تعالى داعياً المؤمنين لمقاتلة أعداء الله من المشركين: " وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ" [4].

ويكرر الله عز وجل دعوته لهم بأن يهبوا للنفير والجهاد قائلاً: " انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" [5].

---

[1] ابن فارس، المقاييس (ج478/2).

[2] النيسابوري، التفسير البسيط (ج274/7).

[3] [ الصف: 10-13].

[4] [ التوبة: 36].

[5] [ التوبة: 41].

ويفاضل الله سبحانه وتعالى بين المجاهدين والقاعدين فيقول: " لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا۝ دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا"[1].

وفي موضع آخر يؤكد الحق تبارك وتعالى دعوته للمؤمنين بالصبر والمصابرة والمرابطة في القتال ضد الأعداء، يقول الله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"[2].

والمرابطة في سبيل الله تعالى تعني ملازمة ثغر العدو واليقظة والانتباه لكل محاولة قد يقوم بها الأعداء لمهاجمة حدود المسلمين أو الاعتداء عليهم، وهي تنزل من الجهاد والقتال منزلة الاعتكاف في المساجد من الصلاة بل تفضلها، لأنّ المرابط يقيم في وجه العدوّ متأهّبا مستعدّا، حتى إذا أحسّ من العدوّ بحركة أو غفلة نهض فلا يفوته ولا يتعذّر عليه، كما أن المعتكف يكون في موضع الصلاة مستعدّاً، فإذا دخل الوقت وحضر الإمام قام إلى الصلاة[3].

هذا بالإضافة إلى عدد كبير من الآيات، التي تحث المؤمنين على بذل الأموال والأنفس في سبيل الدفاع عن حمى الإسلام، ورد عادية الكفار عن ديار المسلمين وعن أنفسهم وأموالهم وذراريهم.

**ثانياً: في السنة النبوية**

فإذا كان القرآن الكريم قد حث في كثير من آياته على الجهاد والبذل والتضحية في سبيل الله، والتي كانت حماية الثغور والرباط فيها من أجل وأعظم أعمال ذلك الجهاد، وجعل لمن يفعل ذلك أجراً عظيماً في الدنيا والآخرة، فإن السنة النبوية المطهرة قد اشتملت على الكثير من الأحاديث النبوية والآثار التي تحث المسلمين على الجهاد والرباط في سبيل الله وعلى السهر على حماية ثغورهم من الأعداء.

---

(1) [ النساء: 95- 96].

(2) [ آل عمران: 200].

(3) النويري، نهاية الأرب (ج199/6).

ومن هذه الأحاديث والآثار ما يلي:

فعن سهل بن سعد رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها"[(1)].

وعن سلمان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتان"[(2)].

عن أنس بن مالك قال : سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أجر الرباط فقال: " من رابط ليلة حارساً من وراء المسلمين كان له مثل أجر من خلفه ممن صام وصلى"[(3)].

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " كل عمل منقطع عن صاحبه إذا مات، إلا المرابط في سبيل الله ،فإنه ينمى له عمله ويجري عليه رزقه إلى يوم القيامة"[(4)].

وعن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " من رابط يوماً في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار سبع خنادق كل خندق كسبع سموات وسبع أرضين"[(5)].

وعن السمط بن عبد الله، عن سلمان، أنه كان في جندٍ من المسلمين فأصابهم حصر وضر، فقال سلمان لأمير الجند: ألا أخبرك بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون عوناً لك على هذا الجند؟ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من رابط يوماً أو ليلةً

---

[(1)] الطبراني، مسند الشاميين 350/4، رقم الحديث 3528.

[(2)] ابن ماجه، سنن 61/4، رقم الحديث 2767.

[(3)] الطبراني، المعجم الأوسط 90/8، رقم الحديث 8059.

[(4)] الطبراني، مسند الشاميين 185/2، رقم الحديث 1158.

[(5)] الطبراني، المعجم الأوسط 111/5، رقم الحديث 4825.

في سبيل الله كان كعدل صيام شهرٍ وصلاته الذي لا يفطر، و لا ينصرف إلا لحاجة ومن مات مرابطاً في سبيل الله أُجري له أجره حتى يقضي الله بين أهل الجنة والنار"[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان في الرباط ففزعوا إلى الساحل، ثم قيل: لا بأس، فانصرف الناس، ووقف أبو هريرة، فمر به إنسان فقال: ما يوقفك يا أبي هريرة ؟ فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " موقف ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود"[2].

وعن واثلة بن الأسقع عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من سن سنةً حسنة فله أجرها ما عمل بها في حياته وبعد مماته، ومن سن سنة سيئة فعليه إثمها حتى يترك، ومن مات مرابطاً في سبيل الله جرى له أجر المرابط حتى يبعث يوم القيامة "[3].

وعن فضالة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله، فإنه ينمي له عمله إلى يوم القيامة ويؤمن من فتنة القبر"[4].

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من مات مرابطاً في سبيل الله أجري عليه عمل الصائم وأجري عليه رزقه وأمن الفتان ويبعثه الله يوم القيامة آمناً من الفزع الأكبر"[5].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "عينان لا تمسهما النار: عين بكت خشية من الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله"[6].

وعن عثمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها"[7].

---

[1] ابن أبي شيبة، المصنف 337/5، رقم الحديث 19842.

[2] ابن حبان، صحيح 463/10، رقم الحديث 4603.

[3] الطبراني، المعجم الكبير 74/22، رقم الحديث 184.

[4] أحمد، المسند 589/28، رقم الحديث 17359.

[5] البزار، المسند 110/15، رقم الحديث 8405.

[6] الترمذي، السنن 227/3، رقم الحديث 1639.

[7] أحمد، المسند 363/1، رقم الحديث 461.

**ثالثاً: في أقوال العلماء والفقهاء**

أولى الفقهاء الثغور في مصنفاتهم الفقهية اهتماماً خاصاً، فذكرها لا يكاد يخلو من أي كتاب يصنف في أبواب الجهاد، ولا تكاد تنظر في فقه الجهاد إلا وتجد ذكر الثغور وحمايتها والمرابطة فيها، وقد حثوا على حمايتها والمرابطة فيها، ففي فصل مهام الخليفة ومسئولياته جعلوها من واجبات الإمام عن طريق تحصينها بالعدة المانعة والقوة الدافعة، حتى لا يظهر الأعداء بقوتهم على المسلمين، فينتهكون حرماتهم ويسفكون دمائهم ودماء معاهديهم[(1)].

وفي فصل اختيار الأصلح من الولاة، يقرر الإمام الماوردي: أن الأشجع أحق، وخاصة إن كانت الحاجة إلى فضل الشجاعة أدعى لانتشار الثغور وحمايتها[(2)].

فعن زياد بن أبي سفيان[(3)] أنه قال: "أربعة لا يليها إلا المسن الذي قد عض على ناجذه: الثغر والصائفة والشرط والقضاء"[(4)]، حتى أن إياس بن معاوية[(5)] والذي يُضرب فيه المثل في الذكاء والدهاء كان يقول: "لابد للناس من ثلاثة، لابد لهم من أن تُأمن سبلهم، ويُختار لحكمهم حتى يُعدل الحكم فيهم، وأن يُقام بأمر الثغور بينهم وبين عدوهم، فإن هذه الأشياء إذا قام بها السلطان، احتمل الناس ما كان سوى ذلك من إثرة السلطان وكل ما يكرهون"[(6)].

وينبغي على الإمام أن يبتدئ بترتيب قوم في أطراف البلاد يكفون من بإزائهم من المشركين، ويأمر بعمل حصونهم، وحفر خنادقهم، وجميع مصالحهم، ويؤمّر في كل ناحية أميراً،

---

(1) الماوردي، الأحكام السلطانية (ص 22).

(2) المصدر السابق، ص 26.

(3) هو زياد بن أبي سفيان "الأمير" ويقال: زياد بن أبيه وزياد بن سمية- وهي أمه- كان مع علي وولاه على فلسطين، فلما قتل علي ولاه معاوية العراق، فاشتد على شيعة علي بها، وعسف أهل العراق بالجور، وقد أصيب بالجذام في يده، وتوفي زياد سنة 53هـ في خلافة معاوية. (ابن كثير، البداية والنهاية ج 8/ 61).

(4) اليعقوبي، تاريخ (ج235/2).

(5) إياس بن معاوية بن قرة المزني قاضي البصرة المشهور بالذكاء يكنى أبا واثلة روى عن سعيد بن المسيب وأبيه معاوية وأبي مجلز ونافع وعنه ابن عجلان وشعبه وحماد بن سلمة وغيرهم ثقة مات سنة 122هـ. (ابن سعد، الطبقات الكبرى ج175/7)..

(6) ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج19/10).

يقلده أمر الحروب، وتدبير الجهاد، ويكون ذو رأي وعقل ونجدة وبصر بالحرب ومكايدة العدو، ويكون فيه أمانة ورفق ونصح للمسلمين، وإنما يبدأ بذلك، لأنه لا يأمن عليها من المشركين[1].

وفي أبواب دفع الزكاة أجازوا نقل الزكاة لأهل الثغور، والصرف في عموم مصالحهم التي منها أرزاق الجيش، وتحصين الثغور، وبناء الجوامع والقناطر[2]، وقرروا أن معنى الكفاية في الجهاد أن ينهض للجهاد قوم يكفون في قتالهم، بحيث يتوفر جند في الثغور يدفعون العدو عنها وتحصل المنعة بهم[3].

وجعلوا من معاني الرباط الإقامة بالثغر، مقوياً للمسلمين على الكفار، ويخيف العدو ويخافهم، وأن الرباط دفع عن المسلمين، وعن حريمهم، وقوة لأهل الثغر ولأهل الغزو[4]، وبينوا بأن أفضل الرباط المقام بأشد الثغور خوفاً؛ لأنهم أحوج للمسلمين، والمقام به أنفع[5].

واستحبوا لأهل الثغر أن يجتمعوا في مسجد واحد لصلواتهم كلها، ليكون أجمع لهم، وإذا حضر النفير صادفهم مجتمعين، فيبلغ الخبر جميعهم، وإن جاء خبر يحتاجون إلى سماعه، أو أمر يُراد إعلامهم به، يعلمونه، ويراهم عين الكفار، فيعلم كثرتهم فيخوف بهم، ومن أراد من أهل الثغر أن يشتري فرساً ليحمل عليه، فيستحب شراؤها من غير الثغر، ليكون توسعة على أهل الثغر في الجلب[6].

ويفرع ابن قدامة مسألة في الكافر يغزو مع الإمام بإذنه، فيبين أن من العلماء من أجاز للإمام أن يسهم له كالمسلم، وذكر أنه قول الأوزاعي، والزهري، والثوري، وإسحاق، ونقل عن الجوزجاني أن ذلك هو مذهب أهل الثغور، وأهل العلم بالصوائف والبعوث[7].

---

[1] ابن قدامة، المغني (ج166/9).

[2] الماوردي، الأحكام السلطانية (ص 260).

[3] ابن قدامة، المغني (ج162/9).

[4] المصدر السابق (167/9).

[5] المصدر نفسه ص 168.

[6] المصدر نفسه، ص ص 169- 179.

[7] المصدر نفسه، ص 207.

وقرروا أنه تقام الحدود في الثغور؛ لأنها من بلاد الإسلام، والحاجة داعية إلى زجر أهلها، كالحاجة إلى زجر غيرهم[1]، وأن من نذر أن يهدي إلى غير مكة، كالمدينة، أو الثغور، أو يذبح بها، لزمه الذبح، وإيصال ما أهداه إلى ذلك المكان[2].

مما سبق يتبين لنا أهمية شأن الثغور، وكيف أنها من الأعمال الجليلة التي يُختار لها من يشغلها بعناية، وأنها من أولى أوليات الأئمة ومن تصدر لقيادة الناس، هذا بالإضافة إلى الأجور العظيمة لمن رابط في سبيل الله و حرس ثغور المسلمين ولو لمدة قصيرة، والرباط المطلوب هو ربط الإنسان نفسه في ثغر، يتوقع فيه نزول العدو، وذلك بنية الجهاد أو الحراسة، أو تكثير سواد من فيه من المسلمين، وكلما كان الخوف أشد في مكان كان الرباط فيه أفضل والثواب أجزل.

---

(1) ابن قدامة، المغني (ج248/9).

(2) المصدر السابق (ج79/10).

**المبحث الثالث: حدود الشام وفضائلها وأجر المرابطة فيها**

وقبل الحديث عن فضائل الشام وفضل المرابطة فيها، لابد لنا أن نتعرف على المقصود ببلاد الشام ولماذا سميت بهذا الاسم وما هي حدودها..

**أولاً: حدود بلاد (إقليم) الشام**

يرجع تسمية الشام – بفتح أوله، وسكون همزته أو فتحها، ولغة ثالثة بغير همز– إلى عدة أوجه منها: أنها مأخوذة من اليد الشؤمى، وهي اليسرى؛ لأنها عن يسار الكعبة[1]، ومنها: أن قوماً من كنعان نزلوها فتشاءموا إليها فسميت شاماً لذلك، ومنها: أنها سُميت شاماً لما تشاءم لها أهل اليمن من يمنهم كما يقال تيامنوا وتياسروا فسميت لذلك[2].

و أيضاً من الأوجه التي من المتوقع أن الشام سميت شاماً بسببها أن أرض الشام مختلفة الألوان بالحمرة والبياض والسواد، فسمي شاماً لذلك كما يسمى الخال في بدن الإنسان شامة، أو سميت الشام شاماً لكثرة قراها وتداني بعضها من بعض فشبهت بالشامات[3].

ويُقصد ببلاد الشام تلك المنطقة الواقعة بين جبال طوروس من الشمال، والبحر الأبيض المتوسط من الغرب، وبادية الشام وشبه الجزيرة العربية من الشرق والجنوب الشرقي، وخليج العقبة وصحراء سيناء من الجنوب والجنوب الغربي[4].

وتأخذ بلاد الشام شكل المستطيل، ضلعه الطويل ذو اتجاه شمالي جنوبي، وضلعه القصير ذو اتجاه شرقي وغربي، وطوله يعادل ثمانية أمثال عرضه، وقُدرت مسافة الشام من الشمال إلى الجنوب بمسير حوالي خمسة وعشرين يوماً تقريباً[5].

---

(1) العيني، عمدة القاري (ج82/1).

(2) البدري، نزهة الأنام (ص 13).

(3) المقدسي، أحسن التقاسيم (ص 152)، ياقوت، معجم البلدان (ج312/3).

(4) حتى، تاريخ سوريا ولبنان (ج1/ص ص63-64) .

(5) ابن الجوزي، تقويم البلدان (ص 236).

ويبلغ أقصى عرض للشام بالشمال حيث يبلغ عشرُ مراحل[1] كاملة[2]، وأقصر عرض له في الوسط يبلغ ثلاث مراحل[3]، أما جنوباً فقدر البعض عرضه بست مراحل، بينما قال البعض الآخر أنه أربع مراحل[4].

وينتهي الحد الجنوبي لبلاد الشام عند مدينة رفح[5] حيث اعتبرها اليعقوبي هي الحد الفاصل بين الشام ومصر[6]،بينما رأى ياقوت أن مدينة غزة هي آخر مدن الشام من جهة مصر[7]، ورأى ابن خرداذبة أن حدود الشام الجنوبية تنتهي عند شجرة ما بين العريش ورفح[8]، وقال ابن حوقل أن آخر حدود الشام ممّا يلى مصر رفح[9].

---

(1) مراحل جمع مرحلة: وهي وحدة قياس قديمة للمسافات والمرحلة عبارة عن ثمانية فراسخ والفرسخ: ثلاثة أميال عباسية، فتكون مسافة المرحلة 24 ميلاً، وأصح ما قيل في الميل: إنه ثلاثة آلاف وخمسمائة ذراع آدمي، وهي من رأس أطول أصبع في اليد إلى نهاية عظم المرفق( من ذراع الآدمي المعتدل الخلقة) والذراع على ما نُرجِّحه = 0.48م، فالمسافة كلها: 48×3500×0.48=80.640 كم، ومن ذلك يتَّضح أن المرحلة الواحدة =40.320كم، والفرسخ =5.40كم والميل =1.680كم. هنتس، المكاييل( ص 94)، مجلة الرسالة الإسلامية - بغداد، العدد 12 من السنة 23، 1400هـ-1981م.

(2) ابن الجوزي، تقويم البلدان (ص 236).

(3) المقدسي، أحسن التقاسيم ( ص 190) .

(4) الاصطخري، المسالك والممالك (ص43) .

(5) منزل في طريق مصر بعد الداروم، بينه وبين عسقلان يومان للقاصد مصر، تقع إلى الجنوب من غزة بستّة عشر ميلاً، فتحها عَمْرو بن العاص، حيث صالح أهلها على أن أعطاهم الأمان عَلَى أنفسهم وأموالهم ومنازلهم وعلى أن الجزية عَلَى رقابهم والخراج عَلَى أرضهم، وهي عامرة فيها سوق وجامع ومنبر وفنادق، وأهلها من لخم وجذام، وهناك منقطع رمل الجفار. ياقوت، معجم (ج54/2)، اليعقوبي، البلدان (ص167)، البلاذري، فتوح (ص140)، المهلبي، المسالك والممالك، (ص93)، ابن حوقل، صورة (ج144/1) .

(6) اليعقوبي، تاريخ (ج230/3) .

(7) ياقوت، معجم البلدان (ج202/4) .

(8) ابن خرداذبة، المسالك والممالك (ص 83) .

(9) ابن حوقل، صورة الأرض (ج165/1).

وهذا الكلام أكده الاصطخري عندما تحدث عن الحد الجنوبي لبلاد الشام حيث ذكر أن الحد الجنوبي من جهة مصر يبدأ من رفح وينتهي بأيلة[1]على ساحل بحر القلزم[2] من جهته العليا[3].

وبالتالي فإن الحد الجنوبي لبلاد الشام يمتد من رفح حتى أيلة، ويقابلها مصر وصحراء سيناء، ومن الشرق يمتد حدها من أيلة إلى الفرات، ومن الشمال يمتد من الفرات حتى بحر الروم ( البحر الأبيض المتوسط) ويقابلها بلاد الروم ومما يلي الثغور[4].

أي أن الشام كانت تضم الرقعة التي تشغلها الآن سوريا ولبنان والأردن وفلسطين، فبلاد الشام كانت بقعة جغرافية واحدة على مدى تاريخ طويل، ولم يتم تقسيمها سياسياً إلى أربع دول إلا بفعل الاستعمار الأجنبي في أعقاب الحرب العالمية الأولى 1914-1918م، وكان أول جغرافيين أعطيا للديار الشامية وحدة جغرافية واحدة هما: الإصطخري (ت321هـ/933م)، ثم المقدسي (ت 380هـ/990م) إذ عنون الإصطخري الفصل الخاص بالشام بقوله: (أرض الشام )، أما المقدسي فقد استعمل (إقليم الشام) قاصداً بذلك أنه وحدة جغرافية واحدة[5]، ومن أمهات مدنه منبج، حلب، حماة، حمص، دمشق، وبيت المقدس، ومن سواحلها: عكا، صور، عسقلان، وغير ذلك[6].

وما دمنا تحدثنا عن حدود بلاد الشام فلابد أن ننوه إلى أن هنالك إقليماً يرتبط ببلاد الشام ارتباطاً كبيراً، حتى أن الكثير اعتبره من بلاد الشام – سيأتي بيان ذلك في الفصل الثاني- يطلق عليه لفظ اقليم الجزيرة وهو الذي عناه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله الذي نقله عنه

---

[1] مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام، وقيل: هي آخر الحجاز وأول الشام، وهي مدينة أيلة جليلة على لسان من البحر الملح وبها مجتمع حج الفسطاط والشام، وهي قريبة من مدينة العقبة اليوم. ياقوت، معجم البلدان(ج292/1)، كرد علي، خطط الشام (ج9/1).

[2] شعبة من بحر الهند، أوله من بلاد البربر والسودان ثم يمتد مغرباً، وفي أقصاه مدينة القلزم قرب مصر، وبذلك سمّي بحر القلزم، ويسمى في كل موضع يمرّ به باسم ذلك الموضع، فعلى ساحله الجنوبي بلاد البربر والحبش، وعلى ساحله الشرقي بلاد العرب، فالداخل إليه يكون على يساره أواخر بلاد البربر ثم الزّيلع ثم الحبشة، ومنتهاه من هذه الجهة بلاد البجاء، وعلى يمينه عدن ثم المندب. ياقوت، معجم البلدان( ج344/1) .

[3] المسالك والممالك (ص 55).

[4] المرجع السابق، ص 43، ابن حوقل، صورة الأرض (ج153/1).

[5] خماش، الشام (ص ص 37–40).

[6] ياقوت، معجم البلدان (ج311/3)، ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع (ج755/2).

الصحابي الجليل أبي الدَّرْدَاء رضى الله عنه حيث قالَ: "أهل الشام وأزواجهم وذرياتهم وعبيدهم وإمائهم إلى منتهى الجزيرة مرابطون في سبيل الله، فمن احتل مدينة من المدائن فهو في رباط، ومن احتل منها ثغراً من الثغور فهو في جهاد"[1].

ويقصد بالجزيرة تلك المنطقة الشمالية الخصبة من العراق بين نهري دجلة والفرات وتمتد إلى منطقة الدروب عند سلاسل جبال طوروس، كما تمتد إلى جبال فارس[2]، وقد أطلق العرب اسم الجزيرة على شمال منطقة ما بين النهرين لأن أعالي دجلة والفرات كانت تكتنف سهولها، إلا أن هذا التعريف لا يضع تحديداً دقيقاً لإقليم الجزيرة من الناحية الإدارية، خاصة وأنه كانت توجد إلى شرق نهر دجلة وإلى غرب الفرات مدن وقرى تعتبر من أعمال الجزيرة، مع أنها كانت تقع خارجها مما يعني أن دجلة والفرات لم يكونا يشكلان حداً إدارياً لتلك المنطقة[3].

ويحدد بعض الجغرافيين العرب حدود إقليم الجزيرة في تلك الفترة بأن حدودها من جهة الجنوب تمتد من حديثة العراق إلى تكريت، ثم تصعد باتجاه الشمال الغربي لتشمل كل البلاد التي تقع على ضفة دجلة الشرقية، حتى أن بعضهم يدخل مدينة أربيل في أعمال الجزيرة مع أنها ليست قريبة من دجلة[4].

كما يدخل بعضهم مدينة السن التي تقع على مصب نهر الزاب على جانب دجلة الشرقي ضمن حدود الجزيرة[5]، ومن جهة الشمال يلحقون به مدن آزون وميافارقين[6]، إنما من ناحية الغرب فإن حدودها تبدأ من ملطية وتسير مع الفرات حتي تلتقي بحدود العراق[7].

---

[1] الطبراني، مجمع الزوائد (مج 60/10)

[2] حمودي، الجزيرة الفراتية (ص 25).

[3] خفاجي، النظم الإدارية (ص 27).

[4] ياقوت، معجم البلدان (ج138/1).

[5] ابن خرداذبة، المسالك والممالك (ص 72).

[6] ميافارقين: أشهر مدن وأمهات أمصار ديار بكر من الجزيرة الفراتية بالقرب من مدينة آمد قصبة ديار بكر، يتبع لها مجموعة من القرى والبساتين والضياع والحصون منها ما هو روماني ومنها ما هو محدث في العهد الإسلامي. ابن حوقل، صورة (ج1/٢٠٢)، ياقوت، معجم (ج235/5)، ابن شداد، الأعلاق(ج251/3).

[7] الدوري، تاريخ العراق (ص 6).

ويرى بعض الباحثين أن البلاد التي تقع على الضفة الغربية للفرات مثل عانا وبالس وسميساط كانت من أعمال الشام، وإن اعتبرها البعض الآخر من أعمال الجزيرة[1]، وقد بنوا رأيهم هذا على أساس جغرافي والذي يجعل من نهر الفرات الحد الغربي لإقليم الجزيرة في حين لم يعتد مخالفوهم بهذا الأساس الجغرافي، بل اعتمدوا التنظيم الإداري الذي يتبع الوضع السياسي، ويذهب كثير من الباحثين إلى عدم التعويل على التنظيم السياسي المؤقت الذي يرتبط بولاية وال أو حكم أمير كشاهد على التنظيم الإداري، وفي نفس الوقت الذي لا يعولون فيه على الحدود الطبيعية من أنهار وجبال وغيرها كأس دائم لترسيم حدود فاصلة بين أقاليم الدولة[2].

ومن هنا يذهب أولئك الباحثون إلى اعتبار المدن التي تقع مباشرة إلى الغرب من نهر الفرات وإلى الشرق من نهر دجلة مدناً تتبع إقليم الجزيرة، وأنها كانت تمثل الحد الإداري لإقليم الجزيرة وليس نهر الفرات أو دجلة[3].

وقد اشتمل اقليم الجزيرة في عهد الدولة العباسية على ثلاثة أقسام رئيسة سميت بأسماء القبائل العربية الشهيرة التي سكنتها وهي: ديار بكر، ديار مضر وديار ربيعة، أما ديار بكر فهي أصغر الأقسام الثلاثة، وتقع في المنطقة التي يسقيها نهر دجلة من منبعه وحتى منطقة تل فاقان قرب حصن كيفا مع ما يقع في شمالها من أرض تسقيها روافد نهر دجلة المتعددة، وكانت قصبة هذا القسم هي مدينة آمد[4] وأهم كور ديار بكر ميافارقين، آزرن، وحصن كيفا[5].

وتقع ديار مضر إلى الجنوب الغربي من إقليم الجزيرة وتشمل الأراضي المحاذية لنهر الفرات من سميساط إلى عانة قرب حدود إقليم العراق بالإضافة إلى السهول التي يسقيها نهر

---

[1] ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية (ص 135).

[2] خفاجي، النظم الإدارية والمالية (ص 26).

[3] المرجع السابق، (ص 26).

[4] مدينة قديمة محصنة كانت تعرف باسم (نيكرانوسيرت)، وهي قصبة ديار بكر وتعرف اليوم باسم ديار بكر في تركيا، بنيت من الحجارة السوداء، تقع على نهر دجلة وتشكل في بنائها هلالاً حول دجلة، تكثر فيها العيون والينابيع والآبار والبساتين، وتكثر فيها الشعاب والوديان. ابن حوقل، صورة (ج210/1)، ياقوت، معجم (ج56/1)، ابن شداد، الأعلاق (ج253/3).

[5] المقدسي، أحسن التقاسيم (ص 137).

البيلخ الآتي من طران، وقصبة هذا القسم مدينة الرقة، ومن كور ديار مضر حران، الرها، باجروان، سروج، قرقيسيا، عانة، جسر منبج، بالس و سميساط[1].

وأما ديار ربيعة فتقع إلى الشرق من ديار مضر وتتألف من الأراضي التي تقع شرق نهر الخابور الكبير، والأراضي التي تقع إلى الشرق من نهر الهرماس[2] بالإضافة إلى الأراضي التي تقع على ضفتي دجلة وإلى الشرق منه، لتشمل سهول أنهار الزاب الأسفل والزاب الأعلى ونهر الخابور، وأهم كور هذا القسم نصيبين[3]، طور عبدين، بلد و كورة رأس العين[4].

**ثانياً: أهمية بلاد الشام**

نظراً لأهمية بلاد الشام ومكانتها فقد قسمها المسلمون إلى أجناد[5]، ولم يطلق هذا اللفظ إلا على بلاد الشام[6]، ففي عهد الخلافة الراشدة زمن الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وفي خطة عسكرية محكمة قُسمت بلاد الشام إلى أربعة أقسام حسب أهمية مراكزها، ووجه على رأس كل قسم منها أحد أبرز قادته العسكريين، حيث سمى بلاد حمص لأبي عبيدة بن الجراح، ودمشق ليزيد بن أبي سفيان، والأردن لشرحبيل بن أبي حسنة، و فلسطين لعمرو بن العاص[7].

وقد كان هذا الأمر خصيصاً لبلاد الشام دون غيرها من بلاد مصر أو المغرب أو العراق، فقد احتوي كل جند من تلك الأجناد على عدد من الكور، و تضم تلك الكور عدداً من المدن،

---

(1) ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية (ص132).

(2) يسمى أيضاً نهر الخابور، يصب أسفل مدينة قرقيسيا والتي تقع على الجانب الشرقي لنهر الفرات. الادريسي، نزهة المشتاق (ج657/2).

(3) نصيبين: بالفتح ثم الكسر ثم ياء علامة الجمع: مدينة عامرة من ديار ربيعة وهي قصبتها من بلاد الجزيرة، تقع على طريق القوافل بين الموصل والشام تكثر فيها البساتين، بينها وبين الموصل مسير ستة أيام، يحيط بها سور لحمايتها.(ابن حوقل، صورة الأرض191/1، ياقوت، معجم 288/5، ابن شداد، الأعلاق 124/3).

(4) ليسترنج، بلدان الخلافة، (ص115).

(5) الأجناد مفردها جند، وهم الأعوان والأنصار، والجند هي العسكر، ويجيء ذلك في قولهم: جند قنسّرين، وجند فلسطين، وجند حمص، وجند دمشق، وجند الأردنّ، فهي خمسة أجناد، وكلّها بالشام، وقد اختلفوا في الأجناد، فقيل سمّى المسلمون كل واحد من أجناد الشام جنداً، لأنه جمع كورا، والتجنّد على هذا التجمّع، وجنّدت جندا أي جمعت جمعاً. ابن منظور، لسان العرب(ج1/ص ص512–513)، ياقوت، معجم (ج38/1).

(6) ياقوت، معجم البلدان (ج38/1).

(7) البلاذري، فتوح البلدان (ص 133).

ولكل جند من تلك الأجناد قصبته- أي عاصمته أو مركزه-[1]، وأجناد الشام الأربعة هي: جند دمشق ومركزه مدينة دمشق، جند فلسطين وقصبته اللد ثم الرملة، جند الأردن وقصبته طبريا، جند حمص وقصبته حمص[2].

وكان الهدف من فكرة تقسيم الشام إلى أجناد في العهد الراشدي هو تنظيم الحياة الإدارية في الجند ليسهل مراقبته من الأجهزة الإدارية العليا في الدولة، كما أنه هدف عسكري يمثل دفاع كل جند عن منطقته لتحقيق الأمن والاستقرار فيه، إضافة إلى أنه هدف اقتصادي يتمثل في الخراج المجبي من تلك الأجناد[3].

وأيضاً من الضرورات الإدارية التي أوجبت تقسيم الشام إلى أجناد، أن الساحل الشامي طويل، ومهدد من قبل البيزنطيين، كما أن وسائل الدفاع البحرية غير كافية في ذلك الوقت، فكان من الضروري إيجاد مراكز عسكرية متعددة لكي يتمكن كل جند من الدفاع عن المدن الساحلية التابعة له، وتتعاون الأجناد فيما بينها لصد أي عدوان قد تتعرض له المدن الساحلية[4].

وفي العصر الأموي أُضيف لأجناد الشام الأربعة جند خامس وهو جند قنسرين[5]، فحسب البلاذري أن الذي فصل قنسرين عن حمص هو يزيد بن معاوية وأضاف لها أنطاكية ومنبج[6]، وأما الطبري فيقول أن الذي جند قنسرين هو معاوية بن أبي سفيان حين أرسل إليها من أتاه من العراقيين من أهل الكوفة والبصرة في أيام الخليفة علي بن أبي طالب رضى الله عنه[7].

---

[1] المقدسي، أحسن التقاسيم (ص 154)، خماش، الشام في صدر الإسلام (ص 217).

[2] الاصطخري، المسالك والممالك (ص ص 56-60)، المقدسي، أحسن التقاسيم (ص ص154-155).

[3] البلاذري، فتوح البلدان (ص 142)، خماش، الشام في صدر الإسلام (ص215).

[4] المرجع السابق، ص 215.

[5] مدينة بالشام، بينها وبين حلب اثنا عشر ميلاً وفيها كان قبر هشام بن عبد الملك ، فتحت على يد أبي عبيدة سنة 17هـ، وكانت هي و حمص شيئا واحداً، سميت قنسرين لأن ميسرة بن مسروق العبسي مرّ عليها فلما نظر إليها قال: ما هذه؟ فسميت له بالرومية، فقال: والله لكأنّها قنّ نسر فسميت قنسرين. ياقوت، معجم (ج403/4).

[6] فتوح البلدان (ص 134).

[7] تاريخ الرسل والملوك (ج161/4).

وفي عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان قام بإخراج الجزيرة من جند قنسرين وجعلها جنداً مستقلاً، لتكون منطقة عسكرية دفاعية، حيث أقام القلاع والتحصينات وتجهيز العساكر وذلك بعد بدء الروم في تهديد بلاد المسلمين وشنهم هجمات عليها[1].

وفي عهد أبو جعفر المنصور العباسي، قام بإعادة تقسيم الشام إلى سابقه في العهد الأموي بعد قيام عمه عبد الله بن علي بالمطالبة بالخلافة، وخطورة ضم الأجناد في يد والي واحد، فجعل قنسرين والعواصم تحت صالح بن علي، والأردن تحت محمد بن إبراهيم، ودمشق تحت الفاضل بن صالح، وحمص تحت عبد الله بن صالح، والجزيرة تحت العباس بن محمد[2].

ثم بعد ذلك وفي نفس العصر قُسمت بلاد الشام إلى ولايتين كبيرتين حلت محل الأجناد الخمسة، الأولى ضمت أجناد قنسرين ودمشق والأردن وحمص وعين عليهما عبدالله بن علي، والثانية ضمت جند فلسطين والبلقاء وعين عليها صالح بن علي[3].

وفي عهد هارون الرشيد قام بفصل قنسرين بكورها وصيرها جنداً واحداً، وأفرد منبج، ودلوك، ورعبان، وقورس، وأنطاكيا، وتيزين، وسماها العواصم، وجعل مدينة العواصم منبج[4]، وبقي الحال هكذا حتى نهاية العصر العباسي الأول .(وهذا ما سنتطرق إليه في الفصل الثاني )

**ثالثاً: فضائل بلاد الشام و المرابطة فيها**

لقد تضمن القرآن الكريم آيات كثيرة تحدثت عن فضل بلاد الشام، وفضل بعض أماكنها وتحديداً فلسطين، نورد فيما يلي بعضها على سبيل المثال لا الحصر، حيث قال الله جل وعلا واصفاً إياها بالأرض المباركة: " سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"[5].

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان (ص 134).

[2] البلاذري، فتوح البلدان (ص 134)، الطبري، تاريخ (ج460/7).

[3] الطبري، تاريخ (ج460/7).

[4] البلاذري، فتوح البلدان (ص 138).

[5] (الإسراء: 1).

وقال في آية أخرى مخاطباً بني إسرائيل واصفاً إياها بالأرض المقدسة: "يا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا على أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ"[1].

هذا بالإضافة إلى جملة من الأحاديث التي توضح مكانة بلاد الشام وقدرها عند الله، سنورد فيما يلي بعضاً منها:

فعن عبد الله بن حوالة الأزدي قال: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: " سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنوداً مجندة، جند بالشام، وجند باليمن، وجندٌ بالعراق، فقلت خر لي يا رسول الله إن أدركت ذلك، فقال: عليك بالشام فإنه خيرة الله من أرضه يجتبي إليه خيرته من عباده، وإن الله تكفل لي بالشام وأهله، فإن أبيتم فعليكم بيمنكم، واسقوا من غُدره"[2].

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: " صفوة الله من أرضه الشام، وفيها صفوته من خلقه وعباده، وليدخلن الجنة من أمتي ثلة لا حساب عليهم ولا عذاب"[3].

وعن ابن عباس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أول هذا الأمر نبوة ورحمة، ثم يكون خلافة ورحمة، ثم يكون ملكًا ورحمة، ثم يكون إمارة ورحمة، ثم يتكادمون عليها تكادم الحمير[4]، فعليكم بالجهاد، وإن أفضل جهادكم الرباط، وإن أفضل رباطكم عسقلان"[5].

وعن سلمة بن نفيل أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إني سئمت الخيل، وألقيت السلاح، ووضعت الحرب أوزارها، قلت: لا قتال، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: " الآن جاء القتال، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس، يرفع الله قلوب أقوام فيقاتلونهم، ويرزقهم الله منهم، حتى يأتي أمر الله عز وجل وهم على ذلك، ألا إن عقر دار المؤمنين الشام، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة"[6].

---

[1] (المائدة: 21).

[2] أحمد، المسند، 466/33، رقم الحديث 20355.

[3] الطبراني، المعجم الكبير، 194/8، رقم الحديث 7796.

[4] كدم الحمار كدماً من بابي قتل وضرب: عض بأدنى فمه وكذلك غيره من الحيوانات. أبو العباس، المصباح (ج723/2).

[5] الطبراني، المعجم الكبير، 88/11، رقم الحديث 11138.

[6] أحمد، مسند 6/ 1386، رقم الحديث 17239.

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: "اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا"، قالوا: وفي نجدنا، فقال: " اللهم بارك لنا في شامنا، وبارك لنا في يمننا، قالوا: وفي نجدنا، قال: " هنالك الزلازل والفتن، وبها، أو قال: منها يخرج قرن الشيطان"[1].

عن أَبي الدرداء رضي الله عنه قال: قَال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بينما أنا نائم، إذ أتتني الملائكة فحملت عمد الكتاب من تحت وسادتي فظننت أنه مذهوب به، فأتبعته بصري، فإذا هو نور ساطع عمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام"[2].

عَن أبي الدرداء قالَ صلى الله عليه وسلم: "أهل الشام وأزواجهم وذرياتهم وعبيدهم وإمائهم إلى منتهى الجزيرة مرابطون في سبيل الله، فمن احتل مدينة من المدائن فهو في رباط، ومن احتل منها ثغراً من الثغور فهو في جهاد" [3].

ومما زاد بلاد الشام مكانة أنها شرفت بأكثر من زيارة للنبي صلى الله عليه وسلم لها، حيث دخلها النَّبِي صلى الله عليه وَسلم قبل النبوة وَبعدهَا، ودخلها أَيْضا عشرَة آلَاف صحابي، فقبل النبوة دخلها صلى الله عليه وَسلم مرتين مرّة مع عَمه أبي طالب وهو ابن ثنتي عشرَة سنة حتى بلغ بصرى[4] وذلك حين لقيه الراهب والتمس الرد إِلى مكة، والمرة الثانية فِي تجارة خديجة رَضِي الله تعالى عنها إِلى سوق بصرى وهو ابن خمس وعشرين سنة، ومرتين بعد النبوة إحداهما ليلة الإسراء والمعراج، حيث أسري به إلى بيت المقدس، والثانية في غزوة تبوك القريبة من الشام[5].

وكما أن للشام فضائل فإن لساحله فضائل أخرى، حيث أنه كله يعتبر رباطاً، حيث تنتهي عنده حدود الدولة الإسلامية على الطرف الشرقي للبحر المتوسط، وفي الطرف الآخر حدود دولة الروم البيزنطية بأسطولها البحري الذي يهدد سواحل الشام في كل وقت، والرباط في ثغور

---

[1] البخاري، صحيح 54/9، رقم الحديث 7094.

[2] أحمد، المسند 62/36، رقم الحديث 21733.

[3] الطبراني، مجمع الزوائد (60/10).

[4] من أرض الشام من أعمال دمشق وهي كورة مدينة حوران، مشهورة عند العرب قديما وحديثا، وفي شرقي هذه المدينة بحيرة تجتمع فيها مياه دمشق وتسير منها في صحراء ورمال مقدار خمسة عشر فرسخاً فتدخل دمشق. ياقوت، معجم البلدان (ج441/1)، الحميري، الروض المعطار ( ص109).

[5] العيني، عمدة القاري (ج82/1).

ساحل الشام يفضل الرباط في السواحل الإسلامية الأخرى لتعاظم الخطر الدائم عليها، فقد ذكر ابن عساكر على لسان ابراهيم اليماني، قال: " قدمت إلى اليمن فأتيت سفيان الثوري، فقلت: يا أبا عبد الله، إني جعلت في نفسي أن أنزل جدة، فأرابط بها كل سنة وأعتمر في كل شهر عمرة، وأحج في كل سنة حجة، أفأقرب من أهلي أحب إليك، أم آتي الشام؟، فقال لي: يا أخا اليمن، عليك بسواحل الشام، عليك بسواحل الشام، فإن أهل البيت محجه في كل عام مائة ألف، ومائتا ألف وثلاثمائة ألف، وما شاء الله من التضعيف، لك من حجهم وعمرتهم ومناسكهم"[1].

وقد سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن سكنى مكة والمدينة وبيت المقدس على نية العبادة والانقطاع إلى الله، والسكنى بدمياط والإسكندرية وطرابلس على نية الرباط، أيهما أفضل؟ فأجاب قائلاً :"الحمد لله بل المقام في ثغور المسلمين كالثغور الشامية والمصرية أفضل من المجاورة في المساجد الثلاثة، وما أعلم في هذا نزاعاً بين أهل العلم، وقد نص على ذلك أكثر من واحد من الأئمة وذلك لأن الرباط من جنس الجهاد، والمجاورة غايتها أن تكون من جنس الحج، قال تعالى :"أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ۞ الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ۞ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ۞ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ "(2) إلى غير ذلك من الآيات[3].

ولم يقف رباط المسلمين عند حدود سواحل الشام فحسب، بل تعداها إلى عمق البحر المتوسط حيث الجزر التي تطل على ساحل الشام وتؤمنه، فقد كان الاستيلاء على جزر القسم الشرقي للبحر المتوسط ركن أساسي في الاستراتيجية البحرية، إذ تنتشر في شرق البحر مجموعة من الجزر، تقسم البحر إلى بحار داخلية تتصل ببعضها البعض بمضايق وفتحات صغيرة تتحكم في مداخلها تلك الجزر، وكانت تلك المضائق أشبه بأعناق الزجاجات تكفل لمن يسيطر عليها السيطرة على ما بعدها من بحار داخلية، وما يطل على تلك البحار من أراضٍ وبلدان، كما أنَّ

---

[1] ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج271/1).

[2] [التوبة: 19-22].

[3] ابن تيمية، الفتاوي (ج28/ص ص 5-12).

السيطرة على تلك الجزر تكفل تقليص النفوذ البيزنطي في البحر المتوسط من خلال حرمان أسطوله من قواعده البحرية[1].

وكذلك احتلال تلك الجزر يعني التخلص من خطرها كنقاط متقدمة للخطر البيزنطي، لهذا كان يتم شحنها بالقوات الإسلامية التي تتولى أعمال الرصد والإنذار وعرقلة تقدم أسطول العدو إذا ما وقع هجوم مفاجئ على الثغور الساحلية الإسلامية، لحين يتم تنبيه القوة الرئيسية فيما يشبه مهمة الثغور البرية[2].

لذلك حرص المسلمون على غزو تلك الجزر وفتحها والمرابطة بها، حيث كان لها أهمية كبرى في الصراع الإسلامي البيزنطي منذ النصف الأول من القرن الأول الهجري، وأهم تلك الجزر هي: أرواد[3] وقبرص[4] ورودس[5] وكريت[6]، ويقول الإمام مجاهد بن جبر نقلاً عن أحد التابعين: " فانطلقت، فلم أزل مرابطاً في جزيرة من البحر سنين، ثم بدا لبعض أمراء المؤمنين–

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان (ص 233)، المسعودي، التنبيه (ج52/1)، ملا علي، النشاط العسكري (ص 166).

[2] ابن كثير، البداية والنهاية (ج241/11)، العسلي، فن الحرب (ج216/1).

[3] جزيرة في البحر قرب قسطنطينية، فتحها وسكنها المسلمون سنة 54هـ/674م مع جنادة بن أبي أمية في عهد معاوية ، وتقابل مدينة انطرسوس على البر، وهي جزيرة كبيرة بها كنيسة كبيرة معمورة متقنة البناء شاهقة منيعة ذات أبواب حديد وهي كالمحرس وهي من أعمال قبرص. ياقوت، معجم (ج163/1)، الإدريسي، نزهة (ج375/1) .

[4] جزيرة في بحر الروم (المتوسط)، قريبة من طرسوس، قطرها ستة عشر يوماً، وبها مدن ومزارع وقلاع وحصون كان الفتح الأول لها سنة ٢٨هـ/٦٤٨م ( في خلافة عثمان بن عفان رضي الله ) عنه والثاني سنة ٣٣هـ/ ٦٥٣م في خلافة معاوية بن أبي سفيان بقيادة جنادة بن أبي أمية. ابن خياط، تاريخ (ص ١٦٧)، البلاذري، فتوح البلدان (ص ١٥٨)، اليعقوبي، تاريخ (ج431/2)، الحميري، الروض (ص453).

[5] جزيرة ببلاد الروم، وهي أوّل بلاد الافرنج، كانت بها دار صناعة للروم وبها تبنى المراكب البحرية، وفيها خلق من الروم، افتتحها جنادة بن أبى أميّة عنوة في عهد معاوية بن أبي سفيان.(ياقوت، معجم البادان 78/3، البكري، معجم ما استعجم 684/2).

[6] تلفظ (إقريطش)، جزيرة في بحر الروم (المتوسط)، وهي عامرة كثيرة الخصب وبها مدن عامرة، ودورها خمسة عشر يوماً، وبينها وبين ساحل البحر يوم وليلة، طولها مائة واثنان وسبعون ميلاً في عرض خمسين ميلاً، وفيها من المدن مدينة ربض الخندق، وبها معدن ذهب وأشجار وفواكه، وبها أوّل ما استنبطت صناعة الموسيقى، كثيرة المعز وليس بها إبل ولا سبع ولا ثعلب ولا غيرها من الدوابّ الدابّة بالليل، ومراسيها من ناحية الشرق مرسى الفتوح وهو مرسى مشتى حسن لا نظير له.(البكري، المسالك 482/1، الحميري، الروض، ص 51).

يقصد يزيد بن معاوية – أن يخرب تلك الجزيرة ويخرج أهلها منها، فوالله لكأنما جيء بي سبياً حين رجعت إلى أهلي"[1].

[1] الشيباني، شرح السير (ج185/2).

## المبحث الرابع: أهمية و دواعي إنشاء الثغور

اعتاد حكام الدول منذ القدم أن يحموا حدود دولهم التي تفصل بينهم وبين غيرهم من الدول المجاورة، وأن يدافعوا عنها من خطر الاعتداء الخارجي، لاسيما إذا كانوا في حالة صراع مع جيرانهم أو كانوا عرضة لأطماعهم، ويلجأون في سبيل تحقيق ذلك إلى وسائل وأساليب متنوعة، مثل إقامة الموانع وبناء التحصينات وإنشاء الثغور وتعزيزها وتطويرها، وما قصة ذي القرنين الواردة في القرآن الكريم ببعيدة عنّا، حيث أعان القوم الذين وصل إليهم وشكوا إليه من اعتداء يأجوج مأجوج، بإقامة سد وحاجز بين جبلين يمنع وصولهم إلى بلادهم ويمنع الاعتداء عليهم، والقصة مذكورة في أواخر سورة الكهف[1].

### أولاً: أهمية إنشاء الثغور

لقد اتخذت العلاقات الإسلامية البيزنطية طابعاً عدائياً منذ بدأت المرحلة العالمية في تاريخ الدعوة الإسلامية، ذلك أن التوسع في الشام ومصر وبلاد المغرب تم على أنقاض النفوذ البيزنطي في تلك البلدان، وكان من الطبيعي أن تطمح السياسة الإسلامية إلى إسقاط الدولة البيزنطية لتؤول للمصير نفسه الذي آلت إليه الإمبراطورية الساسانية من قبل، وبديهي أيضاً أن تخطط بيزنطة سياستها إزاء المسلمين على أساس استرداد ما فقدته من ولايات ثرية، والعودة إلى البلاد التي كانت تسيطر عليها قبل، وهذا ما تفسره مقولة الخليفة عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – حيث كان دائمًا يرددها كلما ذكر الروم: "والله لوددت أن الدرب جمرة بيننا وبينهم لنا ما دونه وللروم ما وراءه"[2].

وبناءً على ذلك كان الصدام والصراع بين الطرفين لا مفر منه، حيث اتخذ أطواراً من الصراع البري والبحري، فضلاً عن الصراع السياسي والدبلوماسي بالإضافة إلى التنافس الاقتصادي، ولطالما تبادل الطرفان الانتصارات والهزائم في هذا الصراع المرير الذي أسفر عن نتائج بعيدة المدى في تاريخ كل من الجانبين[3].

---

[1] الجعفري، سياسة الدولة الأموية (ص270).

[2] الصلابي، تاريخ الدولة الأموية (ج57/1).

[3] العبد الغني، الحدود البيزنطية (ص 11).

ولهذا حرص الطرفان على إحكام التحصينات على الحدود وإقامة معاقل على طول الطرق الحربية وفي المواقع الحساسة ومناطق الاحتكاك، فنتج عن هذا الأمر نظام دفاعي دائم أطلق عليه المسلمون اسم الثغور، وأطلق عليه البيزنطيون اسم الثيمات[1].

وبقيام الدولة الأموية سنة 41هـ/660م أخذت تتضح دوافع المسلمين في قتال البيزنطيين في آسيا الصغرى إلى الشمال من بلاد الشام، وهي تأمين الحدود الشمالية للدولة الإسلامية، ومحاولة التوسع داخل آسيا الصغرى بهدف إسقاط القسطنطينية، فعبروا الممرات الجبلية في جبال طوروس لتدمير القواعد والتحصينات البيزنطية، ثم أخذت الإغارات تتطور تدريجياً إلى حملات عسكرية واسعة النطاق، أخذت في اجتياح أقاليم آسيا الصغرى حتى وصلت إلى حدود القسطنطينية وحاصرتها سنة 98هـ/717م، حتى أوشكت الدولة البيزنطية على الانهيار[2].

وعند قيام الدولة العباسية سنة 132هـ/749م، اتخذ الصراع مع البيزنطيين طابعاً دينياً دفاعياً، كان هدفه المثاغرة والجهاد، ففي حين كان الأمويون يتطلعون إلى قهر القسطنطينية والسيطرة على البحر المتوسط[3]، كانت سياسة العباسيين سياسة دفاعية استهدفت إحاطة حدود الدولة بسلسلة من القلاع والتحصينات لحمايتها من الخزر[4] والبيزنطيين على حد سواء، فالحروب بين البيزنطيين والعباسيين لم تتجاوز كثيراً احتلال القلاع على ممرات جبال طوروس أو معاودة احتلالها إثر تخلي العدو عنها بين حين وآخر، يُستثنى من ذلك الحالات القليلة التي سيرت فيها الحملات العسكرية الكبيرة والتي انتهت بتدمير بعض المدن الهامة مثل هرقلة على يد هارون الرشيد وعمورية على يد الخليفة المعتصم سنة 223هـ/838 م[5].

---

[1] ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية (ص160).

[2] حسن ابراهيم، تاريخ الإسلام (ج294/1).

[3] مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم (ص 214).

[4] الخزر أقوام عامتهم يهود، تحد بلادهم بلاد أرمينية ولهم بحر سمى باسمهم، وهو متصل ببحر القسطنطينية، وتقع بلادهم خلف باب الأبواب المعروف بالدربند على السواحل الشمالية الغربية من بحر الخزر المعروف ببحر قزوين، خرجوا سنة 183هـ/799م على أرمينية، فأوقعوا بأهل الإسلام، وسبوا أزيد من مائة ألف نسمة، وجرى على الإسلام أمر عظيم لم يسمع قبله مثله. المقدسي، البدء (ج4/ 66)، ابن الأثير، الكامل (ج4/ 154).

[5] العبد الغني، الحدود البيزنطية (ص 17).

**ثانياً: تطور فكرة الثغور عند الفرس والروم**

كان للإمبراطوريات السابقة (الفارسية والبيزنطية) دور مهم في بلورة فكرة الثغور، ووضعت لها إدارات وأنظمة وأولتها اهتماماً كبيراً، فقد برزت هذه الفكرة عند الفرس الساسانيين في عهد الإمبراطور أردشير بابك سنة212م[1]، حيث قام ولحماية حدود دولته بتقسيمها إلى أربعة ولايات كل ولاية يحكمها حاكم، كان يطلق عليهم لقب الولاة (المرازية) الذين يحكمون الثغور في الجهات الأصلية، وقد ألحق بهذه الوظيفة إقطاعات كبيرة في كل ولاية تمنح لواليها، وكلمة المرازية تشير إلى حماية الحدود لأن الكلمة معناها بالفارسية الحد، فالمرزيان هو صاحب الحد، وكان هؤلاء الحكام يأتون بالمرتبة السلطوية بعد الملك، وكانوا يعرفون بملوك الأطراف ويحملون لقاب شاه[2].

وفي عهد الإمبراطور كسرى أنوشروان (531–579م)[3] قام بإجراء تغييرات جذرية راعي فيها الطابع العسكري للولايات الحدودية الأربع، والولايات هي المشرق وخراسان وما والاها، والعراق حتى حدود الدولة البيزنطية، واليمن، وأخيراً بلاد الخزر وهي أذربيجان وما والاها[4].

فكان والي خراسان (مرزيان خراسان) مسؤولاً عن حماية الدولة من الجهة الشرقية والتصدي لغارات الطوخاريين والهايطلة والأتراك، أما مرزيان الخزر وهي أذربيجان وما والاها فكان عليه التصدي لغارات الهون من أبواب قزوين، وقد كانت هذه المنطقة تحظى باهتمام الإمبراطور كسرى أنوشروان، حيث كان يجلس مرزيانها على عرش من ذهب بخلاف باقي الولاة الذين كانوا يجلسون على عرش من فضة، كما أمر بإقامة الاستحكامات والقلاع والحصون، واهتم بميناء بحر قزوين الذي سماه العرب باب الأبواب[5]، وهذا الباب يقع في منطقة جبلية تتخللها الأودية

---

[1] يعد أردشير بن بابك بن ساسان الأصغر بن فافك بن مهريس ابن ساسان الأكبر أول ملوك الدولة الساسانية التي تعتبر من أشهر دول الفرس، ظهر بمدينه اصطخر، واستطاع القضاء على ملوك الطوائف في بلاد فارس ونصب نفسه ملكاً، استمرت فترة حكمه أربع عشرة سنة وعشرة أشهر، بعد وفاته تولى بعده ابنه سابور حكم الدولة الساسانية. الدينوري، الأخبار الطوال (ص 42)، الطبري، تاريخ الرسل (ج2/ 44).

[2] كنعان، نظام حماية الحدود (ص 2).

[3] هو كسرى أبرويز بن هرمز انوشروان بن قباذ ابن فيروز بن يزدجرد، من أشهر أباطرة الفرس، وكان ملكه سبعا وأربعين سنة وسبعة أشهر، وكان حسن السيرة مبارك الولاية رحيماً بالرعية، ولد النبي صلى الله عليه وسلم في عهده. المقدسي، البدء والتاريخ (ج 3/169).

[4] كنعان، نظام حماية الحدود (ص 3).

[5] ليسترنج، الخلافة الشرقية (ص ص 214–215).

والشعاب، حيث وضعت مدينة الباب على هذه الأودية والتي قام كسرى ببنائها وجعلها حداً بينه وبين بحر الخزر، وتمتاز بحصنها المنيع الذي هو عبارة عن قلعة كبيرة يُقال لها طبرستان، وهذه المدينة لها سور حولها وقد قسم إلى عدة أقسام بطول فرسخ لكل قسم ولها أبواب محصنة تحرسها مجموعة من المقاتلين الذين يقيمون فيها، وكان الإمبراطور يهدف من ذلك حماية حدود الدولة من الغارات والاعتداءات المتمثلة بالخزر والترك وغيرهم[1].

أما عند البيزنطيين فقد برزت فكرة الثغور في عهد الإمبراطور البيزنطي جستنيان الأول[2]، عندما رأى أن الدولة البيزنطية أصبحت محاطة بالأخطار، إذ كان لها أعداء كثيرون تتلقى ضرباتهم ويستدعي منها صد غاراتهم كالفرس والبلغار[3] والقوط[4] والسلاف[5]، وكانت سلسلة القلاع والحصون والخطوط الدفاعية على أطراف الإمبراطورية نظاما تقليدياً وبدا عاجزاً عن توفير كل متطلبات الحماية لحدود الدولة، الأمر الذي دعاه الى أن يخصص فرقاً عسكرية مجهزة تقيم بشكل دائم وتستقر في تلك القلاع والحصون، ومهمتها مسك الأرض إلى حين وصول الإمدادات العسكرية دفاعاً عن حدود الدولة، وهذا النظام عُرف فيما بعد بنظام الثيمات[6]، وهي كلمة يونانية تعني بالمفهوم العسكري مجموعة من الجيش تقيم في الإقليم على

---

[1] المسعودي، مروج الذهب (ج1/ص ص 198– 199).

[2] أشهر الأباطرة البيزنطيين، اعتلى عرش الإمبراطورية سنة 527م من عمه جستين، حكم جستنيان الأول الإمبراطورية لمدة ما يقرب من 40عاماً طغت فيها شخصيته وأعماله، والذي ساعده على ذلك أنه لما اعتلى عرش الامبراطورية كانت فيها الدولة في أزهى عصورها واستقرارها، عرف عنه النشاط وحب النظام، ولعبت معه زوجته ثيودورا دوراً مهماً في إدارة لامبراطورية والقضاء على الثورات والفتن الداخلية ، توفي سنة 567م. يوسف، تاريخ الدولة البيزنطية (ص ص 69–73).

[3] البلغار سموا بذلك نسبة إلى مدينة يسكنونها شمال بحر القرم، وهم أقرب الأمم النصرانية إلى القسطنطينية، وكان غالبهم نصارى فأسلم بعضهم. ابن الوردي، تاريخ (ج79/1)، ابن كثير، البداية (ج183/9).

[4] من الأمم العظيمة ذوي البأس الشديد، كانوا يعرفون في الزمن القديم بالسيسيين، نسبة للأرض التي كانوا يعمّرونها بالمشرق فيما بين بلاد الفرس واليونان، ينسبون لإخوة الصين من ولد ماغوغ بن يافث، وكانت لهم مع الملوك السريانيّين حروب موصوفة ، وكذلك مع الفرس و اليونان وفي عهد الاسكندر اندرجوا في قبائل الروم. ابن خلدون، تاريخ (280/2).

[5] هم جيل من الناس كانت مساكنهم إلى الشمال من شعب البلغار وانتشروا في بلاد شرق أوربا، وكانوا قديماً يسمون بالصقالبة. (حاشية الذهبي، سير أعلام 238/6).

[6] يقابلها عند العرب مصطلح (البنود أو الأعمال) وتعني تقسيم الجبهة إلى مجموعة مقاطعات عسكرية الإدارة، يقف على رأس كل مقاطعة حاكم عسكري يكون هو رأس السلطة المدنية. (مصطفى، دولة بني العباس294/2).

الحدود مسئوليتها توفير الحماية ومسك الأرض والمراقبة، وهذه المجموعة أو الفرقة العسكرية لها حاكم عسكري، له سلطات مدنية ومالية وقضائية يعاونه مجموعة كبيرة من الموظفين المدنيين والعسكريين وله آليات ونظام خاص في العمل، فعلى سكان الولاية الحدودية في ظل هذا النظام أن يكونوا مسئولين عن تحمل نفقات الجيش المقيم عندهم، وتخصيص الأراضي الزراعية كإقطاعات عسكرية للجند كتعويض مجزي عن قلة الرواتب المدفوعة لهم[1].

وعند تولي الإمبراطور البيزنطي هرقل[2] عرش الإمبراطورية البيزنطية، وجد أن الخزينة خاوية والضرائب فادحة، والجنود من المرتزقة الذين يزيدون من أعباء الخزينة مع عدم إخلاصهم في الحروب، لذلك أوجد هرقل هذا النظام (نظام الثغور والأجناد)، والذي عرف بنظام هرقل والذي أخذه العرب فيما بعد[3].

وقد كانت فكرة هذا النظام تقوم على اقتطاع ما تبقى من أراضي الإمبراطورية البيزنطية بعد أن أغار الفرس عليها، إلى قطاعات زراعية تُعطى إلى قوى عسكرية صغيرة تقيم فيها مع عيالها، لأنه يتحتم على الجندي أن يقضي فترات طويلة خارج مدينته ومنزله في موقع الجبهات، ومن هذه الإقطاعات الزراعية يعتاش الجندي مع عائلته بزراعتها وأخذ محصولها دون أن يشاركه بها أحد، مقابل أن يلبي نداء الدولة مصطحباً معه حصانه وسيفه وزاده، فبذلك يكون قد كفل معيشته من دون أن يكلف الدولة شيئاً[4].

وقد كانت جبهة الروم مقسمة إلى أربعة ثيمات أو بنود، يقود كل بند فيها قائد يطلق عليه اسم: (استراتيج)، والبنود هي: بند أرمينية ويقابل الثغور الجزرية، وبند الأناضول ويقابل الثغور الشامية، وبند الأوبسيكيون ويمتد حول بحر مرمرة لحماية العاصمة القسطنطينية، وبند بحري

---

[1] العبد الغني، الحدود البيزنطية (ص ص 26–27)، كنعان، نظام حماية الحدود (ص 8).

[2] يسمى هرقل الإبن أو هرقل الصغير وهو من أبرز الأباطرة البيزنطيين الذين تولوا عرش الإمبراطورية البيزنطية ، استلم الحكم في الخامس من أكتوبر سنة 610م في ظرف كانت فيها الإمبراطورية في أشد حالات ضعفها بسبب الثورات الداخلية والتهديد الفارسي، بالرغم من أنه لم يكن من أبناء البيت الإمبراطوري بل كان أبيه أحد حكام الولايات، وقد استطاع أن يعيد للإمبراطورية البيزنطية مجدها ، وفي عهده سقطت بلاد الشام في أيدي الفاتحين المسلمين وتوفي سنة 641م. رستم، الروم (ج1/222)، يوسف، تاريخ الدولة (ص ص 99–100).

[3] الجعفري، سياسة الدولة الأموية (ص 269).

[4] المرجع السابق، ص 269

أطلق عليه اسم (القبرصي-كبيرايوت) وكان يشمل الشاطئ الجنوبي من آسيا الصغرى والجزر القريبة منها[1]، وقد عمد البيزنطيون ما بين الفينة والأخرى على تعديل تقسيماتهم الإدارية للبنود، وتجديد بعض البنود القديمة وتكوين بنود جديدة، وذلك لمواجهة احتياجاتهم الدفاعية مستغلين انشغال المسلمين بالمشاكل الداخلية كالتي حدثت في العصر الأموي تحديداً مع خلافة يزيد وحتى معظم عهد عبد الملك بن مروان، وذلك لتعزيز دفاعاتهم في المواضع التي هددها المسلمون[2]، بالإضافة إلى تقسيم البنود لأقسام فرعية خشية طموح القواد ولزيادة إحكام الدفاع ضد هجمات المسلمين[3] .

وقد استطاع نظام الثيمات والبنود أن يوفر خطاً دفاعياً لأقاليم آسيا الصغرى، وغيرها من الأقاليم من خطر المسلمين والتصدي لكل محاولة من قبلهم لتحقيق أي وجود عسكري لهم في تلك الأقاليم، والتي تعتبر البوابة الجنوبية الشرقية للإمبراطورية البيزنطية، وكان من نتائج ذلك تقليل النشاط العسكري الإسلامي المتوغل إلى وسط وغرب آسيا الصغرى[4].

وعندما غيرت بيزنطة من استراتيجيتها الهجومية إلى الدفاعية، والتي تقوم على عدم مواجهة المسلمين عسكرياً وردهم بالقوة، بل تقوم على أساس تجنب الصدام المباشر معهم، برزت أهمية ذلك النظام -نظام الإنذار المبكر-، فقد صار واجب القوات البيزنطية الأساسي هو القيام بإنذار سكان مناطق الحدود البيزنطية بقرب هجوم المسلمين، كي يتمكنوا من تأمين أنفسهم ومواشيهم وممتلكاتهم في أماكن أخرى وملاجئ آمنة فوق الجبال وداخل الحصون والقلاع، ثم بعد ذلك تستخدم تلك القوات أسلوب حرب العصابات ضد المهاجمين[5].

**ثالثاً: دواعي إنشاء الثغور عند المسلمين**

انطلاقاً من فهم المسلمين بألّا يؤتى الإسلام من قبلهم، من أي جهة من الجهات، ومن أي ناحية من النواحي لأن كل واحد منهم على ثغر من ثغور الإسلام؛ فلقد حرص المسلمون على

---

[1] ابن خرداذبة، المسالك والممالك (ص257)، مصطفى، دولة بني العباس (ج296/2).

[2] ملا علي، النشاط العسكري (ص 128).

[3] مصطفى، دولة بني العباس (ج296/2).

[4] العبد الغني، الحدود البيزنطية (ص 30).

[5] المرجع السابق، ص 31.

المرابطة على الحدود، ولهذا كان للثغور أهمية استراتيجية كبرى في حياتهم، حيث كانت تمثل خطوط الدفاع الأولى عن حدود الدولة الإسلامية، يمكن من خلالها صد هجمات الأعداء وحماية أراضي الدولة الإسلامية من الغزو والعدوان، كما شكلت تلك الثغور قواعد انطلاق لطلائع الفتح الإسلامي تتجمع فيها الجيوش الإسلامية فتنطلق منها للغزو وثم تعود إليها وتتحصن بها عند الخطر لما تتميز به من موقع حصين ودفاعات قوية.

ولقد سار الفتح الإسلامي وفق خطة راشدة مستنيرة، اتضحت معالمها على يد رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، قائد هذه الأمة، وسار عليها من جاء بعده من الخلفاء الراشدين، ثم من جاء بعدهم من خلفاء بني أمية وخلفاء بني العباس، وقد هدفت الخطة إلى تثبيت الدعوة في الداخل، وتبليغها، ومدّها في أقطار الأرض بعد إقامة قواعد ثابتة للمسلمين، تتولّى إقامة حياة إسلامية، فتنطلق منها الدعوة إلى غيرها، وتبعا لذلك، فقد كانت بلاد الإسلام كلّها ثغور، وكلّ أهلها مثاغرون[1].

فبعد قيام الدولة الإسلامية في المدينة المنورة على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد انتصاره على المشركين في معركة بدر وإجلاء بني قينقاع عن المدينة، كان يدرك أن خصوم الدولة الإسلامية الجديدة يتحفزون للثأر والهجوم المعاكس عليها، لذلك كان لزاماً عليه أن يتخذ نظاماً دفاعياً عن طريق الهجوم، فكانت سلسلة من الغزوات والسرايا[2] المتلاحقة على المشركين بعد معركة بدر[3].

وقد جاءت تلك الغزوات والسرايا بحد ذاتها إشعاراً للأعداء بقوة المسلمين، فضلاً عن حماية حدود الدويلة الناشئة قبل أن تتسع بفعل عمليات الفتوح شرقاً وغرباً، حيث كانت خطته صلى الله عليه وسلم تقوم على التحرش بقوة البيزنطيين وحلفائهم، فكانت معركة مؤتة سنة 8هـ/629م

---

(1) المصري، طرسوس (ص 103).

(2) اتفق أصحاب السير والرواة أن الغزوة هي الحرب التي يحضرها رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنفسه ويقاتل فيها، وأما البعث أو السرية فيكلف فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحد أصحابه أو طائفة منهم، وقد اختلف أصحاب السير في عدد غزواته وسراياه، والاقرب للصحة أنه خرج في سبع وعشرين غزوة قاتل في تسع منها، وبلغ عدد بعوثه وسراياه سبعا وأربعين سرية. ابن كثير، البداية والنهاية (ج3/296).

(3) الواقدي، المغازي (ج1/179).

وبغض النظر عن نتائجها، إلا أنها أكدت للروم البيزنطيين رغبة المسلمين في تأمين حدودهم ودرء الخطر الأجنبي عنها[1].

وفي عهد الراشدين واجهت إمبراطوريتا فارس والروم خصماً عنيدًا مندفعاً بحماس ديني لنشر العقيدة الإسلامية، وقد غلبت عليه روح البذل والتضحية في سبيل الدين الجديد، وقد كانت الأوضاع التي أصبحت عليها الدولتان الفارسية والبيزنطية، وما تعرضتا له من عوامل الانهيار السياسية والحربية والاقتصادية، عاملاً مهماً في تسهيل مهمة المسلمين، كما أن العلاقة التي كانت تربط بين العرب الفاتحين وأهل البلاد الأصليين، وما سبق أن تعرضوا له من اضطهاد اقتصادي وديني وخاصة من قبل البيزنطيين، كل ذلك جعل الأرض ممهدة أمام المسلمين للتوسع[2].

ولقد قضت الجيوش الإسلامية على الدولة الفارسية في بلاد العراق، وكان انتصار المسلمين في يوم القادسية 16هـ/637م بشارة خير للمسلمين ونقطة استدارة في التاريخ، فقد عجلت بنهاية الإمبراطورية الساسانية في تلك المنطقة، واعتبرت هذه المدينة ثغراً من ثغور العراق، وجاء بعد ذلك الفتح فتح العراق ومن وراء العراق بلاد فارس كلها[3].

ثم دخلت تلك الجيوش في حروب متتالية مع البيزنطيين واستطاعت خلال جولات عديدة إعادة الاستحواذ على معظم الأراضي التي استعادتها بيزنطة من الفرس، حيث توالى سقوط مدن بلاد الشام وفلسطين ومصر في أيدي المسلمين، وانكمشت حدود الإمبراطورية البيزنطية في آسيا الصغرى وبلاد البلقان وأجزاء من أفريقيا[4].

---

[1] ابن هشام، السيرة النبوية (ج373/2).

[2] العريني، الدولة البيزنطية (ص 135).

[3] الواقدي، فتوح الشام (ج178/2)، عادل، القادسية (ص 10).

[4] العريني، الدولة البيزنطية (ص 135).

**المبحث الخامس: تطور الثغور في الدولة الإسلامية حتى بداية العهد العباسي**

بالرغم من أن فكرة إنشاء الثغور على المناطق الحدودية لم تكن وليدة قيام دولة الإسلام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده، إلا أن الدولة الإسلامية ومنذ البدايات الأولى لتكونها وعبر تاريخها الطويل عنيت بفكرة الثغور، وأولتها اهتماماً كبيراً، وقد تطور نظام الثغور في عهدها تطوراً ملحوظاً، وأصبحت له أنظمته وإدارته الخاصة المتميزة في الشام ومصر وغيرها من البلدان التي خضعت للسيادة الإسلامية، ومن أهم مراحل تطور نظام الثغور في الدولة الإسلامية ما يلي :

**أولاً: في عهد النبي صلى الله عليه وسلم:**

بالرغم من حداثة الدولة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وبالرغم مما كان يتهددها من أخطار داخلية وخارجية، إلا أنها لم تغفل حدودها وثغورها أنى كانت، وليس أدل على ذلك ما قام به النبي صلى الله عليه وسلم عندما بلغه أن أناساً من أهل الحبشة قد اعتدوا على حدود الدولة الإسلامية غرب شبه الجزيرة من نواحي جدة، فبعث إليهم بالقائد علقمة بن مجزز المدلجي[1] في ثلاثمائة مقاتل فانتهى إلى جزيرة في البحر فخاضه إليهم، وهربوا منه فرجع[2].

وفي جمادي الأولى سنة 8هـ/629م، ورغم أن الدولة الإسلامية في المدينة كانت تواجه أخطاراً جمة وأعداءً كثر، إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جهز جيشاً قوامه ثلاثة آلاف مقاتل وأمر عليهم زيد بن حارثة، وأمرهم بالتوجه لقتال الروم على الحدود الشمالية لجزيرة العرب فيما عرف بغزوة مؤتة، فمضى الجيش الإسلامي حتى وصل البلقاء في الأطراف الجنوبية للشام[3]، ودارت بين المسلمين والروم معركة مؤتة التي انتهت باستشهاد عدد من المسلمين على رأسهم زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة، بعد أن صمدوا في مقاتلة الروم رغم كثرة عددهم وعدتهم، وقتلوا منهم أعداداً كثيرة، وعاد جيش المسلمين بقيادة خالد بن الوليد إلى المدينة، فاستقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم بوصفه لهم:( ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن

---

[1] أحد عمال النبي عليه الصلاة والسلام، أرسله على رأس عدد من السرايا. أبو نعيم، معرفة (ج2181/4).

[2] ابن سعد، طبقات (ج163/2)، ابن عساكر، تاريخ (ج159/2).

[3] ابن هشام، سيرة النبي (ج420/2)، عبد اللطيف، السيرة النبوية (ص 120).

شاء الله)[1]، وقد أدرك الروم بعد هذه الغزوة أن المسلمين معنيون ومهتمون جداً بحماية ثغورهم وحدودهم.

وفي شهر رجب سنة 9هـ/630م جهز الرسول صلى الله عليه جيشاً من المسلمين لصد الروم الذين تجمعوا على الأطراف الشمالية لجزيرة العرب، إذ أنه لما بلغه تجمع الروم بعدتهم وعتادهم، أمر أصحابه بالتهيؤ لغزوهم، وذلك في زمن عسرة من الناس، وشدة من الحر، وجدب من البلاد، فاجتمع له نحو ثلاثين ألفاً من المسلمين فأخبرهم أنه يريد التوجه إلى تبوك[2].

وبعد أن جمع ما أمكن من العدة والعتاد والمال سار بجيشه لتبوك، ولما انتهى الرسول صلى الله عليه وسلم بجيشه إلى تبوك أتاه يوحنا بن رؤبة صاحب أيلة، فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعطاه الجزيرة، وأتاه أهل جرباء وأذرح[3] وأعطوه الجزية، وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً، ثم عاد و قد تفرق الروم ولم يحدث بين الطرفين قتال[4].

وبعد حجة الوداع قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً من مكة إلى المدينة فأقام بها بقية ذي الحجة والمحرم وصفر، ثم ضرب على الناس بعثاً إلى الشام وأمر عليهم مولاه أسامة بن زيد بن حارثة، وأمره أن يوطيء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين، وتجهز الناس للخروج، وأرسل مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون، إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم توفي قبل أن يغادر الجيش أطراف المدينة[5].

---

[1] ابن سيد الناس، عيون الأثر (ج267/2)، هارون، تهذيب سيرة ابن هشام (ص 242).

[2] موضع بين وادي القرى والشام، وقيل بركة لأبناء سعد من بني عذرة وقال أبو زيد: تبوك بين الحجر وأول الشام على أربع مراحل من الحجر نحو نصف طريق الشام، وهو حصن به عين ونخل وحائط ينسب إلى النبي، ويقال إن أصحاب الأيكة الذين بعث إليهم شعيب، عليه السلام، كانوا فيها ، وتبوك بين جبل حسمى وجبل شرورى، وحسمى غربيها وشرورى شرقيها، وبين تبوك والمدينة اثنا عشر مرحلة. ياقوت، معجم (ج15/2).

[3] جرباء: موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشأم، وأذرح من أعمال الشراة في أطراف الشأم ثم من نواحي البلقاء، وبين أذرح والجرباء ميل واحد أو أقل وفتحت أذرح والجرباء في حياة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، سنة تسع، صولح أهل أذرح على مائة دينار جزية. ياقوت، معجم (ج2/ص ص 118–129).

[4] ابن الأثير، الكامل (ج148/2)، ابن خلدون، الخبر (ج267/2).

[5] ابن خلدون، ديوان المبتدأ (ج2/ 483)، هارون، تهذيب سيرة ابن هشام (ص 372).

كل ذلك يدل على مدى اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بثغور الدولة الإسلامية وحماية حدودها من الأعداء، رغم ما كانت تواجهه في بداية نشأتها من مصاعب ومشكلات .

**ثانياً: في عهد الخلفاء الراشدين**

واصل الخلفاء الراشدون السياسة التي سار عليها النبي صلى الله عليه وسلم في حماية حدود الدولة الإسلامية وتوسيع حدودها وصد الأخطار عنها وهذا ما سنأتي على ذكره فيما يلي:

**أ- الخليفة أبي بكر الصديق (11-13هـ/632-634م).**

منذ اللحظة الأولى لتوليه خلافة الدولة الإسلامية، ورغم الأخطار المحدقة بالدولة الإسلامية الناشئة بسبب ارتداد بعض القبائل العربية عن الإسلام، إلا أن الثغور والحدود كانت بؤرة اهتمام الصديق لدرجة أنه رضي الله عنه أصر على إنفاذ جيش أسامة بن زيد لحرب الروم على حدود الشام، في نفس الوقت الذي كان يواجه فيه المرتدين في جزيرة العرب، وما أن فرغ منهم حتى جند الجيوش لفتح العراق والشام، وبدأ قادة تلك الجيوش الفاتحة في التوسع في البلاد المفتوحة[1]، وكان لابد لهم وقد فتحوا مناطق شاسعة من اتخاذ نقاط تعبوية، تتخذها الجيوش الإسلامية منطلقات لها عُرفت باسم المسالح، وكانت تلك المسالح تتبدل و تتنقل حسب مصادر الأخطار والخطط التي تصنفها القيادة العسكرية[2]، وها هو أبو بكر يكتب إلى خالد بن الوليد حين كلفه بفتح العراق آمراً إياه أن يدخلها من أسفلها، وإلى عياض بن غنم أن يدخلها من أعلاها قائلاً: ( إذا اجتمعتما بالحيرة وقد قضضتما مسالح فارس وأمنتما أن يؤتى المسلمون من خلفهم، فليكن أحدكما ردءاً للمسلمين ولصاحبه بالحيرة وليقتحم الآخر على عدو الله وعدوكم من أهل فارس دارهم)[3].

وقد جعل خالد بن الوليد مقر قيادة الثغور والمسالح في السيب[4] بالعراق، ولما انتقل من العراق إلى الشام مدداً لما بها من جيوش المسلمين بأمر الخليفة أبي بكر الصديق رضى الله

---

[1] ابن الأثير، الكامل (ج195/2)، طقوش، تاريخ الخلفاء ( ص 328).

[2] ياقوت، معجم البلدان (ج385/5)، مصطفى، دولة بني العباس (ج299/2).

[3] الطبري، تاريخ (ج347/3)، الصلابي، الانشراح ورفع الضيق (ص 306).

[4] مجرى الماء ويطلق لفظ السيبة، ويقع في العراق على الضفة اليسرى من شط العرب قبالة مدينة عبدان الإيرانية، وبينها وبين بغداد مرحلتين. الدينوري، الأخبار الطوال (ص 204)، المقدسي، أحسن (ص134).

عنه، ولى بعده المثنى بن حارث الشيباني، ولما علم الفرس بذلك تجمعوا مرة أخرى لحرب المسلمين، فكتبت المسالح التي سبق إقامتها من قبل خالد بن الوليد إلى المثنى بن حارثة الشيباني الذي اشتبك مع الفرس فتمكن من هزيمتهم، وتوفي أبو بكر والمسالح بالسيب والغارات تنتهي بهم إلى شاطئ دجلة، ودجلة حاجز بين العرب والعجم[1].

**ب- الخليفة عمر بن الخطاب (13-23هـ/634-643مـ).**

مع توسع الدولة الإسلامية وامتدادها في كل من العراق والشام ومصر، ازدادت أهمية الثغور وتطور دورها في حماية حدود الدولة، وبعد أن كانت المسالح هي التي تقوم بالدور الأكبر في هذه المهمة، أضيف إليها دور الجند، حيث أرسل الخليفة عمر عدداً من الأجناد على رأس كل جند قائد فذ لفتح كل من الشام ومصر والعراق، وأوكل قيادة تلك الأجناد إلى الأمير أبي عبيدة بن الجراح وكان منها جند حمص، وجند دمشق، وجند الأردن، وجند فلسطين، وقد مضت تلك الأجناد في البلاد والأمصار[2]، وأصبح المسلمون كلما تقدموا في الفتح أقاموا في نهاية توسعهم ثغوراً و تشحن بالجنود لتحرس الحدود، ويتولى أمر كل ثغر منها قائد من أكفأ القواد[3].

وقد وجه الخليفة عمر رضي الله عنه إلى إقامة قواعد عسكرية إسلامية لها عدة وظائف، أبرزها أن تكون مراكز حربية في مواقع استراتيجية متقدمة على الحدود بينه وبين البلاد المفتوحة لترد أي عدوان خارجي، وكمركز لجمع الجند ولنشر الإسلام، بالإضافة إلى المعسكرات والتحصينات التي استولى عليها المسلمون بعد إجلاء العدو منها واتخاذها قواعد وإسكان الجند بها لحماية الحدود[4].

فعند فتح بلاد الشام اتخذ الخليفة عمر سلسلة من الإجراءات الدفاعية لحماية المنطقة، منها بناء المناظر(الأبراج) وإقامة الحرس، واتخاذ المسالح، وترميم الحصون المفتوحة وترتيب المقاتلة فيها، بالإضافة إلى تحصين المدن الساحلية، وجعل الساحل الشامي تحت إدارة عسكرية

---

[1] الطبري، تاريخ (ج3/ص ص412-414).

[2] الواقدي، فتوح الشام (ج235/1).

[3] البلاذري، فتوح البلدان(ص156)، الطبري، تاريخ (ج49/4).

[4] البلاذري، فتوح البلدان (ص150).

موحدة[1]، وعندما زار بلاد الشام لتوقيع الصلح مع أهل بيت المقدس، تفقد الثغور الشامية ووضع بها الحاميات والمسالح ورتب بها أمراء الأجناد والقادة، وسد فروجها وأخذ يدور بها ليرى احتياجاتها الدفاعية[2].

وفي عهده فتح المسلمون ثغر أنطاكية وجعلوه قاعدة لانطلاق الغزو إلى ما خلف الحدود، ونقل إليها القائد أبو عبيدة أقواماً من أهل حمص وبعلبك يرابطون بها لحماية الحدود من أي عدوان، كما سار أبو عبيدة إلى ثغر بالس، وأسكنه قوماً من عرب الشام الذين أسلموا بعد فتحها لحفظ الثغر من هجمات الروم[3]، كما وجه خالد بن الوليد نحو ثغر مرعش ففتح حصنه وأجلى عنه أهله وجعله ثغراً وحامية لجند المسلمين[4].

كما أنشأ الخليفة عمر بن الخطاب نظاماً جديداً لإرهاب العدو ومنعه من التفكير في الهجوم على الدولة الإسلامية، وهي حملات كانت تخرج بانتظام سنوياً كالدوريات المنظمة في فصول الربيع والصيف و الشتاء، فالحملة الربيعية تخرج في العاشر من أيار بعد أن يكون الناس قد أربعو دوابهم وحسنت أحوال خيولهم، فيقيمون ثلاثين يوماً وهي بقية أيار وعشرة من حزيران، فإنهم يجدون الكلأ في بلد الروم ممكناً وكأن دوابهم تتربع ربيعاً ثانياً[5].

ثم بعد ذلك يقفلون فيه فيقيمون إلى خمسة وعشرين يوماً، وهي بقية حزيران وخمسة من تموز حتى يقوى ويسمن الظهر، ويجتمع الناس لغزو الصائفة ثم يغزون في العاشر من تموز فيقيمون إلى وقت قفولهم–عودتهم– ستين يوماً[6].

وأما الشواتي فتكون في آخر شباط، وتكون مسيرة عشرين ليلة بمقدار ما يحمل الرجل لفرسه ما يكفيه على ظهره، حيث إنهم يكون العدو في ذلك الوقت أضعف ما يكون نفساً ودواباً، ويجدون مواشيهم كثيرة ثم يرجعون فيربعون دوابهم[7].

---

[1] الطبري، تاريخ الرسل (ج64/4).

[2] المصدر السابق (612/3).

[3] البلاذري، فتوح البلدان (ص 224).

[4] المصدر السابق، ص 224.

[5] قدامة، الخراج (ص 192).

[6] المصدر السابق، ص 192.

[7] المصدر نفسه، ص 193.

ولم تقتصر الصوائف والشواتي على ثغور بلاد الشام فقط، لكنها شملت كل حدود الدولة الإسلامية وقتئذ، وكان يتولاها كبار القادة أمثال أبي عبيدة بن الجراح ومعاوية بن أبي سفيان، والنعمان بن مقرن، ومصعب بن عمير، وعقبة بن نافع وغيرهم[1].

ولعل في قصة خالد بن الوليد خير مثال على ما كان عليه شأن الثغور ومدى الاهتمام بها، حيث أنه في أواخر عمره رضى الله عنه قد اعتزل إلى ثغر حمص، وحبس خيلاً وسلاحاً فلم يزل مقيماً مرابطاً هناك حتى نزل به، فدخل عليه أحد الصحابة عائداً له، فقال خالد بن الوليد: "إن خيلي التي حبست في الثغر، وسلاحي هو ما جعلته عليه، عدة في سبيل الله وقوة يغزى عليها ويعلف من مالي .." [2].

وبذلك تمكن المسلمون في عهد عمر بن الخطاب من تحرير بلاد الشام من الحكم الروماني البيزنطي، وبلغ أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي اللّه عنه قائد الجبهة الشامية أقصى شمال الشام عندما فتح قنسرين ثم أنطاكية، وأسلم بعض أهلها، ورابط فيها المسلمون من أهل النيات والحسبة[3] .

### ت- الخليفة عثمان بن عفان (23-35هـ/643-655م)

مع توسع الدولة الإسلامية وتطورها ازداد اهتمام المسلمين بالثغور وتحصينها، فحدث أن جمع الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه لمعاوية بن أبي سفيان ولاية الشام والجزيرة وكلفه بغزو ثغر شمشاط بنفسه، أو أن يولي من يرتضيه من كبار قواده من أصحاب الخبرة والشجاعة الراغبين في الجهاد والحروب مع الروم، كما كتب له أن يلزم ثغر أنطاكية قوماً يختارهم، وعندما غزا معاوية بن أبي سفيان عمورية، وجد الحصون التي فيما بين ثغر أنطاكية وثغر طرسوس خالية من مقاتلة الروم فجعل بها جماعة من جند الشام والجزيرة وقنسرين[4] .

وبالإضافة إلى قيامه بترميم الحصون التي استولى عليها المسلمون بسواحل دمشق وشحنها بالجند والمقاتلة وبنى المناظير لمراقبة اقتراب العدو، تلك المناظير التي كانت فكرتها تقوم على أنه وفي حال وقوع الخطر يقوم المناظر بإشعال النيران لإخبار الأخرى التي تليها إلى أن يصل

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان (ص 175).
(2) ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج271/12).
(3) البلاذري، فتوح البلدان (ص ص150- 153).
(4) المصدر السابق، ص234.

الخبر إلى المدينة، ليسرع من بها إلى الجهة التي أقبل منها العدو للتصدي له ومنعه من التسلل[1]، كما قام معاوية بأمر من الخليفة عثمان بترميم ثغر عكا وثغر صور[2]، ورمم أيضاً ثغري سميساط و ملطية من ثغور جزيرة الفرات[3].

كما عني الخليفة عثمان بن عفان بأمر الصوائف والشواتي و عمل على تسييرها وتسهيل أمرها في كل عام، لدرجة أنه أمر عامله على الشام معاوية بن أبي سفيان ببناء جسر بمنبج وذلك لمرور الصوائف عليه، وفي عهده توسعت حملات الصوائف والشواتي لتشمل ليس فقط الحدود البرية بل أيضاً البحرية[4].

ولقد استغل حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم أهمية الثغور وفضل المرابطة فيها لمعايرة الخارجين على ولاية الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه والمتآمرين عليه، حيث قال[5]:

أتركتم غزو الدروب وجئتم ....... لقتال قوم عند قبر محمد

فلبئس هدي الصالحين هديتم ...ولبئس فعل الجاهل المتعمد

**ث- الخليفة علي بن أبي طالب (35-40هـ/656-661م) .**

لم تكن الشام ولا ثغورها تحت ولاية الخليفة علي بن أبي طالب، إذ استقل بها معاوية بن أبي سفيان إلى أن تولى الخلافة، ولكن تلك الثغور لم تكن غائبة عن أذهان المسلمين بشأن أهميتها ومكانتها ووجوب استنفاذ الطاقات والجهود لحمايتها وتعزيزها بالرجال والسلاح وتفضيلها على أي صراع داخلي، يدلل على ذلك ما فعله الصحابي الجليل عمرو بن العاص رضى الله عنه، حين أشار على المتصارعين يوم موقعة صفين 37هـ/657م بضرورة رفع المصاحف وندبهم قائلاً: " كتاب الله بيننا وبينكم، من لثغور الشام بعد أهل الشام؟، من لثغور العراق بعد أهل العراق، ومن لجهاد الروم؟"[6].

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان (ص152).

[2] المصدر السابق، ص139.

[3] المصدر نفسه، ص141.

[4] الطبري، تاريخ (ج4/260).

[5] ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج39/539).

[6] مسكويه، تجارب الأمم (ج1/537).

**ثالثاً: في عهد الدولة الأموية**

عند تولي معاوية بن أبي سفيان (41-60هـ/661- 679م) للخلافة، كان يدرك الأهمية الاستراتيجية الكبيرة للثغور حيث أنه كان والياً على الشام، فعزز ما كان بدأه من إقامة نظام ثابت لحماية المناطق الحدودية والشواطئ الإسلامية من هجمات البيزنطيين وحلفائهم المردة[1].

لذا نجده قد وجه اهتمامه للثغور بأنواعها البرية والبحرية على طول حدود الدولة الإسلامية، خاصة وأنه كان قد تولى قيادة الصوائف والشواتي فترة طويلة إبان ولايته على بلاد الشام، فطور تلك الثغور وحصنها، بل كان أول من استخدم سياسة النواقل أو التهجير التي تقوم على تعمير الثغور والحصون بنقل سكان جدد إليها من المناطق الأخرى وإسكانهم فيها، فنقل أقواماً من فرس بعلبك وحمص وأنطاكية إلى ثغور صور وعكا وغيرها، كما نقل أناساً من البصرة والكوفة وحمص إلى ثغر أنطاكية[2]، كما اهتم معاوية بأمر الصوائف والشواتي وولى عليها قادة أكفاء مثل ابنه يزيد بن معاوية، وسفيان بن عوف الغامدي و مالك بن هبيرة وغيرهم[3]، كما أنه أجرى بعض التعديلات الإدارية حيث أنه لما تولى الخلافة كانت قنسرين وكورها مضمومة إلى حمص فجعل قنسرين وأنطاكية ومنبج و ذواتها جنداً برأسه[4].

أما في عهد عبد الملك بن مروان (65-86هـ/685- 705م) فقد رمم ثغر ملطية وثغر مرعش، كما بنى ثغر طرندة[5]، وأعاد بناء حصن المصيصة وعمرها بالجند، كما بنى ثغر عسقلان ورمم ثغور قيسارية و صور وعكا وأردبيل وبرذعة وفتح حصن سنان[6].

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان (ص 120)، طقوش، تاريخ الدولة الأموية (ص30).

[2] البلاذري، فتوح البلدان (ص 139).

[3] الطبري، تاريخ (ج6/ص ص315 – 322).

[4] البلاذري، فتوح البلدان (ص 156).

[5] بلدة في الثغور وهي من ملطية على ثلاث مراحل داخلة في بلاد الروم، نزلها المسلمون بعد أن غزاها عبد الله بن عبد الملك سنة 83 هجرية وبنوا بها مساكن، وملطية يومئذ خراب، ثم نقل الخليفة عمر بن عبد العزيز أهل طرندة إلى ملطية إشفاقاً عليهم وخربت. ياقوت، معجم (ج32/4)، ابن عبد الحق، مراصد(ج886/2).

[6] بلفظ سنان الرمح وحصن سنان في بلاد الروم فتحه عبد الله بن عبد الملك ابن مروان .( ياقوت، معجم البلدان (ج264/2)، ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع (ج742/2).

و في عهده قام الحجاج بن يوسف الثقفي ببناء مدينة واسط[1] التي لعبت دوراً مهماً في إمداد ثغور المشرق بالرجال[2]، كما تم في عهده ربط الثغور بالقيادة المركزية عن طريق البريد[3]، وقد اهتم كغيره من خلفاء بني أمية بحملات الصوائف والشواتي، واختار لها أكفأ القادة وعلى رأسهم ابنه الوليد وابنه عبيد الله وابنه مسلمة وأخوه محمد وغيرهم من كبار القادة[4].

وفي عهد الوليد بن عبد الملك (86–96هـ/705–715م) زاد الاهتمام بالثغور الشامية، بل تم استحداث أربعة نقاط حصينة هي حصن سلوقية وحصن بفراس، وعين السلور والاسكندرونة[5]، وبنى حصن مسلمة بالجزيرة الفراتية، كما رمم حصن بالس، وفتحت حصون أخرى كحصن قوانة وحصن بولق وحصن الأخرم وقمقم وقسطنطينية وحصن غزالة وحصن الستين، وقلعة باب للان وغيرها[6]، كما عُني بحملات الصوائف والشواتي، وولى عليها أخويه مسلمة بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك[7].

وفي عهد سليمان بن عبد الملك (96–99هـ/715–718م) ومع أن خلافته لم تدم طويلاً إلا أنه واصل سياسة سابقيه من الخلفاء في الاهتمام بالثغور، ففتح مدينة الصقالبة وحصن عوف، وحصن المرأة بالقرب من ملطية، كما استمرت في إدارته حملات الصوائف والشواتي، وقد توفي سليمان وهو معسكر بمرج دابق[8] حيث كان في طريقه لفتح القسطنطينية[9].

---

(1) مدينة بين الكوفة والبصرة من الجانب الغربي، كثيرة الخيرات وافرة الغلات. تشقها دجلة. وإنها في فضاء من الأرض صحيحة الهواء عذبة الماء بناها الحجاج سنة أربع وثمانين، وفرغ منها سنة ست وثمانين، وسكنها إلى سنة خمس وتسعين وتوفي في هذه السنة، فأما تسميتها فلأنها متوسطة بين البصرة والكوفة لأن منها إلى كل واحدة منهما خمسين فرسخاً. ياقوت، معجم البلدان (ج347/5)، القزويني، آثار البلاد(ص 478).

(2) الطبري، تاريخ (ج383/6).

(3) التنوخي، الفرج بعد الشدة (ج191/2).

(4) اليعقوبي، تاريخ (ج281/2).

(5) البلاذري، فتوح البلدان (ص 175).

(6) ياقوت، معجم البلدان (ج1/ص ص 245– 246).

(7) اليعقوبي، تاريخ (ج293/2).

(8) من أعمال جند قنسرين، قرب حلب، عندها مرج معشب نزه كان ينزله بنو مروان إذا غزوا الصائفة، وبها قبر سليمان بن عبد الملك، وكان عسكر بها وعزم أن لا يرجع حتى يفتح القسطنطينية أو تؤدي الجزية، فشتى بدابق شتاء بعد شتاء وبقي فيها حتى مات. ياقوت، معجم (ج416/2)، الحميري، الروض (ص 231).

(9) اليعقوبي، تاريخ (ج2/ص ص295– 299).

وفي عهد عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/718-720م) تواصل الاهتمام بالثغور والحدود، حتى أنه اشترى ملطية من الروم بمائة ألف أسير، وقام بترميمها وتحصينها، وأمر بنقل أهل حصن طرندة من الجند وغيرهم إليها إشفاقاً عليهم من الروم الذين كانوا يغيرون باستمرار عليه، وسار بنفسه إلى حصن المصيصة لتفقده والاطلاع على احتياجاته[1].

وفي عهد يزيد بن عبد الملك (101-105هـ/720-724م) تم استكمال تحصين اللاذقية وشحنها بالجند المرابطين[2]، كما ظهر في عهده تقسيم جديد لحملات الصوائف والشواتي، فأصبح هناك ما يعرف بالصائفة اليمنى نحو ثغور الجزيرة والصائفة اليسرى نحو ثغور الشام، يتولى كل منها قائد منفرد عن الآخر[3].

وفي عهد هشام بن عبد الملك (105-125هـ/724-743م) تواصل الاهتمام بالثغور فأنشأ التحصينات في ثغر المصيصة وثغر الربض وحصن المثقب وحصن قطرغاش بالقرب من ثغر المصيصة، كما بنى حصن مورة على الطريق بين أنطاكية والمصيصة، وشحن كل تلك الحصون بالجند، هذا مع اهتمامه بالصوائف والشواتي كغيره ممن سبقه من الخلفاء[4] .

وفي عهد الوليد بن يزيد بن عبد الملك (125-126هـ/743-744م) استمر تعزيز الثغور وتحصينها، فبنى جسراً بين ثغري أذنة والمصيصة سمي بجسر الوليد لتسهيل مرور حملات الصوائف والشواتي، واستمر الأمر كذلك في عهد خليفته يزيد بن الوليد[5].

أما في عهد آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد ( 127-132هـ/745-750م) فرغم الفتن التي سادت الدولة الإسلامية في عهده، إلا أنه واصل اهتمامه بالثغور لحماية حدود الدولة من الأعداء، حتى أنه بنى حصن الخصوص شرقي نهر جيحان[6]، وحصن منصور قرب

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان (ص 196).

[2] المصدر السابق، ص157.

[3] اليعقوبي، تاريخ (ج315/2).

[4] البلاذري، فتوح البلدان (ص 197).

[5] المصدر السابق، ص199

[6] جَيْحَانُ، وَيُقَالُ لَهُ جَيْحُونُ أَيْضًا، تسميه لعامة جاهان، ،أصله من بلاد الروم، يسير من بلاد سيس من الشمال للجنوب، وهو يقارب الفرات في القدر، يجتمع هو وسيحان عند أذنه وصيران نهراً واحداً، ثم يصبان في البحر عن بياس، وطرطوس ، يجاوره نهر آخر يقال له سيحان، أو سيحون: نهر يحيط بأرض كوش وهو نهر

سميساط في ديار مضر غربي الفرات، كما رمم بعض الحصون التي خربها الروم من مرعش وغيرها[1].

ومما تقدم يتضح أن الثغور كانت لها أهمية وضرورة كبيرة في تاريخ الدولة الإسلامية الناشئة التي جاءت على حساب إمبراطوريات ودول عظمى كالدولة البيزنطية، وسيتعرف القارئ الكريم على تقسيمات الثغور ونبذة عن أبرز تلك الثغور والتطور الإداري الذي حصل لبعضها، وكل ذلك في الفصل الثاني من الدراسة ....

---

أذنة من الثغر الشامي، ويصب في البحر الرومي، ومخرجه من نحو ثلاثة أيام من ملطية، ويجري في بلاد الروم وليس للمسلمين عليه إلا مدينة أذنة بين طرسوس والمصيصة. أما جيحان، أو جيحون: نهر عظيم مخرجه من بلاد الروم من عيون تعرف بعيون جيحان على ثلاثة أيام من مدينة مرعش، ويخرج إلى البحر الرومي وهو بحر الشام. ابن كثير، البداية والنهاية (ج1/ 61)، الحميري ،الروض المعطار (ص 185).

[1] البلاذري، فتوح البلدان(ص196).

# الفصل الثاني:

# تقسيمات الثغور في العصر العباسي الأول

**مقدمة:**

بعد أن بينا فيما سبق معنى الثغور وأهميتها ونشأتها وتطورها، فإننا سنوضح فيما يلي أبرز تلك الثغور وتقسيماتها، وقد حرص الباحث على التعريف بالثغور المشهورة والتي كانت محل توافق بين المؤرخين والجغرافيين على حد سواء، ولم يتم التطرق لبعض الأماكن والحصون التي لم تكن تنطبق عليها صفة الثغر، ولم تكن محل اتفاق بين الجغرافيين، وعند المرور على ذكرها يتم التعريف بها فقط.

وحتى تتضح لنا معالم المنطقة الثغرية أكثر، فقد كانت الحدود بين بلاد المسلمين والروم في عهد الأمويين ومن قبلهم الراشدين، تتألف من سلسلتي جبال طوروس وطوروس الداخلة (جبل اللكام)، وفي العهد العباسي بقيت تلك الحدود على حالها، حيث كان يعينها ويحميها خط طويل من القلاع (الثغور)، يمتد من ملطية على الفرات الأعلى من جهة الشمال الشرقي إلى طرسوس بالقرب من ساحل البحر الأبيض المتوسط من الجهة الغربية[1]، ويضاف إليها الحدود البحرية والتي تبدأ من اللاذقية شمالاً حتى رفح على ساحل الشام الجنوبي، وينقسم خط القلاع تلك إلى مجموعتين: إحداهما تحمي الشام (وتسمى الثغور الشامية) وهي الشمالية الغربية، والثانية تحمي الجزيرة (وتسمى الثغور الجزرية) وهي الشمالية الشرقية[2].

ويمكن تقسيم الثغور في العصر العباسي الأول وبحسب طبيعتها الجغرافية إلى فئتين: بحرية وبرية، فالبحرية هي التي تلقاها بلاد العدو وتقاربه من جهة البحر، وأما البرية فهي التي تلقاها بلاد العدو وتقاربه من جهة البر[3]، ويكاد المؤرخون يتفقون على أن الثغور البحرية في معظمها شامية، وذلك لأن الشام هو الذي يشرف بسواحله على البحر المتوسط، وأبرز تلك الثغور: اللاذقية وبانياس وطرطوس وجبلة وبيروت وصيدا وصور وجبيل، وقيسارية وعكا ويافا وعسقلان وغزة[4].

---

[1] كرد علي، خطط الشام (ج11/1)، البدرشيني، الأوضاع السياسية والعسكرية (ص9).

[2] ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية (ص126).

[3] قدامة، كتاب الخراج (ص 253)، دياب، المسلمون وجهادهم (ص3).

[4] قدامة، كتاب الخراج (ص ص 186- 188).

أما الثغور البرية فان تقسيماتهم لها تتعدد وتتنوع كل حسب رؤيته والأساس الذي بني عليه التقسيم، ففي حين جعلها البعض شامية فقط، جعلها البعض الآخر قسمين شامية وجزية، بينما جعلها الجزء الثالث ثلاثة أقسام شامية، جزرية وبكرية[1].

وإن أبرز من جعل الثغور البرية عبارة عن نوعين هو الإصطخري، حيث يقول: " وقد جُمعت إلى الشام الثغور الشامية، وبعض الثغور تعرف بثغور الجزيرة، وكلاهما من الشام، وذلك أن كل ما وراء الفرات من الشام، وإنما سميّ من ملطية إلى مرعش ثغور الجزيرة، لأن أهل الجزيرة بها يرابطون وبها يعرفون، وبين ثغور الشام وثغور الجزيرة جبل اللّكام وهو الفاصل بين الثغرين"[2].

وهذا الخلاف أكدته حمودي في دراستها "الجزيرة الفراتية" حيث تقول: "أما مدن الجزيرة فكانت موضع خلاف بين الجغرافيين، فالمدن التي ضمتها الأقسام الثلاثة من الجزيرة– ديار بكر وديار ربيعة وديار مضر– لم تكن مستقرة، فكثيراً ما ضُمت مدن للجزيرة من الشام فكانت بين مد وجزر بين البلدين، إذ أن هناك تداخل بين مدن الجزيرة وثغورها ومدن الشام وثغورها"[3].

وقد قسم هؤلاء الجغرافيين[4] الثغور إلى نوعين أساسيين هما[5]:

**الثغور الشامية:** وهي الثغور التي تحيط ببلاد الشام من الشمال وخصصت للدفاع عنها، وتقع في الجزء الشمالي الغربي لإقليم الثغور، ومن أبرزها: طرسوس، أذنة، المصيصة، عين زربة، الكنيسة السوداء، والهارونية.

**الثغور الجزرية:** والتي سُميت بذلك لوقوعها على أرض الجزيرة الفراتية، ومهمتها حماية إقليم الجزيرة وشمال العراق وتقع في الجزء الشمال الشرقي لإقليم الثغور، ومن أبرز تلك الثغور: ملطية، زبطرة، الحدث، حصن منصور، مرعش، كيسوم، سميساط ويضاف إليها ثغر شميشاط.

---

[1] قدامة، الخراج (ص 185)، دياب، المسلمون وجهادهم (ص 3).

[2] الإصطخري، المسالك ( ص41)، ابن حوقل، صورة الأرض (ج154/1).

[3] الجزيرة الفراتية ( ص 28– 29).

[4] مثل ابن خرداذبة، أبن حوقل، الإصطخري وابن رستة .

[5] البدرشيني، الأوضاع السياسية (ص11).

وأما قدامة بن جعفر في كتابه "الخراج" فيقسم الثغور الإسلامية فيجعلها ثلاثة أقسام: بحرية تواجه العدو(الروم) من ناحية البحر فحسب، برية مواجهة لبلاد العدو من ناحية البر فقط، والثالثة يجتمع فيها الأمران، فهي برية بحرية، يحارب المرابطون فيها الأعداء عن طريق البر والبحر[1]، ثم يقسم البرية تقسيماً مفصلاً إلى ثلاثة أقسام: شامية، جزرية، بكرية، فالثغور الشامية: طرسوس، أذنة، المصيصة، عين زربة، الكنيسة السوداء، الهارونية وبالس، والثغور الجزرية: مرعش، الحدث، زبطرة، كيسوم، حصن منصور، وملطية سميساط، والثغور البكرية: حاني، ملكين، قاليقلا[2].

وعلى أية حال فإن الثغور الجزرية هي التي ترتكز إلى أرض الجزيرة في شمال العراق من جهة وأرض الشام من جهة أخرى، كما تتصل من ناحية الشرق والشمال الشرقي بأرمينية، ومن ناحية الشمال بآسيا الصغرى، ويقع إلى الغرب منها ساحل البحر المتوسط الذي سماه العرب بحر الروم، وهي من الناحية الجغرافية تُعد ثغور شامية، حيث أن إقليم الجزيرة وشمال الشام يمثلان وحدة تتمم بعضها بعضاً، من حيث ارتباط حصونها وتعرضها لأغارات البيزنطيين[3].

كما وكانت ثغور الجزيرة تعمل غالباً مع ثغور الشام كقاعدة للحملات المشتركة على الأراضي البيزنطية، إلا أنه حدث نوع من التخصيص لتلك الثغور حيث أُوكلت مهام حماية الحدود الإسلامية للثغور الجزرية، ومهمة الهجوم على الأراضي البيزنطية للثغور للشامية[4].

وتبعاً لما سبق من كلام الجغرافيين، فإننا نرى أن يتم تقسيم الثغور إلى أقسام على النحو التالي:

- الثغور البرية (الشامية)
- الثغور البرية الجزرية
- الثغور البحرية
- العواصم.

---

[1] الخراج (ص 185).

[2] المصدر السابق (ص ص 186- 188).

[3] دياب، المسلمون وجهادهم(ص 22).

[4] البدرشيني، الأوضاع السياسية (ص11).

## المبحث الأول: الثغور البرية الشامية

تقع الثغور البرية الشامية في الشق الشمالي الغربي لإقليم الثغور الفاصل بين بلاد الشام وبلاد الروم، وتضم: طرسوس، أذنة، المصيصة، عين زربة، الكنيسة السوداء، الهارونية وبالس، وكانت مهمتها دفاعية هجومية، فمن ناحية خُصصت للدفاع عن بلاد الشام، ومن ناحية أخرى كانت تشن منها الهجمات الرئيسية نحو بلاد الروم بشكل عام وبيزنطة بشكل خاص[1].

وفيما يلي تعريف بتلك الثغور، وقد تم اعتبار الموقع الجغرافي أساساً في ترتيبها حيث تم البدء بالثغر الأقرب إلى حدود العدو ثم الأقرب فالأقرب:

### 1_ طرسوس

بفتح الطاء والراء، من مدن آسيا الصغرى، على ساحل البحر الأبيض المتوسط إلى الشمال الغربي من أنطاكية[2]، بينها وبين حدّ الروم جبال منيعة متشعبة من اللكام[3]، تشرف على المدخل الجنوبي للدرب المشهور عبر جبال طوروس المعروف بأبواب قليقية[4]، وأهل مدينة طرسوس قوم من كندة[5].

فُتحت طرسوس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب على يد القائد أبو عبيدة بن الجراح حيث غزا الصائفة فمرّ بالمصيصة، حتى وصل إلى طرسوس، وكان قد جلا أهلها وأهل الحصون التي تليها، وقيل إنما وجه لها ميسرة بن مسروق العبسي ليفتحها[6].

وبعد أن فتحها المسلمون سيطر عليها الروم مرة أخرى، ثم أعيد فتحها على يد جنادة بن أبي أمية الأزدي سنة 53هـ/673م، في غزو المسلمين للقسطنطينية زمن معاوية بن أبي سفيان رضي اللّه عنه[1].

---

(1) الإصطخري، المسالك ( ص41)، ابن حوقل، صورة الأرض (ج154/1).

(2) ياقوت، معجم البلدان (ج30/4).

(3) ابن حوقل، صورة الأرض (ج122/1).

(4) ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية (ص 164).

(5) اليعقوبي، البلدان (ص 162)، كرد علي، خطط الشام(ج27/1).

(6) البلاذري، فتوح البلدان (ص168).

كانت طرسوس قاعدة لانطلاق القوات الإسلامية إلى بلاد الروم طيلة عهد بنى أمية، فكانت تنطلق منها قوات الجهاد الإسلامي إلى القسطنطينية، وإلى بلاد الروم سنوياً على نظام الصوائف والشواتي التي استنها معاوية بن أبي سفيان في حرب الروم، وكانت قاعدة لانطلاق القوات البيزنطية إلى بلاد الإسلام عندما كان الروم يغتنمون غرّة من المسلمين أو ضعفاً كانوا ينطلقون منها كما فعلوا عندما هاجموا أنطاكية سنة 79هـ/698م[2].

وفي العصر العباسي الأول وتحديداً في عهود كل من المهدي والرشيد والمأمون تم إعادتها إلى سيطرة المسلمين وأعيد بنائها وإعادة عمارتها وتم إنزال الناس بها[3].

وقد وُصفت طرسوس بأنها تشرف على ضفة البحر، وبها أسواق عامرة وتجارات دائرة[4]، وأن بها الكثير من الأشجار المثمرة مثل الزيتون والكرم والبرتقال والليمون والمشمش والتين والفستق والجوز، أما باقي الأشجار فتأتي في الدرجة الثانية وأنواعها كثيرة مثل التفاح والكمثرى والخوخ واللوز والرمان والدراق والسفرجل والموز والنخل والصبار والتوت والعناب والخروب، بالإضافة إلى غيرها من الثمار[5].

**2_ أذنة**

بفتح أوله وثانيه، وثالثه وسكون آخره، بلد من الثغور الشامية قرب المصّيصة ويفصل بينها وبين طرسوس[6]، بُنيت على يد مسلمة بن يحيى البجلي بأمر من صالح بن علي سنة 144هـ/761م[7]، وقيل سنة 141هـ/760م أو 142هـ/759م، شُحنت بالجنود من أهل خراسان

---

(1) اليعقوبي، تاريخ (ج240/2).

(2) ابن كثير، البداية والنهاية(ج30/9).

(3) ابن الوردي، تاريخ (ج194/1)، ابن خلدون، تاريخ (ج320/30)، المصري، طرسوس(ص 109).

(4) الإدريسي، نزهة المشتاق (ج644/2).

(5) كرد علي، خطط الشام (ج179/4).

(6) ياقوت، معجم البلدان (ج133/1).

(7) ابن خياط، تاريخ خليفة (ص421).

مع مسلمة بْن يحيى البجلي ومن أهل الشام مع مالك بْن أدهم الباهلي حيث كان قد وجههما صالح بْن علي إليها[1].

ثم أُعيد بنائها سنة 194هـ/810م على يد أَبُو سليم فرج الخادم صاحب أنطاكية، فأحكم بناءها وحصنها وندب إليها رجالاً من أهل خراسان وغيرهم على زيادة في العطاء، وذلك بأمر محمد بن الرشيد فرم قصر سيحان والذي كان بُني سنة 165هـ/782م في عهد المهدي[2].

ووصفت أذنة بأنها ذات موقع استراتيجي حيث يجتمع عندها نهرا سيحان وجيحان فيصيران نهراً واحداً، ثم يصبان في بحر الروم بالقرب من طرسوس[3].

**3_ المصيصة**

بالفتح ثم الكسر والتشديد وياء ساكنة وصاد أخرى، من ثغور الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس، وهي مسماة فيما زعم أهل السّير باسم الذي عمرها وهو مصيصة بن الروم بن اليمن بن سام بن نوح عليه السلام[4].

تقع المصيصة على ساحل نهر جيحان حيث يمر النهر مَا بَين المصيصة وربضها المسمى كفرينا حتى يصب في البحر الشّامي على أربعة أميال من المصيصة[5].

غزاها القائد الأموي عبد الله بن عبد الملك بن مروان سنة 84هـ/703م، فدخل من درب أنطاكية وأتى المصيصة فبنى حصنها على أساسه القديم، ووضع بها سكاناً من الجند، فيهم ثلاثمائة رجل انتخبهم من ذوي البأس والنجدة، ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك، وبنى فيها

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان (ص 168).

[2] ابن الأثير، فتوح البلدان (ص 169).

[3] ابن الجوزي، المنتظم(ج161/1)، ابن كثير، البداية والنهاية (ج61/1).

[4] ياقوت، معجم البلدان (ج144/5).

[5] ابن حزم، الملل والأهواء والنحل (ج95/1).

مسجداً فوق تل الحصن، وبذلك أتم بناء المصيصة وشحنها سنة 85هـ/704م[1]، ثم خربت بعد ذلك نظراً لمجاورتها للبلاد الرومية[2].

أُعيد إعمار المصيصة في العصر العباسي الأول وأُسكن الناس بها وسُميت بالمعمورة[3]، كما كانت تسمى أيضاً بغداد الصغيرة لأنها كانت على جانبي النهر، وقد وُصف أهلها بأنهم فتيان فرسان ظرفاء شجعان[4]، كما وصفت بأنها مدينة: "خضرة نضرة، جليلة الأهل، نفيسة القدر، كثيرة الأسواق، حسنة الأحوال"[5].

وقد وصفت كذلك بأنها مشهورة بصناعة الفراء، والتي يطلق عليها الفراء المصيصية الشهيرة وغالية الثمن، ويعمل بها عيدان السروج التي يبالغ بثمنها إلى هذه الغاية، ولم يكن على وجه الأرض بلد يعمل فيه الحديد المحزوز للكراسي الحديد واللجم والمهاميز والعمد والدبابيس كما يُعمل بها[6].

**4_ عين زربة[7]**

بفتح الزاي، وسكون الراء، وباء موحّدة، وألف مقصورة، ويعتقد أن تكون سُميت بذلك نسبة إلى زرب الغنم أي مأواها، وهي بلدة تقع بمنطقة الثغور من نواحي المصّيصة[8]، حيث تبعد عنها مسير يوم، وتقع على سفح جبل مشرف عليها[9].

بُنيت وأُتقن بنائها في العصر العباسي الأول[1]، وفي سنة180هـ/796م أعيد بنائها وتحصينها مرة أخرى، بعد أن قل سكانها ووهن عمرانها، وبعد أن عُمرت نُدب إليها خلقاً كثيراً من أهل خراسان وغيرهم وأُقطعوا بها المنازل[2].

---

[1] قدامة، الخراج (ص307).

[2] ياقوت، معجم البلدان (ج159/5).

[3] قدامة، الخراج (ص )308، ياقوت، معجم البلدان (ج159/5).

[4] المهلبي، المسالك والممالك (ص 104).

[5] ابن حوقل، صورة الأرض (ج168/1).

[6] المهلبي، المرجع السابق (ص104).

[7] تكتب أيضاً ب( عين زربي) وهو المشهور عند الجغرافيين أنها بالألف المقصورة". المزي، تهذيب (ج98/2).

[8] ياقوت، معجم البلدان (ج177/4).

[9] ابن خرداذبة، المسالك والممالك (ص 229)، ابن حوقل، المرجع السابق (ج188/1).

وكان قد نُفى إلى عين زربة سبعة وعشرون ألفاً من الزط وذلك في عهد الخليفة العباسي المعتصم، فأغارت الروم عليهم فاجتاحوهم عن آخرهم، ولم يفلت منهم أحد، فكان آخر العهد بهم[3].

وقد وصفت عين زربة بأنها مثل مدن الغور[4]، حيث يكثر بها النخيل والخصب والسعة في الثمار والزرع وكانت حسنة الداخل والخارج، نزهة من داخل سورها، جليلة في جميع أمورها[5].

**5_ الكنيسة السوداء**

بلد بثغر المصّيصة، سُميت السوداء لأنها بنيت بحجارة سود بناها الروم قديماً[6]، ويُقال لها الكنيسة المحترقة أيضاً حيث أغارت الروم عليها وأحرقتها فسميت بذلك، وحالها في الخراب والعمارة حال بقية مدن الثغور[7].

وكانت الكنيسة السوداء مبنية من حجارة سود بناها الروم على وجه الدهر، ولها حصن قديم أُخرب فيما أُخرب، فأمر الرشيد ببناء مدينة الكنيسة السوداء وتحصينها وندب إليها المقاتلة وزادهم في العطاء[8].

والكنيسة عبارة عن حصن فيه منبر، وهو ثغر في معزل من شاطئ البحر[9]، ومن الهارونية إلى الكنيسة السوداء مسير يوم خفيف[10].

---

(1) ابن العديم، بغية الطلب (ج173/1).

(2) قدامة، الخراج (ص311).

(3) ابن كثير، البداية والنهاية (ج309/10).

(4) من مدن الغور: أيلة، وديار قوم لوط والبحيرة المنتنة(البحر الميت) وزغر وبيسان وطبريّة وبعضها من الاردنّ وبعضها من فلسطين وسميت الغور بهذا الاسم لأنها بين جبلين وسائر بلاد الشام مرتفع عليها. الاصطخري، المسالك (ص 56).

(5) ابن حوقل، صورة الأرض (ج182/1).

(6) ياقوت، معجم البلدان (ج485/4).

(7) ابن العديم، بغية الطلب (ج173/1).

(8) البلاذري، فتوح البلدان (ص 171).

(9) ابن العديم، المرجع السابق (ج173/1).

(10) الإدريسي، نزهة المشتاق (ج814/2).

وتعرضت الكنيسة السوداء لإحدى غارات الروم سنة 189هـ/805م[1]، حيث سيطروا عليها واستولوا على ما بها من الماشية وأسروا عدداً من أهلها، فلما علم أهل المصيصة ومن بها من المتطوعة بذلك، نفروا إليها واستطاعوا استنقاذ من تم أسرهم وقتلوا من الروم عدداً كبيراً، ومن بقي من الروم عاد إلى بلاده خائباً، وبعد ذلك وجه القاسم بن الرشيد إلى الهارونية من يعيد تحصينها وترميمها، وزاد من بها من الرجال والمتطوعين[2].

**6_ الهارونيّة**

هي مدينة صغيرة قرب مرعش بالثغور الشامية في طرف جبل اللكام الغربي[3]، وتُعد آخر حدود الثغور الشامية مما يتصل بالحدود الجزرية، وبينها وبين الكنيسة السّوداء اثنا عشر ميلاً[4]، وبينها وبين مدينة مرعش أقل من مسيرة يوم[5].

سُميت باسم الخليفة هارون الرشيد، حيث بناها في عهد أبيه الخليفة العباسي المهدي عندما كان ولياً للعهد سنة 183هـ/799م[6]، وشحنها أيضاً بالمقاتلة ومن نزع إليها من المطوّعة، ثم أتم بناءها في خلافته[7].

وقد وصفت الهارونيّة بأنها في غاية العمارة، وأهلها في جهادهم في نهاية الجلد والشطارة يغزون فيغنمون ويتلصّصون على بلد الروم فيسلمون، وقد ملكها الروم أكثر من مرة[8].

**7_ بالِس**

مدينة صغيرة على شطّ الفرات، وهى أوّل مدن الشام من جهة العراق والطريق إليها عامر، وهى فرضة الفرات لأهل الشام[1]، وهي تقع بين حلب والرّقة، سميت فيما ذكر ببالس بن الروم

---

[1] ابن خياط، تاريخ (ص 458).
[2] البلاذري، فتوح البلدان (ص 171).
[3] ياقوت، معجم البلدان (ج388/1).
[4] المهلبي، المسالك والممالك (ص 107).
[5] الاصطخري، المسالك (ص 61).
[6] ابن العديم، بغية الطلب (ج173/1).
[7] البلاذري، فتوح البلدان (ص171).
[8] ابن حوقل، صورة الأرض (182/1).

بن اليقن بن سام بن نوح عليه السلام، وكانت على ضفّة الفرات الغربية، فلم يزل الفرات يشرّق عنها قليلاً قليلاً حتى صار بينها وبينه أميال[2].

فُتحت على يد أبو عبيدة بن الجراح حين نزل عراجين[3] وقدّم مقدّمته إلى بالس، وبعث جيشاً عليه حبيب بن مسلمة إلى قاصرين[4].

وكانت بالس وقاصرين لأخوين من أشراف الروم أُقطعا القرى التي بالقرب منهما وجُعلا حافظين لما بينهما من مدن الروم، فصالحهم أهلها على الجزية أو الجلاء، فجلا أكثرهم إلى بلاد الروم وأرض الجزيرة وقرية جسر منبج، وأسكن بالس وقاصرين قوماً من العرب والبوادي ثم رفضوا قاصرين، فكانت بالس والقرى المنسوبة إليها في حدها الأعلى والأوسط والأسفل أعذاء[5] عشرية[6].

عسكر بها الأمير الأموي مسلمة بن عبد الملك لما كان في طريقه لغزو بلاد الروم، ثم توجه غازياً إلى الروم من نحو الثغور الجزرية، فأتاه أهلها وأهل القرى المنسوبة إليها مثل بويلس وقاصرين وعابدين وصفّين، فسألوه جميعاً أن يحفر لهم نهراً من الفرات يسقي أرضهم على أن يجعلوا له الثلث من غلّاتهم بعد عشر السلطان الذي كان يأخذه، فحفر النهر المعروف بنهر مسلمة ووفوا له بالشرط[7].

كما وقام الأمير مسلمة برمّ سور المدينة وأحكمه، فلما مات صارت بالس وقراها لورثته، فلم تزل في أيديهم حتى جاءت الدولة العباسية، وقبض عبد الله بن عليّ أموال بني أمية، فدخلت

---

(1) الاصطخري، المسالك والممالك (ص 62).

(2) ياقوت، معجم البلدان (ج382/1).

(3) بلد له ذكر في الفتوح، سار إليه أبو عبيدة من رعبان ودلوك وفتحه. ياقوت، معجم البلدان (ج92/4).

(4) بلد كان بقرب بالس، له ذكر في الفتوح. ياقوت، معجم البلدان (ج297/4).

(5) جمع عذي، وهو الزرع الذي لا يسقيه إلا المطر. الزبيدي، تاج العروس (ج238/10).

(6) البلاذري، فتوح البلدان (ص151)، ياقوت، معجم البلدان (ج328/1).

(7) ياقوت، معجم البلدان (ج329/1).

فيها فأقطعها الخليفة العباسي السفاح لمحمد بن سليمان بن عليّ بن عبد الله بن عباس، فلما مات صارت للرشيد، فأقطعها ابنه المأمون فصارت لولده من بعده[1].

---

[1] المصدر السابق، ص 329.

**المبحث الثاني: الثغور الجزرية**

تقع الثغور الجزرية في الشق الشمالي الشرقي لإقليم الثغور الفاصل بين بلاد الشام وبلاد الروم، وتضم ملطية، مرعش، الحدث، زبطرة، كيسوم، حصن منصور، سميساط ثم شمشاط، وكانت مهمتها دفاعية هجومية أيضاً، فمن ناحية خُصصت للدفاع عن بلاد الشام وشمال العراق، ومن ناحية أخرى كانت تُشن منها الهجمات الرئيسية نحو بلاد الروم بشكل عام وأرمينية بشكل خاص[1].

وفيما يلي تعريف بتلك الثغور:

**1_ ملطية**

بفتح أوّله وثانيه، وسكون الطاء، وتخفيف الياء، وهي بلدة من بلاد الروم مشهورة تتاخم الشام[2]، كان الروم يسمونها ملطيا[3]، وقيل ملابي فعُرب إلى ملطية[4]، وكان الإسكندر أول من بناها، ثم بناها الأمويون سنة 123هـ/741م في أواخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك[5]، وهي من أجل الثغور الإسلامية المتاخمة للحدود البيزنطية وأكثرها عدة وعتاداً[6]، وكانت فيما سبق مدينة كبيرة ومحصنة غير أن الروم تغلبوا عليها عدة مرات، وغيروا من محاسنها ولم يبقوا منها إلا شيئاً يسيراً[7]، وقد عُمرت في العصر العباسي الأول سنة140هـ/757م في عهد الخليفة أبي جعفر المنصور، واستمر بنائها مع مسجدها ما بين ستة أشهر إلى اثني عشر شهراً[8]، وعاد إليها من بقي من أهلها[9].

---

[1] الإصطخري، المسالك ( ص41)، ابن حوقل، صورة الأرض (ج154/1).

[2] ياقوت، معجم البلدان (ج5/ص ص192– 193).

[3] ابن العديم، بغية الطلب (ج251/1)، ابن شداد، الأعلاق الخطيرة (ج184/1).

[4] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة (ج184/1).

[5] البلاذري، فتوح البلدان (ص 190).

[6] ليسترنج، بلدان الخلافة (ص 152).

[7] الإدريسي، نزهة المشتاق (ج2/ص ص650–651).

[8] البلاذري، فتوح البلدان (ص191)، قدامة، الخراج (ص 319).

[9] ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ص 448).

تقابل ملطية بلاد الروم وجهاً لوجه بخلاف الثغور الأخرى حيث وصفها قدامة في كتابه الخراج: " وهو الخارج في بلد العدو من جميع هذه الحصون، وكل واحد بينه وبين بلد العدو درب وعقبة، وثغر ملطية مع بلد العدو في بقعة وأرض واحدة، وكان يواجه هذه الثغور، ويقابلها من بلد الروم خرشنة[1] وعمل الخالدية"[2].

ظلت ملطية لبضعة قرون مركزاً لالتقاء وتقاطع الطرق التجارية والعسكرية بين الجزيرة الفراتية والعراق من جهة، وبين آسيا الصغرى والقسطنطينية من جهة أخرى[3]، وتعتبر نقطة التقاء عدة طرق، ومدخلاً لآسيا الصغرى بالنسبة لجيوش المسلمين القادمة من الشرق، ومدخل الجزيرة بالنسبة لجيوش الروم القادمة من الغرب[4].

ولقد كانت ملطية دائماً تحت الضغط البيزنطي لعدة عوامل أهمها: موقع ملطية الاستراتيجي كخط دفاع أمامي للحدود البيزنطية وكمركز هام لتموين الحملات الإسلامية إلى الأراضي البيزنطية، وأيضاً لضرب إمدادات المسلمين والتخلص من خطرهم، كما أن منطقة ملطية كانت مقراً للبوليسيين الهراطقة[5] الذين عملت بيزنطة بشكل دائم على محاربتهم[6].

وقد وُصفت ملطية بأنها مدينة كبيرة ومستوية ومحصنة حيث تحيط بها الجبال من كل جانب، وتعد ملتقى شبكة كبيرة من الطرق الهامة ووديان الأنهار، وإقليمها به رخاء واسع لوفرة مياهه[7]، ومشهور بثماره وأشجاره لا سيما ثمار الجوز[8].

---

[1] بلد قرب ملطية من بلاد الروم، وقالوا: سمي خرشنة باسم عامرة، وهو خرشنة بن الروم بن اليقن بن سام بن نوح، عليه السلام. ياقوت، معجم البلدان(ج2/359).

[2] قدامة، الخراج (ص 187).

[3] المقدسي، أحسن التقاسيم (ص 148)، مصطفى، دولة بني العباس (ج2/331).

[4] دياب، المسلمون وجهادهم (ص 28).

[5] عاشت طائفة البوليسيين في وادي الفرات الأعلى ومركزها الرئيسي ملطية وهي وإن انتمت إلى الكنيسة فإن كنيسة قسطنطينية عدتها هرطقة، وغالبًا ما جردت بيزنطة حملات عسكرية ضدها، ويعرفون الآن في تركيا باسم العلويين، و يتجاوز عددهم 20 مليون، بينما تقول سلطات تركيا أن عددهم لا يتجاوز نصف ذلك، يرى بعضهم أن الطائفة الموجودة في إيران باسم (علي إلهي) مرتبطون بهم من حيث الأصول. حمودي، الجزيرة (ص129).

[6] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة (ج1/169).

[7] ابن العديم، بغية الطلب (ج1/234).

[8] الإصطخري، المسالك والممالك (ص 46).

ويذكر القزويني:" أن ملطية بها جبل فيه عين، هذه العين يخرج منها ماء عذب، ضارب إلى البياض، يشربه الإنسان لا يضره شيئاً، فإذا جرى مسافة يسيرة يصير حجراً صلداً"[1].

**2_ مرعش**

مرعش بالفتح ثم السكون وعين مهملة مفتوحة وشين معجمة، هي مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم[2]، وتسمى باللغة اليونانية مراسيون MARASION، وتقع على نهر جيحان، وهي أول درب الحدث[3]، وهي من حصون الشام الشمالية بينها وبين أنطاكية مسير أربعة أيام[4]، وهى ثغر ليس وراءه إلّا عمارات العدوّ بخمسة فراسخ، وأوّل ما يحادّ الثغور الشاميّة ويليها ثغر الحدث[5] الذي سيأتي ذكره بعد قليل.

فُتحت بعد أن قام أبو عبيدة بن الجراح بتوجيه خالد بن الوليد إليها والذي كان بمدينة منبج، ففتح حصنها بعد أن أعطى أهلها الأمان مقابل الجلاء عنه ثم أخربه[6]، ثم بناها الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه وأسكنها الجند[7].

وبعد موت يزيد بن معاوية كثرت غارات الروم عليها فانتقل منها الجند، ثم إن العباس بن الوليد صار إلى مرعش، فعمرها وحصنها ونقل الناس إليها وبنى لهم مسجداً جامعاً، وكان يقطع في كل عام أهل قنسرين بعثاً اليها، فلما كانت أيام مروان وشُغل بمحاربة أهل حمص، خرجت الروم فحصرتها حتى صالحهم أهلها على الجلاء، فجلوا إلى الجزيرة وجند قنسرين بعيالاتهم، فقام الروم بإخرابها، فلما فرغ مروان من أهل حمص بعث جيشاً لبناء مرعش فبُنيت ومُدنت[8].

---

(1) القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (ص 564).

(2) ياقوت، معجم البلدان (ج107/5).

(3) موقع الإسلام، تعريف بالأماكن (ج311/2).

(4) ابن الجوزي، تقويم البلدان (ص 262).

(5) ابن خرداذبة، المسالك والممالك (ص216).

(6) قدامة، الخراج (ص319)، ابن الأثير، الكامل (ج387/4).

(7) بن خياط، تاريخ خليفة( صـ 167)، البلاذري، فتوح البلدان (صـ 189).

(8) قدامة، الخراج (ص 319).

وفي العصر العباسي تحديداً في عهد المهدي هاجمها الروم مرة أخرى في ثمانين ألفاً، فقتلوا وسبوا عدداً كبيراً من سكانها المسلمين بعد أن حاصروها وحاصروا حصنها، ما اضطر الخليفة المهدي للاستعداد لغزو الروم في ذلك الوقت[1].

وقد وصفت مرعش بأنها مدينة نزهة عامرة صغيرة ذات زروع كثيرة ومياه جارية[2]، يمر بها نهر يسمى البَردَانُ[3] بحيث يسقي بساتينها وضياعها، ومخرجه من أصل جبل مرعش، ويسمى ذلك الجبل بالأقرع[4].

**3_ الحدث**

بفتح أوّله وثانيه، وبالثاء المثلثة، موضع بقرب ثغر مرعش السابق ذكره من الثغور الجزريّة[5]، يطلق عليها الروم لفظ أداتا adata[6]، وهي قلعة ثغرية حصينة بين ملطية ومرعش، ويقال لها الحمراء لأنّ تربتها جميعاً حمراء، وقلعتها على جبل يقال له الأحيدب[7]، وسمّى بذلك الإسم لأحديدابه[8].

وتقع الحدث على الدرب من مرعش إلى عربسوس[9] وهي على ضفاف نهر آق صو أحد منابع جيحان[10]، ويفصل بينها وبين مرعش مسيرة يوم[11]، حيث أنهما مدينتين متقاربتين في الكبر، ولهما أسوار حصينة وبهما أسواق ويقصد إليهما بالتجارات والمنافع[12].

---

(1) ابن الأثير، الكامل (ج226/5).

(2) ياقوت، معجم البلدان (ج376/1)، مجهول، حدود العالم ( ص 175).

(3) نهر يخرج من بلد الروم، ويمتد إلى طرسوس، ويشق وسطها، ثم يصب في البحر الشامي على خمسة أميال منها، وتجري فيه السفن، وماؤه موصوف بشدة البرد صيفاً، فاتر شتاءً. ابن العديم، بغية الطلب (ج389/1).

(4) الزبيدي، تاج العروس (ج424/7).

(5) البكري، معجم ما استعجم (ج429/2).

(6) ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية (ص154).

(7) ياقوت، معجم البلدان (ج227/2).

(8) الأندلسي، المرجع السابق (ج121/1).

(9) بلد من نواحي الثغور قرب المصيصة. ياقوت، معجم البلدان (ج96/4).

(10) ليسترنج، المرجع السابق (ص ص 154-155).

(11) ابن حوقل، صورة الأرض (ج188/1).

(12) الإدريسي، نزهة المشتاق (ج652/2).

فتحها المسلمون مع حصنها في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يد حبيب بن مسلمة الفهري[1]، ثم تناوب المسلمون والروم في الاستيلاء عليها[2]، وكان معاوية بن أبي سفيان يتعهد حصنها بعد ذلك[3].

لها درب اشتهر بدرب الحدث ويمتد من مرعش نحو الشمال قاطعاً جبل طوروس، وكثيراً ما سلكه المسلمون في غزواتهم لبلاد الروم[4]، وكان بنو أمية يسمونه درب السلامة للطيرة، لأن المسلمين كانوا أصيبوا به فكان ذلك الحدث فيما يقوله بعض الناس، وقال آخرون: لقي المسلمين غلام حدث على الدرب فقاتلهم في أصحابه فقيل درب الحدث[5].

وفي العصر العباسي الأول أعيد بنائها على يد المسيب بن زهير بأمر من علي بن سليمان سنة 168هـ/785م[6]، بعد أن خرجت إليها الروم زمن فتنة مروان بْن مُحَمَّد، فهدمت مدينة الحدث وأجلت عنها أهلها كما فعلت بملطية[7]، حيث تم بنائها باللبن وسميت (المهدية) نسبة إلى الخليفة المهدي، و"المحمدية" لأن واليها محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي فرض لها فرضاً من أهل الشام والجزيرة وخراسان في أربعين ديناراً من العطاء، وأقطعهم المساكن، وأعطى كل أمرئ منهم ثلاثمائة درهم[8].

وبسبب موقعها كانت مدينة الحدث أقل الثغور تعرضاً لغارات الروم البيزنطيين، وكان الرشيد قد مضى إلى درب الحدث فرتب الأمور هناك، ثم انصرف بعد ثلاثة أيام فنزل الرقة، وأمر بهدم الكنائس التي في الثغور[9].

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان (ص 189).

[2] الفسوي، المعرفة والتاريخ (ج160/1).

[3] البلاذري، فتوح البلدان (ص 189).

[4] ليسترنج، بلدان الخلافة الشرقية (ص 165).

[5] ابن الأثير، الكامل (ج327/2).

[6] ابن خياط، تاريخ (ص 439).

[7] البلاذري، فتوح البلدان (ص 190).

[8] ابن العديم، بغية الطلب (ج240/1).

[9] الطبري، تاريخ الطبري (ج324/8)، ابن الأثير، الكامل (ج380/5).

**4_ زبطرة**

بكسر الزاي وفتح ثانيه، وسكون الطاء المهملة وراء مهملة، مدينة بين ملطية وسميساط والحدث في طرف بلاد الروم[1]، وكانت زبطرة حصناً قديماً رومياً فتحه حبيب بْن مسلمة الفهري زمن  الخليفة عمر بن الخطاب مع حصن الحدث القديم[2].

وقد كانت الروم في صدر الإسلام تنتابه كثيراً وتطرقه لقربه من بلادها، فتخربه ويعمره المسلمون مرة بعد أخرى، حيث أخربته الروم في أيام الوليد بْن يزيد فبُنى بناءً غير محكم، فأناخت الروم عليه في أيام فتنة مروان بن محمد فهدمته فبناه المنصور، ثُمَّ خرجت إليه فشعثته فبناه الخليفة هارون الرشيد على يدي محمد بن ابراهيم وشحنه بالرجال[3].

وفي خلافة المأمون طرقه الروم فشعثوه، وأغاروا على سرح أهله فاستاقوا لهم مواشي، فأمر الخليفة المأمون برمه وتحصينه[4]، ثم خرجت الروم إليه في خلافة المعتصم فقتلوا الرجال وسبوا النساء وأخربوه، فأحفظه ذلك وأغضبه، فسير إليهم حملته الشهيرة فغزاهم في عقر دارهم وبلغ عاصمتهم عمورية، وقد أخرب فيها حصوناً، فأناخ عليها حتى فتحها، فقتل المقاتلة وسبى النساء والذرية ثم أخربها وأمر ببناء حصن زبطرة، وحصنها وشحنها، فحاول الروم مهاجمتها بعد ذلك، فلم يقدروا عليها[5].

وقد وصفت زبطرة بأنها مدينة مشهورة باستخراج معدن الحديد وتصنيعه، ويُجلب منها الحديد الى البلاد الإسلامية[6].

---

[1] ياقوت، معجم البلدان (ج3/ص ص130-131).

[2] البلاذري، فتوح البلدان (ص 191).

[3] المصدر السابق، ص 191.

[4] ابن العديم، بغية الطلب (ج247/1).

[5] المصدر السابق، ص 247.

[6] المصدر نفسه، ص 247.

**5_ كيسوم**

بالسين المهملة، وهو الكثير من الحشيش، يُقال: روضة أكسوم ويكسوم، وهي مدينة مستطيلة من أعمال سميساط[1]، وبينها وبين الحدث سبعة فراسخ[2].

وكانت كيسوم مدينة كبيرة قديمة، وولاية واسعة عظيمة، وكان حصنها حصيناً وبناؤه قوياً ركيناً[3]، إلا أنه تم تخريب حصنها في العهد العباسي تحديداً في عهد المأمون بعد أن تحصن فيه الخارجي نصر بن شبث العقيلي[4] وبقيت المدينة دون تخريب[5].

وكان المأمون قد زارها، فأقام بها يومين أو ثلاثة ثم ارتحل إلى دمشق[6]، ثم أحدث بعد ذلك فيها مياهاً وبساتين، ولما خرج نصر إلى عبد الله بْن طاهر بالأمان هدم كيسوم وخربها[7].

وقد وصفت كيسوم بأنها كانت مدينة جليلة حصينة وعامرة وبها الفلاحون[8]، وفيها سوق ودكاكين وافرة[9].

**6_ حصن منصور**

يقع ثغر حصن منصور إلى الغرب من نهر الفرات قريباً من ثغر سميساط، وقد كان الحصن مدينة عليها سور وخندق وثلاثة أبواب، وفي وسطها حصن وقلعة عليها سوران[10]،

---

[1] ياقوت، معجم البلدان (ج4/497).

[2] ابن العديم، بغية الطلب (ج1/265).

[3] ابن العديم، بغية الطلب (ج1/265).

[4] أحد زعماء الخوارج، وكان من قواد بني العباس وهو من بني عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، خرج على المأمون في كيسوم بعد مقتل الأمين حيث كان من أتباعه وفي عنقه بيعة له، واستمر خروجه من سنة 198هـ حتى 206هـ، بعد أن وجه إليه المأمون عبد الله بن طاهر، فالتقيا بالرّقّة، فقاتله وأثخن في أصحابه، فطلب الأمان فأعطيه، ثم قدم به للمأمون. الطبري، تاريخ (ج8/527)، ابن الأثير (ج5/460).

[5] ابن العديم، بغية الطلب (ج1/265).

[6] الطبري، تاريخ الرسل (ج8/625).

[7] المصدر السابق (ج8/601).

[8] ابن العديم، بغية الطلب (ج1/265).

[9] ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع (ج3/1192).

[10] ياقوت، معجم البلدان (ج2/265).

ويبعد الحصن عن ملطية يومان ومن حصن منصور الى زبطرة يوم ومن حصن منصور الى الحدث يوم واحد[1].

يُنسب حصن منصور إلى منصور بن جعونة بن الحارث العامري من قيس[2]، وذلك لأنه تولى بناءه ومرمته، وكان مقيماً به أيام مروان بن محمد ليرد العدو ومعه جند كثيف من أهل الشام والجزيرة[3].

وعند قيام الدولة العباسية كان منصور بن جعونة عاملاً على أهل الرها[4] فامتنع مع أهلها عن إعطاء الولاء للعباسيين، فحصرهم أبو جعفر المَنْصُور حين كان عاملاً لأبي العباس السفاح على الجزيرة وأرمينية، فلما فتحها هرب منصور بن جعونة ثم لما أُمن ظهر[5]، وقد أعاد الرشيد بناء حصن منصور وأحكمه وشحنه بالرجال في أيام أبيه المهدي[6].

وقد وُصف الحصن بأنه كورة حسنة ومشهورة في مستوً من الأرض، جنوبي نهر الفرات وله رساتيق[7]، والحصن له قرى بها خصب كثير وغلال وافرة[8]، ويمر بينه وبين حصن كيسوم نهر عظيم يسمى سنجة[9].

---

[1] الاصطخري، المسالك والممالك(ص 67).

[2] كان عاملاً على الرها في آخر خلافة بني أمية، فامتنع من بيعة بني العباس، فحصره المنصور وهو عامل للسفاح على الجزيرة، فلما فتح الرها هرب منصور ثم أومن فظهر، فلما خلع عبد الله بن علي أبا جعفر ولاه شرطته، فلما هرب عبد الله إلى البصرة اختفى منصور، فدل عليه في سنة 141هـ، فأتى به المنصور فقتله في الرقة بالشام. ابن عساكر، مختصر (ج254/25)، الذهبي، تاريخ (ج706/3).

[3] ابن الأثير، فتوح البلدان(ص 192).

[4] مدينة بالجزيرة الفراتية من ديار مضر بين الموصل والشام بينهما ستة فراسخ، بنيت في حفرة واد مفتوح نحو الجنوب والشرق في لحف الجبل المقدس الذي تكثر فيه الأديرة، يشرف على سهل ممتد نحو الجنوب حتى يتصل بأرض حران، ويجري الفرات إلى الشمال منها. ياقوت، معجم (ج106/3)، ابن شداد، الأعلاق (ج85/3).

[5] البلاذري، فتوح البلدان (ص 192).

[6] ياقوت، معجم البلدان (ج265/2).

[7] مفردها رستاق وتعني إقليم من الأرض. ابن الفقيه، البلدان (ص 501)، ياقوت، معجم (ج37/1).

[8] الإدريسي، نزهة المشتاق (ج651/2)، البكري، معجم ما استعجم (ج452/2).

[9] نهر عظيم يجري بين حصن المنصور وكيسوم، لا يتهيأ خوضه لأن قراره رمل سيال، إذا وطئه واطئ غاص به، وعلى هذا النهر قنطرة من عجائب الدنيا، وهي طاق واحد من الشط إلى الشط، وتشتمل على مائتي خطوة، وهي متخذة من حجر مهندم طول الحجر عشرة أذرع في ارتفاع خمسة أذرع. القزويني، آثار (ص 271).

**7_ سُميساط**

بضم أوله، وفتح ثانيه، ثم ياء من تحت ساكنة، وسين أخرى، ثم بعد الألف طاء مهملة، مدينة على شاطئ الفرات الغربي، في طرف بلاد الروم بين حلب والثغور الرومية[1]، ولها قلعة حصينة في شقّ منها، وهي في شرقي اللكام مطلة على الفرات يسكنها الأرمن[2] و تبعد عن حد ملطية مسير يومين[3]، وتبعد عن حصن منصور مسير ثلاثة أيام[4].

فُتحت سميساط صلحاً في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه على يد صفوان بن المعطّل وحبيب بن مسلمة الفهري تحت قيادة عياض بن غنم، حيث اتخذها الأخير قاعدة ومقراً له في غزوه لبلاد الرها حيث كان يغزو ثم يعود إليها[5]، فلما ولي معاوية الشام والجزيرة وجه إليها حبيب بن مسلمة، ففتحها عنوة بعد أن نقض أهلها الصلح، ورتب فيها جنداً من المسلمين مع عاملها[6].

وكانت سميساط تعتبر طريق لحملات الصوائف، ثم إن أهلها انتقلوا عنها في أيام عبد الله بن الزبير، وخرجت الروم إليها وشعثتها ثم تركتها، فنزلها قوم من النصارى من الأرمن والنبط[7].

وتقع مدينة سميساط على نهر الفرات والذي يمر بها قادماً من الشمال، وبها تُحمل السفن حيث تسير عبر النهر حتى تصل الرقة ثم يتفرّق فيصير أنهارا[8]، وهي تقارب المدينة المسمّاة جسر منبج، وقد وصفتا بأنهما مدينتان صغيرتان حصينتان، لهما سقى كبير من مياه بهما، وزروعها بخوس وماؤهما من الفرات[9]، ويحيط بسميساط جبال كثيرة فيها أشجار الجوز والكروم وسائر الثمار الشتوية والصيفية وتلك الأشجار مباحة لا مالك لها[10].

---

[1] الإدريسي، نزهة المشتاق (ج651/2)، ياقوت، معجم البلدان (ج258/3).
[2] الإدريسي، نزهة المشتاق (ج651/2)، ياقوت، معجم البلدان (ج258/3).
[3] الاصطخري، المسالك والممالك (ص 72).
[4] المصدر السابق (ص 67).
[5] البلاذري، فتوح البلدان (ص 175)، قدامة، الخراج (ص 313).
[6] ابن الأثير، الكامل (ج359/2).
[7] ابن العديم، بغية الطلب (ج253/1).
[8] ابن الفقيه، البلدان (ص 211).
[9] ابن حوقل، صورة الأرض (ج181/1).
[10] الإدريسي، نزهة المشتاق (ج651/2).

**9- شمشاط[1]:**

بكسر أوله، وسكون ثانيه، وشين مثل الأولى، وآخره طاء مهملة، وهي مدينة بالروم على شاطئ الفرات وتقع في طرف بلاد أرمينية، وسميت بشمشاط بن اليفز بن سام بن نوح، عليه السلام، لأنه أول من أحدثها[2].

وهي أول حدود بلاد أرمينية من جهة الجنوب، وهي على الفرات، ومنها إلى ملطية واحد وخمسون ميلاً، وتبعد شمشاط عن سميساط التي بأعمال الشام مسير يومين ومنها إلى حصن منصور مسير يومين أيضاً[3]، ويمر من فوقها نهر يدعي نهر الكلاب، وهو أول نهر يصب في نهر دجلة ينبع من أرض الروم[4].

ومنها غادر هرقل بلاد الشام داخلاً على أرض الروم حيث التفت إلى سورية، فقال: قد كنت سلمت عليك تسليم المسافر، فأما اليوم فعليك السلام يا سورية تسليم المفارق، ولا يعود إليك رومي أبداً إلا خائفاً، حتى يولد المولود المشئوم، وليته لم يولد! ومضى حتى نزل القسطنطينية[5].

فُتحت شمشاط في خلافة معاوية بن أبي سفيان سنة 59هـ/679م حيث جُمعت له الشام والجزيرة وثغورهما فوجه إليها حبيب بْن مسلمة الفهري وصفوان بْن معطل السلمي، ففتحاها بعد أيام من نزولهما عليها على مثل صلح الرها وأقام صفوان بن معطل بها، وبها توفي في آخر خلافة معاوية، ويقال بل غزاها معاوية بن أبي سفيان نفسه وهذان معه فولاها صفوان فأقام بها وتوفي بها[6].

---

[1] يرى أبرز الجغرافيين أن شمشاط لا تعتبر من الثغور الجزرية بل هي ثغر رومي يتبع لأرمينية، لأنها تقع في أول بلاد الروم مثل ياقوت 362/2، والاصطخري ص 75 من كتاب المسالك والحميري في الروض المعطار، وقد ذكرناها هنا ضمن الثغور الجزرية لأن بعض الجغرافيين عدها من ثغور الجزيرة.

[2] ياقوت، معجم البلدان (ج362/3)، ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع (ج811/2).

[3] الاصطخري، المسالك والممالك ( ص 67).

[4] ابن عبد الحق، مراصد الإطلاع (ج1405/3).

[5] الطبري، تاريخ (ج603/3).

[6] البلاذري، فتوح البلدان (ص 184).

وفي العصر العباسي في عهد الخليفة السفاح العباسي أغار عليها الإمبراطور قسطنطين البيزنطي سنة 133هـ/751م بعد نزوله في ملطية، فلم يتمكن منها بشيء، فأغار على ما حولها ثُمَّ انصرف، ولم تزل شمشاط خراجية طوال فترة العصر العباسي الأول، حتى صيرها الخليفة العباسي المتوكل على اللَّه عشرية أسوة بغيرها من الثغور[1].

وقد وصفت شمشاط بأنها مدينة رومية كبيرة على تخوم أرمينية الجنوبية، كان يسكن بها والي ثغور الجزيرة، ومنها تخرج جيوش المسلمين إلى بلاد الروم، وفيها قبر صفوان بن المعطل السلمي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبالقرب من شمشاط شجرة لا يعرف أحد ما هي ولا يدرى لها نظير، لها حمل شبيه اللوز إلا أنه يؤكل بقشره، وهو أحلى من الشهد[2]، وبها قلعة حصينة تحتف بها جبال فيها الجوز والكروم وسائر الثمار[3].

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان (ص 184).

(2) الحميري، الروض المعطار (ص 345).

(3) المصدر السابق، ص 345.

## المبحث الثالث: الثغور الشامية البحرية

وهي الثغور التي تقع على طول ساحل الشرقي للبحر الشامي(بحر الروم أو البحر المتوسط) وهي تعتبر بوابات ومداخل لبلاد الشام للقادمين من جهة البحر، والثغور البحرية هي: اللاذقية، جبلة، طرطوس، بانياس(بلنياس)، عرقة، طرابلس، جبيل، بيروت، صيدا، صور، عكا، قيساريا، يافا، عسقلان، غزة[1].

وفيما يلي سنستعرضها مراعين في ذلك الموقع الجغرافي الخاص بها، حيث سيتم ذكرها من الشمال إلى الجنوب:

### 1_ اللاذقية:

بالذال معجمة مكسورة، وقاف مكسورة، وياء مشددة، مدينة في ساحل بحر الشام، في أعمال حمص، وهي مدينة رومية عتيقة فيها أبنية قديمة مكينة، وهي بلد حسن في وطء من الأرض، وقلعتان متصلتان على تل مشرف على الربض، والبحر من غربيها وهي على ضفّته[2].

وتعد اللاذقية من ثغور أنطاكية[3]، وأهلها قوم من يمن من سليح وزبيد وهمدان ويحصب وغيرهم[4]، وهي مدينة عامرة آهلة كثيرة الخصب والخيرات وهي من أطيب البلاد، تقع على نحر البحر، ولها ميناء مِن أحسن المواضع ، ترسو به المراكب والقوارب القاصدة إليها[5]، وهي أجل مدينة في الساحل منعة وعمار، ولها أعمال واسعة[6].

افتتحها أَبُو عُبَيْدة بن الجراح عنوة على يدي عبادة بن الصامت قبل أن يلزم أهلها بخراج يؤدونه قلوا أو كثروا وتركت لهم كنيستهم، وبنى المسلمون باللاذقية مسجداً جامعاً بأمر من عبادة

---

(1) وهي الثغور التي اتفق عليها كل من قدامة بن جعفر في كتابه " الخراج" ص 186 – 188 ، وابن خرداذبة في كتابه "المسالك والممالك"، ص 255.

(2) ياقوت، معجم البلدان (ج5/ص ص 5-6).

(3) البكري، معجم ما استعجم (ج1147/4).

(4) اليعقوبي، البلدان (ص 162).

(5) الإدريسي، نزهة المشتاق (ج645/2).

(6) المهلبي، المسالك والممالك (ص 83).

بن الصامت، وكان يوكل بها حفظة إلى انغلاق البحر، فلما كانت شحنة معاوية للسواحل وتحصينه إياها شحنها بالرجال وحصنها[1].

وفي سنة 100هـ/718م أغارت الروم على ساحل اللاذقية فهدموا مدينتها وسبوا أهلها وذلك في خلافة عمر بن عبد العزيز، فأمر عُمَر ببنائها وتحصينها ولم يمت عمر بن عبد العزيز حتى حرز مدينة اللاذقية وفرغ منها، ثم جاء يزيد بن عبد الملك فزاد في مرمتها وزاد في شحنها بالرجال والمتطوعة[2].

وفي العصر العباسي ولما تجدد تهديد البيزنطيين للنظام الثغري، سقطت اللاذقية بأيديهم مرة أخرى في عهد أبي جعفر المنصور سنة140هـ/757م، فانبرى الإمام الأوزاعي لإنذار الخليفة المنصور بخطورة الأمر، وطلب منه أن يأمر بتخصيص أعطيات سنوية لأهل الساحل حتى يَقْوا على المرابطة، وحراسة الأبراج والحصون الساحلية[3].

وقد وصفها ابن الأثير قائلاً: "كانت عمارة اللاذقية من أحسن الأبنية وأكثرها زخرفة مملوءة بالرخام على اختلاف أنواعه، فخرب المسلمون منها ونقلوا رخامها، وشعثوا كثيرا من بيعها التي غرم على كل واحد منها لأموال الجليلة المقدار وسلمها إلى ابن أخيه تقي الدين عمر، فعمرها وحسن قلعتها، حتى إذا رآها اليوم من رآها قبل أن ينكرها فلا يظن أن هذه تلك، وكان عظيم الهمة في تحصين القلاع والغرامة المتوفرة عليها، كما فعل بقلعة حماة "[4] .

**2_ جبلة**

قلعة مشهورة بساحل بحر الشام، إلى الجنوب من اللاذقية وهي من أعمال حلب أيضاً، وهي في الأصل «حبلة»[5]، تقع إلى الجنوب من اللاذقية باثني عشر ميلاً ولها أعمال

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان (ص 135).

[2] المصدر السابق، ص 134.

[3] المصري، طرسوس صفحة من جهاد المسلمين( ص 108).

[4] ابن الأثير، الكامل (ج 50/10).

[5] ياقوت، معجم البلدان (ج105/2).

واسعة[1]، وأهلها من همدان وبها قوم من قيس ومن إياد[2]، وهي تحاذي جزيرة قبرص في وسط البحر الرومي وبينهما مجرى يوم وليلة[3].

فتحها عبادة بن الصامت بعد فتح اللاذقية سنة 17هـ/638م، وكان قد سيّره إليها أبو عبيدة ابن الجراح، وقد كانت حصناً للروم وكانوا قد جلوا عنه عند فتح المسلمين لحمص[4]، ثم إنها بعد ذلك خربت وجلا عنها أهلها، قبل أن ينشئها معاوية بن أبي سفيان من جديد، وشحنها بالرجال، وبنى بها حصناً خارجاً من الحصن الرومي القديم، وكان سكان الحصن القديم قوماً من الرهبان يتعبدون فيه على دينهم، فلم تزل جبلة بأيدي المسلمين على أحسن حال حتى قويَ الروم وسيطروا على ثغور المسلمين في نهاية العصر العباسي[5].

وقد وصفت جبلة بأنها مدينة تمتاز بأنهار مطردة وأشجار، والبحر على نحو ميل منها[6]، وهي من أحسن المدن عمارةً و رخاماً ومحال[7].

### 3- طرطوس (أنطرطوس)[8]

وهي بلد من ثغور الشام المشهورة[9]، مشرفة على البحر قرب المرقب وعكّا[10]، وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية وأول أعمال حمص، تقع إلى الشرق من عرقة وبينهما ثمانية

---

(1) المهلبي، المسالك والممالك (ص 83).
(2) اليعقوبي، البلدان (ص 162).
(3) ابن حوقل، صورة الأرض(ج179/1).
(4) البلاذري، فتوح البلدان (ص 135).
(5) ياقوت، معجم البلدان (ج179/1).
(6) ابن بطوطة، إتحاف النظار (ج290/1).
(7) ابن كثير، البداية والنهاية (ج 601/16).
(8) أغلب المصادر تطلق عليها أنطرطوس، وهناك خلط بين المؤرخين في تسميتها حيث يخلطون بينها بين ثغر طرطوس الشهير الذي يقع على الساحل الشمالي لبحر الروم ، وهذا ما وقع فيه كل من البلاذري في كتابه فتوح البلدان صفحة 296، وأيضاً ابن الوردي في تاريخه 194/1، وكذلك ابن الجوزي في كتابه المنتظم في تاريخ الملوك والأمم 194/9 ، وابن خلدون في تاريخه 328/3 وغيرهم.
(9) ياقوت، معجم البلدان (ج28/4)، الذهبي، تاريخ الإسلام (ج49/ 54).
(10) ياقوت، معجم البلدان (ج30/4).

فراسخ[1]، وبينها وبين مدينة جبلة اثنا عشر ميلاً[2]، وبينها وبين طرابلس ثلاثون ميلاً[3]، وبالتالي فإنها تقع بين طرابلس من الجنوب وجبلة من الشمال[4]، ويعود أهلها إلى كندة[5].

فُتحت طرطوس على يد عبادة بن الصامت في سنة 17هـ/638م، بعد فتح اللاذقية وجبلة وكانت حصناً ثم جلا عنه أهله، فبناها معاوية وحصّنها وأقطع المقاتلة بها القطائع[6].

وكانت طرطوس من أشهر الموانئ البحرية سواء على صعيد التجارة فقد كانت ميناءا تجارياً شهيراً في العهد الأموي وكذلك العباسي[7]، أو على صعيد الحرب والجهاد فقد اشتهر ثغر طرطوس بجهاده [8]، وفيه طور الخليفة المعتصم صناعة السفن، حيث بلغ عددها في ذلك الميناء في حدود ثلاثمائة مركب سنة 227هـ/841م[9].

وقد وصفت بأنها مدينة حصينة ولها برجان حصينان كالقلعتين[10]، وكان أهل حمص يثاغرون بها، وكان بها مصحف عثمان بن عفّان[11]، كما ووصفها الإدريسي بقوله:" ومن حمص إلى أنطرطوس على البحر مرحلتان، والطريق من عرقة إلى أنطرطوس على الساحل تخرج من مدينة عرقة إلى الحصن المسمى شنج، ثم إلى مدينة أنطرطوس وهي في آخر جون كبير، وعلى أكثره جبال ممتدة، ويقطع هذا الجون رؤوسية خمسة عشر ميلاً، ومدينة أنطرطوس مدينة صغيرة على البحر لها سور حصين وعلى مقربة منها في البحر جزيرة أرواد، وهي جزيرة كبيرة فيها كنيسة كبيرة معمورة متقنة البناء شاهقة منيعة ذات أبواب حديد وهي كالمحرس"[12].

---

[1] ياقوت، معجم البلدان (ج270/1).

[2] المهلبي، المسالك والممالك (ص69).

[3] المصدر السابق، ص96.

[4] ابن خلدون، تاريخ (ج86/1).

[5] كرد علي، خطط الشام (ج27/1).

[6] ياقوت، معجم البلدان (ج270/1)

[7] لويس، القوي البحرية والتجارية (ص 191).

[8] اليعقوبي، البلدان (ص 327)، المقدسي، أحسن التقاسيم (ص 163).

[9] عبيد، واقع البحرية (ص 10).

[10] ياقوت، معجم البلدان (ج270/1).

[11] الاصطخري، المسالك والممالك (ص 61).

[12] نزهة المشتاق (ج375/1).

## 4_ بانياس[1]

باء مفتوحة، وسكون النون، وياء، وألف، وسين مهملة، كورة ومدينة صغيرة وحصن بسواحل حمص على البحر، ولعلها سمّيت باسم الحكيم بلنياس صاحب الطلسمات[2].

وتقع بانياس إلى الجنوب من مدينة جبلة بأربعة وعشرين ميلاً حسب كلام العزيزي في المسالك والممالك[3]، وعشرة أميال عند الإدريسي في نزهة المشتاق[4] والأقرب إلى الصحة هو قول الإدريسي لأنه أقرب إلى الواقع.

ذكرها عبد الله بن عمرو بن العاص لعبد الرحمن بن سابط الجمحي[5] رضي الله عنهما حين قال له عبد الرحمن الجمحي: "إن لي رحماً وقرابة وإن منزلي قد نبا بي بالعراق والحجاز فخر لي"، فقال له عبد الله: "أرضى لك ما أرضى لنفسي ولولدي، عليك بدمشق ثم عليك بمدينة الأسباط بانياس، فإنها مباركة السهل والجبل يعيش أهلها بغير الحجرين الذهب والفضة، وإن البركة عشر بركات، خص الله بانياس من ذلك ببركتين، لا يعيل ساكنها يعيش من برها وبحرها، وإذا وقعت الفتن كانت بها أخف منها في غيرها، فاتخذها وارتد بها، فو الله لفدان بها أحب إلي من عشرين فداناً بالوهط[6]، فإنها مباركة الأرض السهل والجبل، نقل الله عنها أهلها حين بدلوا تطهيراً لها"[7].

وقد وصفت بانياس بأنها مدينة صغيرة متحضرة بها من الفواكه والحبوب كل حسن كثير موجود، وهي مدينة حسنة عامرة، كثيرة الخير ذات مياه وأعين تجري وفواكه كثيرة وهي على واد جار[8]، وأهل بانياس من أخلاط الناس[1].

---

[1] قد جاء لها ذكر آخر باسم بُلُنْيَاس. ياقوت، معجم البلدان (ج489/1).

[2] الأنطاكي، تاريخ الأنطاكي (ص 162)، ياقوت، معجم البلدان (ج489/1).

[3] المهلبي، المسالك والممالك (ص ص 69–83).

[4] الإدريسي، نزهة المشتاق (ج644/2).

[5] صحابي ، روى عن النبي عليه الصلاة والسلام عدة أحاديث، عاش بالمدينة . ابن كثير،البداية (ج158/3).

[6] بستان عظيم بالطائف في مكان مطمئن من الأرض مستوٍ على ثلاثة أميال من وجّ، وهو كرم موصوف، تنبت فيه العضاه والسمر والطلح والعرفط، وقد اتخذ بستانًا، صار لـ"عمرو بن العاص"، ثم لابنه، وقد عرف بكثرة كرمه وأنواع أعنابه. الذهبي، تاريخ الإسلام (ج470/2)، جواد علي، المفصل (ج142/7).

[7] ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج249/1).

[8] الإدريسي، نزهة المشتاق (ج644/2).

## 5_ عرقة

بكسر أوله، وسكون ثانيه، وهي بلدة في شرقي طرابلس بينهما أربعة فراسخ، وهي آخر عمل دمشق من جهة الشمال ومن سواحلها، وهي في سفح جبل ولها قلعة عليه[2]، وبين عرقة وبين طرابلس على سمت الجنوب اثنا عشر ميلاً، وهي عن البحر على نحو من فرسخ[3].

فتحها يزيد بن أبي سفيان بعد فتح مدينة دمشق، حينما فتح صيدا وجبيل وبيروت وهي مدن على الساحل، وعلى مقدمته أخوه معاوية والذي تولى فتح عرقة بنفسه، فكان فتحها فتحاً يسيراً وجلا كثيراً من أهلها عنها، ثُمّ أن الروم غلبوا على بعض تلك السواحل في آخر خلافة عمر بْن الخطاب أو أول خلافة عثمان بن عفان، فقصد لهم معاوية بن أبي سفيان حتى فتحها مرة أخرى ثُمَّ رمها وشحنها بالمقاتلة وأعطاهم القطائع[4].

وقد وصفت مدينة عرقة بأنها مدينة عامرة حسنة في سفح جبل قليل العلو، ولها في وسطها حصن على قلعة عالية ولها ربض كبير، وهي عامرة بالخلق، كثيرة التجارات وأهلها مياسير وشربهم من ماء يأتيهم في قناة مجلوبة من نهرها، ونهرها جار ملاصق لها[5].

كما ووصفت بأن بها بساتين كثيرة وفواكه وقصب سكر، وبها مطاحن على نهرها المتقدم ذكره، وبينها وبين البحر ثلاثة أميال وحصنها كبير، وعيش أهلها خصيب رغد، وبناؤها بالجص والتراب، والخير بها كثير[6].

## 6_ طرابلس:

بفتح أوله، وبعد الألف باء موحدة مضمومة، ولام أيضا مضمومة، وسين مهملة، ويقال "أطرابلس"، وتعني بالرومية والإغريقية المدن الثلاث، وسماها اليونانيون طرابليطة ، وأول من

---

(1) اليعقوبي، البلدان (ص 162).

(2) ابن خرداذبة، المسالك والممالك (ص 255)، ياقوت، معجم البلدان (ج109/4).

(3) المهلبي، المسالك والممالك (ص 100).

(4) البلاذري، فتوح البلدان (ص 129)، ابن الأثير، الكامل (ج271/2).

(5) الإدريسي، نزهة المشتاق (ج373/1).

(6) المصدر السابق، ص 373.

بناها قيصر، وتسمى أيضا مدينة إياس، ويضاف لها لفظ الشام تمييزاً لها عن طرابلس الغرب[1]، بينها وبين عرقة على سمت الجنوب اثنا عشر ميلاً [2] ومنها إلى دمشق مسيرة خمسة أيام[3].

فُتحت طرابلس على يد سفيان بْن مجيب، بعد أن كان يزيد بْن أَبِي سفيان قد وجه معاوية إِلَى سواحل دمشق سوى طرابلس فإنه لم يكن يطمع فيها، ثُمَّ نقض أهلها الصلح أيام عَبْد الملك بن مروان ففتحها الوليد بْن عَبْد الملك في زمانه[4]، وأهلها قوم من الفرس كان قد نقلهم إليها معاوية بن أبي سفيان في فترة حكمه[5].

تسمى مدينة طرابلس "ميناء الشام"، وتقدم إليها المراكب من كل مكان، ولها ميناء عجيب يحتمل ألف مركب، وفي سنة 34هـ/654م اتخذها معاوية قاعدة انطلاق وأخذ يستعد منها لقصد القسطنطينية ويعد السفن الكثيرة بها، ويحمل بها من السلاح أمراً عظيماً[6].

وقد وصفت بأنها مدينة ساحلية عظيمة وحصينة ولها سور منيع[7]، وأرضها غورية كثيرة القصب، وتقع على ثلاث جهات للبحر، تشتهر بزراعة الكروم، ومحاطة بغابات من الزيتون[8].

ويصفها الإدريسي فيقول: "ومدينة طرابلس الشام مدينة عظيمة، عليها سور من حجر منيع ولها رساتيق وأكوار وضياع جليلة، وبها من شجر الزيتون والكروم وقصب السكر وأنواع الفواكه وضروب الغلات الشيء الكثير، والوارد والصادر إليها كثير، والبحر يأخذها من ثلاثة أوجه، وهي معقل من معاقل الشام، مقصود إليها بالأمتعة وضروب الأموال وصنوف التجارات، وينضاف إليها عدة حصون وقلاع معمورة داخلة في أعمالها، ولها من أمهات الضياع المشهورة

---

[1] ياقوت، معجم البلدان (ج25/4).

[2] المهلبي، المسالك والممالك (ص 100).

[3] الإدريسي، نزهة المشتاق (ج377/1).

[4] الواقدي، فتوح الشام (ج89/1).

[5] اليعقوبي، البلدان (ص 162)، كرد علي، خطط الشام (ج27/1).

[6] البلاذري، فتوح البلدان (ص130)، اليعقوبي، البلدان(ص 164).

[7] المقدسي، أحسن التقاسيم(ص160)، الإدريسي، نزهة المشتاق (ج172/1).

[8] الإدريسي، نزهة المشتاق (ج172/1).

المذكورة، ومنها في جهة الجنوب حصن بناه ابن صنجيل الإفرنجي، ومنه افتتح أطرابلس وبينهما أربعة أميال، وهو حصن منيع جداً وهو بين واديين"[1].

**7_ جبيل:**

تعني كلمة جبيل تصغير جبل، وهي بلدة مشهورة بساحل الشام شرقي بيروت[2]، وهي من كور دمشق[3]، تقع إلى الجنوب من مدينة طرابلس بنحو ثلاثة وعشرين ميلاً[4]، ذكرها الآشوريون باسم "جوبلا"، وأطلق عليها المصريون القدماء اسم "كبن"، و"كبني"، و "كبنا"[5].

وكانت أول مدينة تحتل مركزًا رئيسيًا في العلاقات المصرية الفينيقية، حيث كانت مصر تستورد منها خشب الأرز والخمور والزيوت، مقابل الذهب والمصنوعات المعدنية وورق البردي[6]، كما وكانت جبيل مركزًا صناعيًّا مهمًّا للنسيج[7].

فتحها المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب، حيث استولى عليها يزيد بن أبي سفيان الوالي على الشام في حينه بالإضافة إلى صيدا وصور وبيروت وذلك سنة 17هـ/ 638م"[8].

وقد وصفت جبيل بأنها مدينة لها ميناء وسوق وجامع[9]، وأنها حسنة مثلثة تطل منها زاوية على البحر، ولها سور شاهق الارتفاع من حجر حصين، ولها كورة واسعة وأشجار وفواكه وكروم، وليس لها ماء جار، وإنما يشرب أهلها من مياه الآبار[10].

---

(1) الإدريسي، نزهة المشتاق (ج372/1).
(2) ياقوت، معجم البلدان (ج109/2).
(3) ابن الفقيه، البلدان (ص 156).
(4) الإدريسي، نزهة المشتاق (ج372/1).
(5) صالح، الشرق الأدنى القديم (ص 107).
(6) عصفور، معالم تاريخ الشرق( ص 108).
(7) المرجع السابق (ص157).
(8) البلاذري، فتوح البلدان (ص 150)، قدامة، الخراج (ص 295).
(9) المهلبي، المسالك والممالك (ص 83).
(10) الإدريسي، نزهة المشتاق (ج372/1).

**8_ بيروت**

بالفتح ثم السكون، وضم الراء، وسكون الواو والتاء: مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام تعدّ من أعمال دمشق[1]، ومنها إلى دمشق يومان كبيران ومنها إلى مدينة صيداء مثل ذلك[2]، وتُعد بيروت فرضة بعلبك وبها يرابط أهل دمشق وسائر جندها وإليها ينفرون عند استنفارهم[3].

فُتحت بيروت في العهد العمري سنة 13هـ/634م على يد يزيد بن أبي سفيان، حيث كان في مقدمة جند أخيه معاوية رضى الله عنهما، وقد كانت بلدة صغيرة وغير محصنة بما يكفي لذا كان فتحها يسيراً بعد أن أجلى من كان فيها من أهلها من الروم[4].

عُرفت بيروت بساحل دمشق حيث كانت مينائها الطبيعي، وكانت محط اهتمام في العهد الأموي حيث كان يرسل إليها الناس لسكناها وإعمارها وللدفاع عنها، بعد أن سيطر الروم على ساحل الشام بعد فتحه لمدة عامين، وكان أكثر سكانها من الفرس[5].

وتُعد المدينة أحد المدن القديمة من بلدان الشام التي تقع على ساحل البحر، ويستدل على ذلك بعتق سورها، وقد وصفت بأنها لها هواء نقي وحدائقها جميلة ذات مقاصف وملاعب وذات لهو وأسواق[6].

**9_ صيدا:** (وتلفظ صيداء)

بالفتح ثمّ السكون، والدال المهملة، والمد، وأهله يقصرونه، والصيداء الأرض التي تربتها أجزاء غليظة الحجارة مستوية الأرض، وقيل سُميت بصيدون بن صدقاء بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام[7].

---

(1) ياقوت، معجم البلدان (ج525/1).

(2) الإدريسي، نزهة المشتاق (ج370/1).

(3) ابن حوقل، صورة الأرض (ج116/1).

(4) البلاذري، فتوح البلدان (ص 150)، قدامة، الخراج (ص 295).

(5) ياقوت، معجم البلدان (ج525/1).

(6) المصدر السابق، ص 225.

(7) ياقوت، معجم البلدان (ج437/3).

وهي مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق، تقع إلى الجنوب من بيروت بمسير يومين، وإلى الشرق من صور، وبينهما ستة فراسخ وكانت تسمى "صيدا صو"[1]، وتُعد صيدا من الموانئ الهامة المطلة على البحر، وهي وبيروت في مرتبة واحدة[2].

فتحها المسلمون في خلافة عمر بن الخطاب على يد يزيد بن أبي سفيان، كما وعده بها الصديق رضى الله عنه، حيث سار يزيد إليها وكذلك لبيروت وجبيل وعرقة، ففتحها فتحاً يسيراً سنة 17هـ/638م[3].

وقد وصفت صيدا بأنها مدينة حسنة كثيرة الفواكه، يُحمل منها التين والزبيب والزيت إلى بلاد مصر[4]، ويحيط بها سور حجارة، وهي مدينة كبيرة عامرة الأسواق رخيصة الأسعار محدقة بالبساتين والأشجار، غزيرة المياه، واسعة الكور، لها أربعة أقاليم، وهي متصلة بجبل لبنان بإقليم يعرف بإقليم جزين وفيه مجرى وادى الحر، وهو مشهور بالخصب كثير الفواكه وإقليم السربة وهو إقليم جليل وإقليم كفر قيلا وإقليم الرامي، وهو نهر يشق جبالها ويصب إلى البحر، وجميع هذه الأربعة أقاليم تشتمل على نيف وستمائة ضيعة، وشرب أهلها من ماء يجري إليها من جبلها في قناة، وفيها عين معروفة[5].

**10_ صور:**

بضم أوله، وسكون ثانيه، وسكون آخره[6]، تقع إلى الجنوب من مدينة صيدا، بُنيت في عهد بِيَوْرَاسِبَ (النمرود)[7]، وتعاقب على حكمها البابليون والفرس والروم قبل أن يفتحها المسلمون[8]، ويقال إنّها أقدم بلد بالساحل وإنّ عامّة حكماء اليونانيّة منها[9].

---

(1) ابن حوقل، صورة الأرض (ج187/1).

(2) المقدسي، أحسن التقاسيم (ص 160).

(3) البلاذري، فتوح البلدان (ص 150).

(4) ابن بطوطة، تحفة النظار (ج260/1).

(5) الإدريسي، نزهة المشتاق (ج370/1).

(6) ياقوت، معجم البلدان (ج433/3).

(7) ابن الاثير، الكامل (ج71/1).

(8) كرد على، خطط الشام (ج55/1).

(9) ابن حوقل، صورة الأرض (ج174/1).

تبعد مدينة صور في البر عن طبرية[1] يومان كبيران وعن دمشق أربعة أيام[2]، وهي من أحصن الحصون التي على شطّ البحر، عامرة خصبة، يُضرب بها المثل في الحصانة والمنعة لأن البحر محيط بها من ثلاث جهاتها، ومن الجهة الرابعة سور، ولها بابان أحدهما للبر والثاني للبحر[3]، وهي داخلة في البحر مثل الكفّ على الساعد، يحيط بها البحر من جميع جوانبها إلا الرابع الذي منه شروع بابها، حصينة جداً لا سبيل إليها إلا بالجدّ[4].

أصبحت من ثغور المسلمين حين افتتحها المسلمون في أيّام الخليفة عمر بن الخطّاب على يد يزيد بن أبي سفيان[5]، وأصبحت تتبع لجند الأردن، وهي مدينة السواحل وبها دار الصناعة وكانت المراكب تخرج منها لغزو الروم وهي حصينة جليلة وأهلها أخلاط من الناس[6].

وفي العهد الأموي كان الاهتمام بها كبيراً، حيث عززها معاوية بن أبي سفيان سنة 42هـ/662م بأقوام من فرس بعلبك وحمص، وكذلك رمها مع عكا عند ركوبه من الأخيرة إلى قبرص، ثُمَّ أن عَبْد الملك بْن مروان جددهما وقد كانتا خربتا في أيام الزبير على أيدي الروم، كما قام هشام بن عبد الملك بنقل صناعة السفن إليها واتخذ بها فندقاً ومستغلاً[7].

ووصفت صور بأنها مدينة يُعمل بها جيد الزجاج والفخار، كما ويُعمل بها من الثياب البيض المحمولة إلى كل الآفاق، كل شيء حسن عالي الصفة والصنعة، ثمين القيمة، قليلاً ما

---

[1] وهي مدينة الأردن في الغور على ضفة بحيرة لها طولها اثنا عشر ميلا وعرضها ستة أميال والجبل من غربي المدينة، والبحيرة من شرقيها، والجبال تدور بها، وفتحت طبرية على يد شرحبيل بن حسنة في سنة 13هـ صلحا على أنصاف منازلهم وكنائسهم، وهي في أسفل جبل على بحيرة جليلة يخرج منها نهر الأردن المشهور، وفي مدينة طبرية مياه تنبع حارة تفور في الصيف والشتاء ولا تنقطع فتدخل المياه الحارة إلى حماماتهم ولا يحتاجون لها إلى وقود وأهل مدينة طبرية قوم من الأشعريين هم الغالبون عليها. اليعقوبي، البلدان (ص95)، المهلبي، المسالك والممالك (ص 165)، ياقوت، معجم البلدان (ج17/4).

[2] الإدريسي، نزهة المشتاق (ج366/1).

[3] ابن بطوطة، تحفة النظار (ج1/ 258).

[4] ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع (ج856/2).

[5] ياقوت، معجم البلدان (ج433/3).

[6] اليعقوبي، البلدان (ص 165).

[7] البلاذري، فتوح البلدان (ص 120).

يصنع مثله في سائر البلاد المحيطة، وبها هواء وماء[1]، وينسب إليها الدنانير الصورية التي يتعامل عليها أهل الشام و العراق[2].

وصفها الرحالة ناصر خسرو في كتابه حيث يقول: " وقد بنيت على صخرة امتدت في الماء، بحيث أن الجزء الواقع على اليابس من قلعتها لا يزيد على مائة ذراع والباقي في ماء البحر، والقلعة مبنية بالحجر المنحوت الَّذِي سدت فجواته بالقار حتى لا يدخل الماء من خلاله، وقد قدرت المدينة بألف ذراع مربع، وأربطتها من خمس أَو ست طبقات، وكلها متلاصقة، وأسواقها جميلة كثيرة الْخيرَات، وتعرف مدينة صور بَين مدن سَاحل الشَّام بالثراء، ومعظم سكانها شيعَة، وَقد بني على بَاب الْمَدِينَة مشْهد به كثير من السجاجيد والحصير والقناديل والثريات المذهبة والمفضضة وصور مشيدة على مرتفع وتأتيها المياه من الجبل، وَقد شيد على بَابهَا عقود حجرية يمر من فوقها إِلَى المدينة وفي الجبل واد مقابل لها إذا سار السائر فيه ثمانية عشر فرسخاً ناحية المشرق بلغ دمشق"[3].

**11_ قيسارية**

بالفتح ثم السكون، وسين مهملة، وبعد الألف راء ثم ياء مشددة: بلد على ساحل بحر الشام، تُعدّ قيسارية في أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام[4]، وتقع إلى الجنوب من مدينة صور مقدار ثمانية فراسخ، يسير الراكب بينهما في رمال[5]، ومن مدينة قيسارية إلى مدينة عكا ستة وثلاثون ميلاً، ومنها إلى أرسوف ثمانية عشر ميلاً، وبينها وبين يافا ثلاثون ميلاً[6].

افتتحها معاوية بن أبي سفيان سنة 18هـ/639م بعد أن حاصرها لمدة سبع سنين حيث كان أخلفه عليها أبو عبيدة بن الجراح[7]، وبعث بفتحها إلى عمر رضى الله عنه، فقام عمر فنادى:

---

[1] الإدريسي، نزهة المشتاق (ج366/1).

[2] القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد (ص 217).

[3] سفر نامه (ص50).

[4] ياقوت، معجم البلدان (ج421/4).

[5] الحميري، الروض المعطار (ص 486).

[6] المهلبي، المسالك والممالك (ص 64).

[7] اليعقوبي، البلدان (ص 167).

ألا إنّ قيسارية قد فتحت قسراً[1]، وكان الخليفة عمر بن الخطاب قد أرسل كتاباً إلى معاوية جاء فيه: "أما بعد فإني قد وليتك قيسارية، فسر إليها واستنصر عليهم، وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله، الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا، نعم المولى ونعم النصير"[2].

ووصفت قيسارية بأنها مدينة كبيرة عظيمة، لها ربع عامر وحصن منيع، وكانت من أمنع مدن فلسطين، فيها الكروم والبساتين، وماؤها من العيون، ومنها تسقى كرومهم[3]، كما وصفت بأنها من أعيان أمهات المدن، واسعة الرّقعة طيبة البقعة، كثيرة الخير والأهل[4]، وقيل كان مقاتلة الروم الذين يرزقون فيها مائة ألف، وسامرتها ثمانون ألفاً، ويهودها مائة ألف[5].

وقد وصفها ناصر خسروا بأنها: "مدينة جميلة بها ماء جار، ونخيل وأشجار النارنج والترنج، ولها سور حصين له باب حديدي وبها عيون ماء جارية، ومسجد الجامع جميل، يرى المصلون البحر ويتمتعون به وهم جلوس في ساحته، وهناك زير من الرخام يشبه الخزف الصيني، وهو عميق بحيث يسع قدر كبير من الماء"[6].

**12_ عكا** (وتلفظ عكة)

بلد على ساحل بحر الشام من عمل الأردن، وهي من أحسن بلاد الساحل[7]، تقع إلى الجنوب من مدينة صور اثنا عشر ميلاً وبينهما شبه خليج، ولذلك يقال عكّا حذاء صور، وبينها وبين طبرية أربعة وعشرون ميلاً [8].

فُتحت عكا في حدود سنة 15هـ/636م على يد عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان، وكان لمعاوية في فتحها وفتح السواحل أثر جميل، ولما ركب منها إلى غزوة قبرص، رمّها وأعاد

---

(1) البكري، معجم ما استعجم (ج106/3).
(2) كرد علي، خطط الشام (ج90/1).
(3) الحميري، الروض المعطار (ص 486).
(4) ياقوت، معجم البلدان (ج421/4)
(5) المصدر السابق، ص 422.
(6) خسرو، سفر نامه (ص 54).
(7) ياقوت، معجم البلدان (ج193/4).
(8) الإصطخري، المسالك والممالك (ص 66).

ما تشعّث منها وكذلك فعل بصور، ثم خربت فجددها هشام بن عبد الملك، وكانت فيها صناعة بلاد الأردنّ، وهي محسوبة من حدود الأردن، ثم نقل هشام الصناعة منها إلى صور[1].

ووصفت عكا بأنها مدينة جليلة وحصينة على البحر[2]، وشُرب أهلها من قناة تجري إلى المدينة، ولها ميناء جليل واسع كانت الصناعة تدور به[3]، فقد كان إنتاج السفن في بداية العصر الأموي وحتى عام 49هـ/669م تنفرد به مصر، ثم أمر معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه بإنشاء دار لصناعة السفن في مدينة عكا بالشام، وقد استقدم الخبراء من مصر للاستفادة منهم في دار الصناعة الجديدة، والتي تميزت بسهولة حصولها على الأخشاب من جبال لبنان[4].

**13_ يافا**

بالفاء، والقصر: مدينة على الساحل من أعمال فلسطين بين قيسارية وعكّا[5] عُرفت عند قدماء المصريين بيابو، وتبادل احتلالها المكابيون[6] والنبط السوريون، وأطلق عليها المكابيون اسم "Jappa"، وبنوا فيها أسطولًا تجاريًّا لهم، كما سكنها قبائل من العرب النبط قبل الإسلام[7].

وهي ميناء لبيت المقدس وبينهما ثلاث مراحل، وبين يافا وقيسارية ثلاثون ميلاً، وتجاورها مدن سواحل فلسطين كعسقلان وأرسوف[8]، وهذه كلها مدن تتقارب مقاديرها وصفاتها وأحوال أهلها، حيث أنها لطاف حصينات كثيرة العمارات، وبها شجر الزيتون والكروم كثيرة جداً[9].

---

(1) ياقوت، معجم البلدان (ج143/4).

(2) المقدسي، أحسن التقاسيم (ص 162).

(3) المهلبي، المسالك والممالك (ص 101).

(4) البلاذري، فتوح البلدان (ص 120)، الصلابي، معاوية بن أبي سفيان(ص 206).

(5) ياقوت، معجم البلدان (ج426/5).

(6) المكابيون طائفة من اليهود يحترمون عبادتهم ويقدسونها، توصلوا إلى إنشاء مملكة وراثية، جمعت إلى الرئاسة الدينية الرئاسة الدنيوية، وكانت مملكتهم ممتدة نحو الجنوب إلى جميع أرض الفلسطينيين حتى التخوم المصرية، ونحو الجنوب الشرقي إلى مملكة النبطيين في البتراء، وإلى الجنوب إلى ما وراء السامرة والمدن العشر إلى بحيرة طبرية، وكانت الشواطئ بأيديهم من جبل الكرمل للعريش وفي جملتها غزة. كرد، خطط(ج58/1).

(7) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب (ج292/2).

(8) مدينة على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا، كان بها خلق من المرابطين، بها غابة بالقرب من نهر العوجا تمتد إلى عكا وكان يقال لها غاب قلنسوة. ياقوت، معجم (ج15/1)، كرد علي، خطط (ج154/4).

(9) المقدسي، نزهة المشتاق (ج358/1).

فتحها عمرو بن العاص في خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه، ويقال بل فتحها معاوية بن أبي سفيان وذلك في سنة 16هـ/637م[1].

وهي على ساحل البحر، كانت عامرة، عليها سور مُحكم البناء، ولها قلعة شاهقة في الهواء، وليس لها ذكر في الفتح الإسلامي[2]، وتعد يافا إحدى البَّوابات الرئيسية الغربية لفلسطين، وعَبْرها يتم اتصال فلسطين بدول حوض البحر المتوسط، وكانت يافا منذ القدم محطة تتلاقى فيها بضائع الشرق والغرب، وكانت جسر عبور للقوافل التجارية بين مصر وبلاد الشام[3].

**14_ عسقلان:**

بفتح أوله، وسكون ثانيه ثم قاف، وآخره نون، وهو اسم أعجميّ، وقد ذكر بعضهم أن العسقلان أعلى الرأس، فإن كانت عربية فمعناه أنها أعلى الشام، وهي مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين[4]، ويقال لها عروس الشام وكذلك لدمشق[5].

تقع عسقلان على ضفة البحر على مرتفع، وهي من أجل مدن الساحل، وتقع إلى الجنوب من يافا بمسافة مرحلة[6]، وبينها وبين غزّة اثنا عشر ميلاً، وبينها وبين الرملة[7] ثمانية عشر ميلاً وليس لها ميناء، وشرب أهلها من آبار حلوة[8].

---

[1] ابن الأثير، الكامل (ج329/2)، النويري، نهاية الأرب (ج200/30).

[2] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة (ج107/1).

[3] الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي (ج5/11).

[4] بليد بين بيت المقدس وغزّة، تبعد عن القدس مرحلتان، وعن غزّة أقلّ من ذلك، وهي قديمة وأهلها قوم من جذام وبها البحيرة الميتة التي تخرج الحمرة. ياقوت، معجم (ج519/1)، اليعقوبي، البلدان (ص 167).

[5] ياقوت، معجم البلدان (ج122/4).

[6] المقدسي، أحسن التقاسيم (ص 192).

[7] مدينة عظيمة بفلسطين وكانت قصبتها قد خربت، وكانت رباطاً للمسلمين، ولها نهر صغير منه شرب أهلها. اليعقوبي، البلدان (ص166)، ياقوت، معجم البلدان (ج69/3).

[8] المهلبي، المسالك والممالك (ص 100).

فُتحت على يد معاوية بن أبي سفيان في خلافة عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما، وقد نزلها جماعة من الصحابة والتابعين، وحدّث بها خلق كثير، وقد رُوي في عسقلان وفضائلها أحاديث مأثورة عن النبي، صلّى الله عليه وسلّم، وعن أصحابه [1].

تتقارب عسقلان مع يافا في مقاديرها وصفاتها وأحوال أهلها في أنهن لطاف حصينات، كثيرة العمارات وبها شجر الزيتون والكروم كثيرة جداً[2]، وأهلها كسائر جند فلسطين أخلاط من العجم والعرب ومن لخم وجذام وعاملة وكندة وقيس وكنانة[3] وإن كان يغلب على سكان ثغر عسقلان أنهم من قبيلة قيس[4].

وقد وُصفت عسقلان بأنها مدينة حسنة، ذات سورين وبها أسواق، وليس لها من خارجها بساتين، وليس بها شيء من الشجر، ويقابلها في جهة الجنوب ناحيتان جليلتان، هما في غاية الخصب وكثرة أشجار الزيتون واللوز والتين والكروم والرمان[5].

**15_ غزة**

بفتح أوله، وتشديد ثانيه وفتحه، ويقال أن غزة كانت إمرأة صور الذي بنى صور مدينة الساحل، قريبة من البحر وهي مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر، وهي من نواحي فلسطين غربي عسقلان، بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقلّ[6] .

وتعد آخر مدن فلسطين ممّا يلى جفار مصر، و بها قبر هاشم بن عبد مناف جد النبي صلى الله عليه وسلم؛ ولذلك سميت غزة هاشم، وبها مولد محمّد بن ادريس الشافعي الإمام المعروف كأحد أبرز أئمة الفقه، وفيها أيسر عمر بن الخطّاب في الجاهليّة، لأنها كانت مستطرقاً لأهل الحجاز [7].

---

[1] ياقوت، معجم البلدان (ج122/4).

[2] الإدريسي، نزهة المشتاق (ج357/1).

[3] اليعقوبي، البلدان (ص 167).

[4] الإدريسي، نزهة المشتاق (ج364/1).

[5] المصدر السابق، ص 364.

[6] ياقوت، معجم البلدان (ج202/4).

[7] الإصطخري، المسالك والممالك (ص 58).

فتحها المسلمون بقيادة عَمْرو بن العاص في خلافة أَبِي بكر الصديق رضي اللَّه عنه، حيث كانت بها أول وقعة واقعها المسلمون الروم على أرض فلسطين، ثُمَّ فتح بعد ذلك سبسطية ونابلس على أن أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم ومنازلهم وعلى أن الجزية على رقابهم والخراج على أرضهم[1].

وقد وصفت غزة بأنها مدينة حسنة كثيرة الخير ولها ربض مرحلة[2]، متسعة الأقطار، كثيرة العمارة، حسنة الأسواق، بها المساجد الكثيرة، والأسوار عليها[3]، وهي مبنية بالحجر والكلس، مونقة البناء، على نشز عال، على نحو ميل عن البحر الشامي، ذات هواء صحيح، وماء مصرفها خم، لا يستلذ، وشرب أهلها من الآبار، ولها مجمع للمطر، يدوم به ماء الشتاء، لكنه يستثقل، ولها فواكه كثيرة أجلها العنب والتين، وهي آخذة من البر والبحر جانبيها متصلة بتيه بني إسرائيل، من قبليها موضع زرع وماشية، وموضع مجمع حاضرة وبادية، وقرارية، أهلها عشر، بعضهم عدو لبعض ولا مهابة الدولة لا خمدت فيها نار، ولا ألم فيها بالجفون غرار، لا يطمئن فيها ساكن، ولا يستقر ظاهر ولا باطن[4].

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان (ص140).

[2] ابن حوقل، صورة الأرض (ج144/1)

[3] ابن بطوطة، تحفة النظار(ص 43)، شهاب الدين، مسالك الأبصار (ج522/3).

[4] شهاب الدين، مسالك الأبصار (ج522/3).

**المبحث الرابع: إقليم العواصـم**

لغة هي من العصمة أي المنع، والعواصم جمع عاصم وهو المانع الحامي[1]، وهو المعنى نفسه الذي جاء في قوله تعالى: ( قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ )[2]، وعاصم هنا بمعنى مانع، وقوله تعالى أيضاً: ( يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)[3].

أما اصطلاحاً: فهي الخط الثاني للدفاع عن الثغور التي يعتصم بها المسلمون، وهي التي تعصم الثغور وتمدها في أوقات النفير[4]، و تقع خلف الثغور كأنها تعصمها وتحميها[5]، وهي عبارة عن حصون موانع قصبتها أنطاكية[6]، وقيل منبج[7]، وسُميت بهذا لأن المسلمين يعتصمون بها في ثغورهم فتعصمهم بما فيها من رجال[8]، وتمنعهم من العدو إذا انصرفوا من الغزو وخرجوا من الثغر[9]، وأن أهل الثغر كانوا يعتصمون بها إذا حزبهم أمر من العدو[10].

وقد أُنشئت العواصم على يد الخليفة هارون الرشيد لتكون ظهيراً مباشراً للثغور، فقد قام الرشيد بعزل الثغور الشامية عن الثغور الجزرية، وأفرد مدناً كانت ثغوراً في السابق[11] وجعلها وحدة عسكرية مستقلة، قادرة على الدفاع عن منطقة الثغور وصد أي حملات عليها، وقادرة أيضاً على الهجوم والتوغل في أراضي الروم دون انتظار وصول المدد من بغداد، وكذلك إمداد

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، مادة عصم
[2] [ هود: 43].
[3] [ غافر: 33].
[4] قدامة، الخراج (ص 186).
[5] الخوارزمي، مفاتيح العلوم (ص 143).
[6] ابن حوقل، صورة الأرض(ج179/1)، ياقوت، معجم البلدان (ج266/1).
[7] البلاذري، فتوح البلدان (ص 138)، ياقوت، معجم البلدان (ج165/4).
[8] ياقوت، معجم البلدان (ج165/4).
[9] البلاذري، فتوح البلدان (ص 138)، ياقوت، معجم البلدان (ج165/4).
[10] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة (ج84/1).
[11] البلاذري، فتوح البلدان (ص164)، ياقوت، معجم البلدان (ج165/4).

الثغور بما يلزمها من مؤن وعتاد خلال العمليات العسكرية فيها[1]، حيث قام الخليفة هارون الرشيد بإفراد قنسّرين بكورها فصيرها جندًا واحدًا، بعد أن كانت قنسّرين وأنطاكية ومنبج وذواتها جنداً، وأفرد منبج ودلوك ورعبان وقورس وأنطاكية وتيزين، وسماها العواصم وجعل عاصمتها منبج[2].

وبذلك يكون قد جعل مناطق الثغور منطقتين عسكريتين منفصلتين: الأولي منطقة الثغور المواجهة للعدو وتضم ثغور الشام والجزيرة وهي التي تواجه البنود والمنافذ البيزنطية مباشرة، والثانية تمثلت في الثغور التي ضمها وجعل منها نظاماً دفاعياً خلفياً سماه العواصم[3]، وهي سلسلة الحصون الداخلية تلك بطرقها الحربية، والتي تمتد من أنطاكية وبلدة بياس على خليج الاسكندرونة ومنبج وبالس والرافقة من جهة نهر الفرات وتشمل منطقة جبال اللكام وما ورائها حتى الفرات[4].

ويقول ابن الفقيه في كتابه "البلدان": " كانت ثغور المسلمين أيّام عمر وعثمان أنطاكية والكور التي سمّاها الرشيد العواصم وهي: كورة قورس، والجومة، ومنبج، وأنطاكية، وتيزين، وبالس، ورصافة هشام، فكان المسلمون يغزون ما وراءها كغزوهم الروم، وكانت فيما بين الإسكندريّة وطرسوس حصون ومسالح للروم"[5].

ويُلاحظ أن هناك اختلاف بين الجغرافيين في ذكر مركز –قصبة– العواصم، بين منبج في أقصى شرق الجند على الفرات، وبين أنطاكية في أقصى الغرب قريباً من البحر الأبيض، ولعل مركز العواصم كان يتنقل بين هاتين المدينتين وفقاً لظروف الحرب بين المسلمين والروم، وحسب طبيعة الهجوم الرومي المفترض فربما كانت منبج هي المركز اذا تعرضت الثغور الجزرية للهجوم، وأنطاكية إذا كانت الثغور الشامية هي المستهدفة [6].

---

[1] قدامة، الخراج (ص 186)، البدرشيني، الأوضاع (ص 51).

[2] ابن العديم، بغية الطلب (ج112/1).

[3] الطبري، تاريخ (ج334/4)، قدامة، الخراج (ص 186).

[4] البلاذري، فتوح (ص139)، قدامة، الخراج (ص 253)، ياقوت، معجم (ج165/4).

[5] ابن الفقيه، البلدان ( ص161).

[6] الرواضية، جند قنسرين (ص 17).

وهناك تفسير آخر أن منبج كانت القصبة في الفترات التي شهدت قوة العمليات العسكرية في منطقة الثغور والعواصم، ولأنها الأقرب إلى خط الثغور من أنطاكية، لذلك كانت في هذه الفترة هي قصبة إقليم العواصم، أما في الفترات التي شهدت انحساراً في النشاط العسكري للدولة العباسية غدت أنطاكية هي قصبة الإقليم[1].

ونظراً لأهمية إقليم العواصم قام هارون الرشيد بتجنيد أعداد كبيرة من الجند فيها، وتشكلت بها فرقاً عسكرية كالفرقة التي عُرفت بالعباسية، والتي شكلها الفضل بن يحيى البرمكي، والتي كانت من العجم من أهل خراسان وضمت ما يقرب من خمسمائة ألف رجل، وكان ولائها التام للعباسيين[2].

فالعواصم إذاً هي مجموعة المدن والحصون التي توجد خلف الثغور سابقة الذكر من جهة الجنوب، وتعتبر نظام الحماية الخلفي لها، وتضم الأقاليم الخلفية والحصون الجنوبية، وتمتد من أنطاكية إلى الفرات، وكانت تضم منبج، دلوك، رعبان، قورس، أنطاكية، و تيزين، والتي بُنيت في عهد الخليفة العباسي الرشيد، وخُصصت كخط دفاع ثاني عن حدود الدولة من جهة الروم..

وقد حدث خلط لدى بعض الجغرافيين والتاريخيين[3] في تسمية مدن العواصم حيث خلطوا بينها وبين مدن الثغور ولكنهم اتفقوا على المدن والحصون التالية:

**1_ منبج**

بفتح الميم وسكون النون وكسر الباء، وهو اسم أعجمي تكلمت به العرب[4]، ومنبج مدينة تقع إلى الشمال من حلب وبينهما عشرة فراسخ، وبينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ ولها جسر عليه[5]، وهي تبعد عن ملطية مسير أربعة أيام[6].

---

(1) البدرشيني، الأوضاع (ص 131).

(2) الطبري، تاريخ (ج637/4).

(3) البلاذري ، فتوح البلدان(ص146)، ياقوت، معجم البلدان (ج165/4).

(4) البكري، معجم ما استعجم (ص264)، البكري، المنجد في الأعلام (ص 686).

(5) ياقوت، معجم البلدان (ج206/5).

(6) الاصطخري، المسالك والممالك( ص65).

أول من بناها الإمبراطور الفارسي كسرى حين غلب على ناحية من الشام مما كان في أيدي الروم، وسماها منبه، وبنى بها بيت نار، ووكل به رجلاً يسمى يزدانيار من ولد أردشير ابن بابك، ومنبه بالفارسية "أنا أجود"، فأعربت العرب منبه إلى منبج، ويُقال إنما سُميت ببيت نار منبه، فغلب على اسم المدينة[1].

فتحها المسلمون صلحاً على يد سلمان بن ربيعة الباهلي بأمر من أبي عبيدة بن الجراح، ثم بعث أبو عبيدة عياض بن غنم إلى دلوك وعينتاب، فصالحهم على مثل منبج واشترط عليهم أن يكونوا عوناً للمسلمين[2].

وكان أن مرّ هارون الرشيد على عبد الملك بن صالح ابن علي الذي سكنها في سنة 173هـ/789م، وبنى بها أبنيته، فأدخله منزله بها، فقال له الرشيد: كيف طيب منبج؟ قال: عذبة الماء، وعذبة الهواء، قليلة الأدواء، قال: فكيف ليلها؟ قال: سحرٌ كلّه[3].

كما مر بها المأمون في طريقه لغزو الروم سنة 215هـ/830م، ولما وصلها اتجه منها إلى أنطاكية، ثم إلى المصيصة ثم طرسوس ودخل منها إلى بلاد الروم، في جمادى الأولى، ففتح عدة حصون، ثم عاد وتوجه إلى دمشق[4].

وقد وصفت بأنها مدينة كبيرة، تبعد عن نهر الفرات بمرحلة، وعليها سوران وهي من بناء الروم الأُول، وفيها أسواق عامرة وتجارات دائرة، وأموال متصرفة وغلات قائمة وأرزاق واسعة[5].

كما وُصفت بأنها ذات خيرات كثيرة، وأرزاق واسعة في فضاء من الأرض[6]، حسنة البناء صحية الهواء، كثيرة المياه والأشجار وكثيرة الأسواق، قديمة عظيمة الآثار، يانعة البقول والثمار،

---

[1] ابن العديم، بغية الطلب (ج106/1).

[2] ابن خلدون، تاريخ (ج542/2).

[3] ابن العديم، بغية الطلب (ج108/1).

[4] ابن الجوزي، المختصر في أخبار البشر (ج30/2).

[5] الإدريسي، نزهة المشتاق (ج651/2).

[6] ياقوت، معجم البلدان (ج206/5).

وأهلها أخلاقهم حسنة حيث أن بها أخلاط من الناس من العرب والعجم، ويقال أنها كانت مدينة الكهنة، ودورها وأسوارها مبنية بالحجارة، ولها سور رومي أزلي[1].

وتشتهر منبج بالزبيب المعمول بالجوز والفستق والسمسم، وبها من الكروم في سائر ضياعها ما يزيد على الكثرة ويُحمل زبيبهم الى حلب وغيرها، وهى مدينة برّيّة وأرض ثريّة حمراء خلوقيّة، الغالب على مزارعها البخوس[2].

**2_ أنطاكية**

بُنيت في السنة السادسة من موت الإسكندر، على يد أنطيغونيا ولم يتمها فأتمها بعده سلوقوس، وهو الذي بنى اللاذقية وحلب والرّها، وقيل أول من بنى أنطاكية أنطيخس أو أنطجين، وهو الملك الثالث بعد الإسكندر[3]، وأنطجين اسم معناه محوّط الحيطان، فلمّا افتتحها المسلمون حرفت الأحرف إلّا الألف والنون والطاء[4].

ولمّا فتح امبراطور الفرس أنوشروان قنّسرين ومنبج وحلب وأنطاكية وحمص ودمشق وإيلياء استحسن أنطاكية وبناءها، فلمّا انصرف إلى العراق بنى مدينة على مثال أنطاكية بأسواقها وشوارعها ودورها وسمّاها زندخسره، وهي التي تسمّيها العرب رومية[5]، ثم حمل أهل أنطاكية حتى أسكنهم إيّاها، فلمّا دخلوا باب المدينة مضى أهل كلّ بيت منهم إلى ما يشبه منازلهم التي كانوا فيها بأنطاكية[6].

وتبعد أنطاكية عن حلب مسيرة يومين وعن اللاذقية ثلاثة أيام[7]، ومنها إلى مرعش يومان وكذلك إلى الحدث[8].

---

[1] ابن العديم، بغية الطلب (ج105/1).

[2] ابن حوقل، صورة الأرض (ج180/1).

[3] ياقوت، معجم البلدان (ج266/1)

[4] البكري، المسالك والممالك (ج143/1).

[5] ابن الفقيه، البلدان (ص164).

[6] مسكويه، تجارب الأمم (ج183/1).

[7] المقدسي، أحسن التقاسيم (ص190).

[8] الاصطخري، المسالك والممالك (ص67).

فتحها المسلمون على يد الصحابي أبو عبيدة بن الجراح سنة 17هـ/638م، حيث دخلها وبين يديه اللواء الذي عقده له أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وعن يمينه خالد بن الوليد، وعن يساره ميسرة بن مسروق، ودخلها والقراء بين يديه يقرأون سورة الفتح، فلم يزل سائراً حتى وصل إلى باب الجنان، فنزل هناك وخط هناك مسجداً وأمر ببنائه وبه يُعرف إلى يومنا هذا[1].

ولم يمكث بها أبو عبيدة إلا ثلاثة أيام ثم غادرها، مبرراً ذلك للخليفة عمر رضي الله عنه أنه خشيَ على المسلمين أن يغلب حب الدنيا على قلوبهم فيقطعهم عن طاعة ربهم، لما امتازت به أنطاكية من رطب وطيب الهواء وكثرة الماء والخيرات، ولما سمع عمر بذكر أنطاكية وأن الله فتحها خرَ لله ساجداً يمرغ خديه في الأرض، وقد كان المسلمون يسمونها كرسي النصرانية[2].

كان يستقر بها الإمبراطور البيزنطي هرقل، ولما بلغه خبر إيقاع المسلمين بجنده في اليرموك ، هرب منَها إِلَى القسطنطينية، فلما جاوز الدرب قَالَ: عليك يا سورية السلام ونعم البلد هَذَا للعدو –يعني أرض الشام لكثرة مراعيها–، ومات بعدها بأيام قلائل مما دخل على قلبه من القهر إثر سقوط أنطاكية[3].

وكانت أنطاكية عظيمة الذكر والأمر عند الخلفاء عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، فلما فتحت كتب عمر إِلَى أَبِي عبيدة بن الجراح، أن رتب بأنطاكية جماعة منَ المسلمين أهل نيات وحسبة، واجعلهم بها مرابطة ولا تحبس عنهم العطاء، ثُمَّ لما ولي معاوية كتب إليه بمثل ذلك، ثُمَّ أن عثمان كتب إليه يأمره أن يلزمها قوماً وأن يقطع قطائع ففعل[4].

وأهل أنطاكية الغالبون عليها قوم من الفرس، وقوم من ولد صالح بن علي ومواليه، وهم أحسن خلق الله تعالى وجوهاً، وأكرمهم أخلاقاً، وأرقّهم طباعاً، وأسمحهم نفوساً، والأغلب على خلقهم البياض والحمرة، ومذاهبهم على ما كان عليه أهل الشام إلا من تخصص[5].

---

[1] الواقدي، فتوح الشام (ج303/1).

[2] المصدر السابق، ص 303.

[3] المصدر نفسه، ص 304، ابن الجوزي، اليواقيت والضرب ( ص 5)

[4] البلاذري، فتوح البلدان (ص 149).

[5] المهلبي، المسالك والممالك (ص 65).

وقد وصفت أنطاكية بأنها ليس في الإسلام ولا في بلد الروم مثلها، لأنها في لحف جبل، هو من شرقها مطل عليها، لا تقع عليها الشمس إلا بعد ساعتين من النهار، وعليها سور من حجارة يدور بسهلها، ثم يطلع إلى نصف الجبل، ثم إلى أعلاه، ثم ينزل حتى يستدير عليها من السهل أيضاً، وفي داخل السور عراص كثيرة في الجبل ومزارع وأجنة وبساتين، ويتخرق الماء من عيون له في الجبل مقناة إلى المدينة والأسواق والمنازل، كما يتخرق مدينة دمشق، وأبنيتها كلها بالحجر، والفواكه والزهر بها كالمجان، لها أعمال واسعة من المشرق إلى المغرب[1].

ويصفها الإصطخري: "وهي بعد دمشق أنزه بلد بالشام، عليها سور من صخر يحيط بها وبجبل مشرف عليها فيه مزارع وأرحية ومراع وأشجار، وما يستقلّ به أهلها من مرافقها، ويقال أنّ دور السور للراكب يومان وتجرى مياههم في دورهم وسككهم[2] ومسجد جامعهم، وبها ضياع وقرى ونواح خصبة جدّاً "[3].

وهذه نبذة عن أبرز الحصون التي تشكلت منها أيضاً منطقة العواصم:

**1_ تِيزِينُ:**

بعد الزاي ياء ساكنة، ونون: قرية كبيرة من نواحي حلب، كانت تعدّ من أعمال قنّسرين، ثم صارت في أيام الرشيد من العواصم مع منبج وغيرها[4].

وكانت تيزين مدينة صغيرة قديمة، كان لها سور قد تهدم، وإليها كانت تنسب الكورة[5]، ويصفها رضي الدين بأنها: "تقع على طريق قنسرين، وهي بلدة قديمة، ذات عمائر عظيمة، وآثار معاهد مقيمة، فسيحة الأرجاء، صحيحة الهواء، ممتدة الغاية في الحسن والانتهاء، واسعة الرقعة، طيبة البقعة، سامية الارتفاع، مشرقة البقاع، مباركة الأغوار والتلاع، ممرّغة الجنبات،

---

[1] المهلبي، المسالك والممالك (ص 65).

[2] جمع سكة و هي الطريق المسكوكة التي تمرّ فيها القوافل من بلد إلى آخر، فإذا قيل في الكتب: من بلد كذا إلى بلد كذا كذا سكّة، فإنما يعنون الطريق، وحكي عن بعضهم أن قولهم سكك البريد، يريدون منازل البريد في كل يوم، والأول أظهر وأصحّ. ياقوت، معجم البلدان (ج38/1).

[3] الاصطخري، المسالك والممالك (ص 62).

[4] ياقوت، معجم البلدان (ج66/2).

[5] الغزي، نهر الذهب (ج382/1).

متنوعة النبات، ممدودة الظلال، مودودة الحِلال، مأمولة السعادة مسعودة الآمال، قد أخذت من كل المحاسن نَصيباً، وفوّقت إلى سهم الفضائل سهماً مُصيباً ومليت ظرفاً ونخباً، وأوتيت من كل شيء سبباً، فبتنا بها وقد عزمنا على الرحلة وأتينا صدُقاتها نحلة"[1].

**2_ رعبان ودلوك**

هما كورتان متقاربتان، ورعبان بفتح أوّله، على مثال فعلان: موضع من عمل منبج من الثغور الجزريّة[2]، ويقال: إن مقام داود عليه السّلام كان بها، وأنه منها جهز الجيش إلى قورس، فقتل بها أوريا بن حنان[3]، وقد خربت المدينة والقلعة وبقيت بعد ذلك قرية بها فلاحون[4].

أما دلوك فكانت مدينة عامرة ولها قلعة من بناء الروم عالية مبنية بالحجارة، وكانت لها قناة قد ركبت على قناطر يصعد الماء عليها إلى القلعة، وحولها أبنية حسنة منقوشة في الحجر، وحولها مياه وفيرة وبساتين كثيرة الفواكه[5].

وقد فُتحت رعبان ودلوك سنة 16هـ/637م حين بعث أبو عبيدة بن الجرّاح عياض بن غنم إلى رعبان ودلوك بعد فتح منبج، فصالحه أهلها على مثل صلح منبج واشترط عليهم أن يبحثوا عن أخبار الروم ويكاتبوا بها المسلمين[6].

وتعتبر دلوك البلد الذي يمكن أن يعتبر جغرافياً مركز توزع الثغور والعواصم، فمنها وإلى الشرق والشمال تقع ثغور الجزيرة ومنها إلى الغرب تقع ثغور الشام ومنها إلى الجنوب يقع اقليم العواصم[7].

---

[1] رضي الدين، المطالع البدرية (ص 300).

[2] البكري، معجم ما استعجم (ج660/1).

[3] رجل من بني إسرائيل، كان قائداً في جيش النبي داوود عليه السلام ،انتصر في معركتين وفي الثالثة قتل، وحسب الروايات أن النبي داوود تزوج امرأته بعد انقضاء عدتها وولدت له النبي سليمان عليه السلام. ابن الأثير، الكامل ج196/1).

[4] ياقوت، معجم البلدان (ج52/3)

[5] اليعقوبي، البلدان (ص206)

[6] ياقوت، معجم البلدان (ص52).

[7] مصطفى، دولة بني العباس (ج298/2).

**3_ قورس:**

بالضم ثم السكون، وراء مضمومة، وسين مهملة: مدينة أزليّة بها آثار قديمة وكورة من نواحي حلب، ثم أصبحت بعد ذلك خراب وبها آثار باقية، وبها قبر أوريّا بن حنّان[1].

وفُتحت حينما سار إليها أبو عُبَيْدة بن الجراح يريدها، وقدم أمامه عياض بن غنم، فتلقاه راهب من رهبانها يسأل الصلح عن أهلها، فبعث به إلى أبي عبيدة وهو بين بيت جبرين وتل أعزاز فصالحه، ثُمَّ أتى قورس فعقد لأهلها عهداً وأعطاهم مثل الذي أعطى أنطاكية[2].

وكانت قورس كالمسلحة لأنطاكية، يأتيها في كل عام طالعة من جند أنطاكية ومقاتلتها، ثُمَّ حول إليها ربع من أرباع أنطاكية وقطعت الطوالع عنها إثر ذلك، بها حصن يقال له "حصن سلمان" نسبة إلى سلمان بْن ربيعة الباهلي، الذي كان في جيش أَبِي عُبَيْدة بن الجراح مع أَبِي أمامة الصدى بْن عجلان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث نزل الحصن فنُسب إليه[3].

**4_ رصافة هشام**

رصافة هشام تقع إلى الغرب من الرقّة وبينهما أربعة فراسخ على طرف البريّة، وهي صحيحة التربة، صحيحة الهواء، بناها الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك لما وقع الطاعون بالشام، وكان يسكنها في الصيف ويقيم بها؛ لطيب هواءها ونقاء تربتها[4].

وفي الأصل كانت الرصافة مدينة رومية، ثم خُرجت ( أي أصبحت أرضاً خراجية) في عهد الأمويين، وقد اختارها هشام بن عبد الملك مقاماً لخلفاء بني أمية من بعده، حيث كانوا يهربون إليها إذا وقع الطاعون في بلاد الشام، بدلاً من أن ينزلوا في البرية، وابتنى بها قصرين وكان بها دير معروف[5].

---

[1] ياقوت، معجم البلدان (ج412/4).

[2] البلاذري، فتوح البلدان (ص 150).

[3] المصدر السابق، ص 150.

[4] ياقوت، معجم البلدان (ج47/3).

[5] ابن الجوزي، المختصر (ج205/3).

والرصافة كانت للنعمان بن جبلة وفيها كان يقيم، وإليها كانت تنتهي غنائمه، وكان على بابها صليب لأنه كان نصرانياً[1]، وهو الذي أصلح صهاريجها وصنع صهريجها الأعظم، وهذا يدلل على أنها كانت قبل الإسلام بدهر ليس بالقصير، ولعلّ هشاماً عمّر سورها أو بنى بها أبنية يسكنها[2].

ورصافة هشام فيها دير عجيب وعليها سور، وليس عندها نهر ولا عين جارية، إنّما شربهم من صهاريج عندهم داخل السور[3]، وقد برع أهلها في عمل الأكسية، وكل رجل فيها غنيهم و فقيرهم يغزل الصوف والنساء ينسجن[4].

ومما سبق يتبين لنا أن الثغور كانت لها تقسيماتها العديدة، ولأهميتها فقد وجدت الاهتمام والعناية من قبل الحكام العباسيين وهو ما سنتكلم عنه باستفاضة في الفصل القادم إن شاء الله ..

---

[1] الحميري، الروض المعطار (ص295).

[2] ياقوت، معجم البلدان (ص47/3).

[3] المصدر السابق، ص 47.

[4] كرد علي، خطط الشام (ج200/4).

# الفصل الثالث:

# دور الدولة العباسية في تعزيز

# الثغور وحمايتها

بعد أن بينّا تقسيمات الثغور وعرّفنا أبرز تلك الثغور، فإننا سنشرع في هذا الفصل في بيان مدى اهتمام الخلفاء العباسيين الأوائل بتلك الثغور، و أبرز الأعمال التي قاموا بها تجاه الثغور الشامية، البرية منها أو البحرية، سواء في مجال بنائها وتحصينها، أو في مجال شحنها بالرجال، أو في مجال قيادة الحملات العسكرية لرد هجوم الروم عليها أو للثأر من عاديات الروم عليها، أو في مجال تسيير الصوائف لإرباك الروم ودفعهم عن حدود الدولة الإسلامية وإبعادهم عنها.

فلقد حرصوا على الاهتمام بالمنطقة الثغرية في شمال الشام والجزيرة وعلى طول خط الفرات، بالإضافة إلى تحصين السواحل بالحصون والقلاع والمدن والأربطة[1]، فقيمة منطقة الثغور والعواصم في تلك الفترة لم تكن قيمة اقتصادية كبيرة، ولكنها كانت قيمة سياسية ودينية معاً، تتصل بأمر الجهاد والرغبة في الاشتهار به، وقد بلغ قيمتها من تلك الناحيتين أن كان الخلفاء يباشرون الحرب على تلك الجبهة بأنفسهم، ويخرجون إلى المنطقة على رأس الجيوش المحاربة، قام بذلك الخليفة العباسي المهدي[2] ثم الرشيد ولياً للعهد وخليفة، إذ كان يغزو سنة ويحج سنة أخرى، وكما قام به المأمون حتى أنه توفي في بعض غزواته في ثغر طرسوس، ثم قام به من بعد ذلك المعتصم والواثق[3].

ولكن قبل الحديث عن مجهوداتهم المتنوعة لابد لنا أن نتعرف على شكل العلاقة التي كانت سائدة في تلك الفترة بين الدولة العباسية وبين الدولة البيزنطية، وخاصة في مناطق الاحتكاك والتي تُعرف بالمناطق الثغرية موضوع البحث.

(1) هي حصون عسكرية مشحونة بالمتطوعين، انتشرت على طول الحدود الإسلامية سواءً كانت البرية أو البحرية وفي مناطق الثغور، وأنشئت للدفاع عن مناطق الثغور المعرضة لأغارات العدو وكذلك ملجأ يحتمي به الناس في المناطق التي يدهمها العدو، ويضم الرباط حجرات ومساكن للجند ومخازن للمؤن والسلاح، وبرجاً للمراقبة، ثم تطورت لتصبح قواعد للهجوم وشن الغارات. البدرشيني، الأوضاع (ص 89)

(2) المهدي هو أبوعبد الله محمد بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد ابن علي، الهاشمي العباسي 158- 169 هـ / 775 -785 م، ولد بإيذج من أرض فارس بين خوزستان وأصبهان، في سنة 127هـ، وأمه أم موسى الحميرية، وكان جواداً ممداحاً معطاءاً، محبباً إلى الرعية، قصاباً في الزنادقة، باحثاً عنهم، وكان المهدي أسمر مليحاً، مضطرب الخلق، على عينه بياض، جعد الشعر، وكان غارقاً كنحوه من الملوك في بحر اللذات واللهو والصيد، ولكنه خائف من الله، معاد لأولي الضلالة، تملك عشر سنين وشهراً ونصفاً، وعاش ثلاثاً وأربعين سنة، ومات بماسبذان سنة169هـ، وبويع ابنه الهادي بعده. الخطيب، تاريخ (ج382/3)، الذهبي، سير(ج401/7).

(3) مصطفى، دولة بني العباس (ج333/2).

**المبحث الأول: طبيعة العلاقة بين العباسيين و البيزنطيين في العصر العباسي الأول**

لعل أهم وأخطر العلاقات الخارجية التي عاشها العباسيون الأوائل إنما كانت علاقاتهم مع الروم البيزنطيين، فقد كانت جبهة الروم هي الجبهة التي أخذت من وقت وجهد ومال ودماء الدولة العباسية، أكثر بكثير مما أخذت أي جبهة أخرى[1]، بالرغم من أن خطة الحرب بين المسلمين والبيزنطيين قد تغيرت منذ استلام العباسيين للسلطة سنة 132هـ/750م، حيث قامت بيزنطة بسحب جيوشها و إعادتها إلى بيزنطة، وأصبحت حروبها مع المسلمين عبارة عن غارات هدفها الهدم والتخريب وليس حروباً منظمة[2].

ويُعزى ذلك الأمر لانشغال البيزنطيين في ذلك الوقت بظهور أعداء جدد أبرزهم البلغار، حيث بدأوا يهددون الحدود البيزنطية وذلك لقرب بلادهم من القسطنطينية، فواجه الأباطرة ذلك التهديد ببناء مزيد من التحصينات وشن الحملات المتتالية، حيث شن الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس تسع حملات متتالية ضدهم في الفترة ما بين 138-147هـ/755-764م، حتى تم عقد هدنة بين الطرفين، ثم نُقضت واستمرت الحروب مجددًا والتي استهلكت جانباً كبيراً من فترة حكم الأسرة الأيسورية[3] ومن جاء بعدها[4].

وكذا سياسة العباسيين تجاه بيزنطة قد تغيرت إلى حد ما هي أيضاً، فقد انشغل العباسيون بالأوضاع الداخلية المضطربة نتيجة سقوط الدولة الأموية 132هـ/750م وقيام الدولة العباسية الناشئة، وما تبع هذا من نقل للعاصمة إلى بغداد بعيدًا عن الحدود البيزنطية، فعندما كانت دمشق عاصمة للخلافة كانت بيزنطة تشكو وبشكل دائم من هجمات المسلمين على أراضيها[5]، أما في العهد العباسي فقد تغير الوضع، فالدولة العباسية اتبعت سياسة الدفاع، بينما عادت

[1] مصطفى، دولة بني العباس (ج293/2).

[2] حمودي، الجزيرة الفراتية ( ص ص 119-120).

[3] أسرة حكمت الإمبراطورية البيزنطية في الفترة ما بين (98-205هـ/ 717-820م) ، أي ما يقرب من قرن من الزمان، وكان أشهر ملوكها مؤسسها الإمبراطور ليو الثالث الأيسوري، والذي سمي بذلك نسبة إلى البلدة التي نشا فيها وهي إيسوريا بجنوب شرق آسيا الصغرى، وكذلك ابنه الإمبراطور قسطنطين الخامس، وقد صبغ عهد تلك الأسرة بمحاربة فكرة عبادة الصور. ديورانت، قصة الحضارة (ج157/14).

[4] محمد، التوجهات في العلاقات السياسية (ص14).

[5] المرجع السابق، ص 10.

بيزنطة لسياسة الهجوم، ولكن هذا الوضع لم يستمر طويلاً، فبعد أن انتظمت أمور الدولة العباسية سياسيًا، عاودت الهجوم على بيزنطة من جديد وبدأت في استرداد ما أُخذ منها[1].

ويُعزى اتباع العباسيين لتلك السياسة تجاه البيزنطيين في بداية حكمهم؛ إلى مناوئة أهالي بلاد الشام للعباسيين لأنهم لازالوا على ولائهم للأمويين، وأيضاً عدم اهتمام العباسيين بإنشاء أسطول قوي يضاهي الأسطول الأموي، ثم إن الخلافة العباسية كان عليها بذل الجهود للسيطرة على مساحتها وتأمين حدودها، فالتزمت الدفاع، واهتمت بإنشاء الأنظمة الداخلية وتقوية الدولة والإبقاء عليها أكثر من العمل على توسيع رقعتها[2].

وقد كانت جبهة الروم تسخن أو تهدأ تبعاً للظروف المتقلبة في كلا العاصمتين: بغداد من جهة، والقسطنطينية من الجهة الأخرى، ويمكن أخذ فكرة عن حركة المد والجزر الحربي في تلك الفترة من خلال تتبع الغزوات والعمليات الحربية التي نفذها الخلفاء واحداً تلو الآخر، ففترة حكم الخليفة أبو جعفر المنصور[3] كانت تعتبر فترة توطيد للحكم وتأمين للحدود، ولم تشهد أعمالاً حربية واسعة على الجبهة الرومية، أما الفترة التي بلغ فيها الجهاد العباسي ذروته ضد الروم فهي التي امتدت ما بين خلافة المهدي وخلافة المعتصم، والذي شهد عصره آخر جهد حربي ملحوظ على تلك الجبهة، وبداية من عهد الواثق بدأ دبيب الوهن في القوى العباسية بعد ذلك[4].

وهكذا كان مستوى العلاقة الدائمة بين الدولتين يقع تحت تأثير تعاقب الخلفاء والأباطرة المختلفين على عرشي الدولتين، وإن كان التأثر محدوداً، والوصف الأساسي الذي يمكن أن يُعطى لتلك العلاقات أنها كانت علاقات عدائية دوماً، واستعراضها لا يزيد أن يكون سجلاً

---

[1] عبيد، واقع البحرية الإسلامية (ص 9).

[2] محمد، التوجهات في العلاقات (ص 14).

[3] أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي الهاشمي العباسي المنصور136هـ ـ 158هـ /754- 775م، أمه سلامة البربرية، ولد سنة 95هـ، كان في صباه يلقب بمدرك التراب، وكان فحل بني العباس هيبة وشجاعة، ورأياً وحزماً، ودهاء وجبروتاً، وكان جماعاً للمال، حريصاً، تاركاً للهو واللعب، حسن المشاركة في الفقه والأدب والعلم، ودانت له الأمم على ظلم فيه وقوة نفس، ولكنه يرجع إلى صحة إسلام وتدين في الجملة، وتصون وصلاة وخير، مع فصاحة وبلاغة وجلالة وكان يلقب أيضاً: أبا الدوانيق، لبخله ولتدنيقه ومحاسبته الصناع لما أنشأ بغداد، حج في خلافته مرتين، وفي الثالثة مات ببئر ميمون قبل أن يدخل مكة. الصفدي، الوافي (ج233/17)، الذهبي، سير الأعلام (ج7/ص ص 83-84)، ابن كثير، البداية (ج10/ 129).

[4] مصطفى، دولة بني العباس (ج300/2).

متشابهاً تشابهاً كبيراً، أبرز ملامحه هي الحملات الحربية السنوية التي كانت تجوب منطقة الحدود جيئةً وذهاباً، تلك الحدود التي يتراوح عرضها بين 150ميلاً إلى350ميل، والمملوءة لدى الجانبين الإسلامي والرومي بالمدن والحصون والقلاع[1].

وبالرغم من تلك الحملات المتواصلة إلا أن خط الحدود الإسلامي الرومي لم يتغير، وقد كان خلال العصر العباسي كله عبارة عن سلسلة من المواقع المحصنة، تبدأ من طرسوس على البحر المتوسط، ثم تذهب شرقاً إلى أذنة على نهر سيحان، والمصيصة على ضفتي نهر جيحان، ثم إلى الشمال الشرقي حتى مرعش، بعد أن يمر في غرب اللكام الشمالي بحصن الهارونية الذي بناه الخليفة هارون الرشيد[2]، ثم تمد سلسلة الحصون في شمال شرقي مرعش غير بعيد منها حتى ثغر الحدث، وفي شمال شرقي هذا البلد تقع ملطية أهم الحصون في شمال الجبهة، وعلى نهر الفرات الأعلى[3].

وأما ما يخص الحدود البحرية فإنها لم تشهد اعتداءً بيزنطياً بحرياً مشهوراً، كما لم تشهد في بادئ الأمر نشاطاً عباسياً مهماً، وهذا يعني بلا شك أن الدولة العباسية قد انتهجت نفس السياسة الدفاعية عن حدودها البحرية أيضاً، فقد كان التركيز على الشرق وعلى الحدود البرية في أول الأمر هو الأولوية، وكان لانتقال مركز الخلافة من دمشق إلى بغداد دوراً مهماً في ذلك، ما يعني بُعد العاصمة عن الساحل وبالتالي بعدها عن الأخطار القادمة من البحر[4].

ولقد تزامن ذلك الأمر مع انصراف بعض النشاط البحري العربي الإسلامي من البحر المتوسط إلى الخليج العربي، حيث فُسر على أنه إهمال عباسي للبحرية في شرق المتوسط، مما أغرى

---

[1] مصطفى، دولة بني العباس (ج294/2).

[2] هارون ابن محمد ابن المنصور العباسي170- 193هـ /786 -809 م، ولد بالريّ، لما كان أبوه أميراً على خراسان، ونشأ في دار الخلافة ببغداد، وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي سنة 170هـ، فقام بأعبائها، وازدهرت الدولة في أيامه، وكان الرشيد عالماً بالأدب وأخبار العرب والحديث والفقه، فصيحاً، شجاعاً كثير الغزوات، يلقب بجبّار بني العباس، حازماً كريماً متواضعاً، يحج سنة ويغزو سنة، لم ير خليفة أجود منه، ولم يجتمع على باب خليفة ما اجتمع على بابه من العلماء والشعراء والكتاب والندماء، له وقائع كثيرة مع ملوك الروم، ولم تزل جزيتهم تحمل إليه من القسطنطينية طول حياته، ولايته 23 سنة وشهران، توفي في " سَناباذ "من قرى طوس، وبها قبره. الذهبي، سير (ج8/ص ص53-54)، ابن كثير، البداية (ج232/10).

[3] مصطفى، دولة بني العباس (ج327/2).

[4] حمودي، الجزيرة الفراتية (ص ص119-120).

الإمبراطورية البيزنطية هي الأخرى على إهمال شؤون قوتها البحرية منذ الربع الأخير من القرن الثاني الهجري[1].

وهذا لا يعني ذلك أن العباسيين كانوا فقراء في مجال القوة البحرية، فقد ورثوا قوة بحرية لا بأس بها في سواحل بلاد الشام ومصر، وقد عملوا على العناية بها وتطويرها كماً ونوعاً، وقُدر لها أن تؤدي دوراً مهماً وكبيراً بعد ذلك في شرق البحر المتوسط، وانعكس تأثيرها في الأوضاع السياسية والحربية والنشاط البحري في نهاية العصر العباسي الأول[2].

وقد انعكس ذلك على أوضاع الثغور البحرية، والتي كانت تعتبر في عداد الثغور القوية والآمنة وفيها من القوة والبأس الكثير، مما زاد في شأنها، ومن أشهرها ثغر طرطوس الشهير بجهاده، وكذلك طرابلس الميناء العجيب الذي يتسع للمراكب الكثيرة، وثغر صور التي كانت تنطلق منه الحملات الإسلامية ضد الإمبراطورية البيزنطية[3].

---

[1] عبيد، واقع البحرية (ص ص 5-6).

[2] المرجع السابق، ص 4

[3] اليعقوبي، البلدان (ص 327)، المقدسي، أحسن التقاسيم (ص 163).

## المبحث الثاني: بناء الثغور وتحصينها

اهتم العباسيون الأوائل بالمدن الثغرية، وفي مقدمة ذلك البناء والعمران وكذلك اهتموا بالجوانب الحضارية بها، ويعزى ذلك إلى ما شهده العصر العباسي من فتور في ميدان الفتوح وتوجيه الحملات العسكرية بخلاف ما كان عليه الأمر في العصر الأموي، فاتجه الخلفاء وولاتهم إلى الاهتمام ببناء المدن الثغرية والعناية بها، لتكون قادرة على درء خطر بعض القوى المجاورة وعلى رأسها الدولة البيزنطية، والتي كانت ترى في جنوح العباسيين إلى السلم في بعض الفترات فرصة لها للقيام بغزوات مضادة صوب الأراضي الإسلامية[1].

وأول من اهتم ببناء الثغور وتحصينها في العصر العباسي الأول هو الخليفة أبو جعفر المنصور، والذي يُعد من أكثر الخلفاء اهتماماً بالثغور الشامية وتحصينها، كما حرص على وضع أسلوب للقتال وتقاليده، والمحافظة على انتظام تسيير الصوائف والشواتي، ولقد أثمرت استراتيجية المنصور ومن بعده ابنه المهدي في شمال الشام، بحيث أصبحت مدنه حصناً منيعاً للقوات الإسلامية، يهاجمون منه القوات البيزنطية التي لم تتردد في الإغارة على بلاد المسلمين من حين لآخر، وكانت سّنة حميدة طبقها من جاء بعدهم من خلفاء بني العباس[2].

ولقد سار خلفاء بني العباس الأوائل على النظام الذي اتبعه الخليفة المنصور في العناية بتحصين مناطق الحدود وبناء المدن المسورة والقلاع الحصينة فيها، حتى إذا اكتملت أصبحت درعاً يقي المسلمين من أخطار أعدائهم، وكان ذلك أساس النظام الدفاعي، وهذا ما سار عليه المهدي والرشيد والمأمون ثم المعتصم على السواء، وقد أضحى ذلك العمل سياسة مستمرة توحي بأن العباسيين كانوا يعتبرون خط الحدود نهاية لا ابتداء، ومكان استقرار وحماية لا نقطة انطلاق وهجوم، وقد استغرقت تلك السياسة الكثير من الجهد والمال، وأصبحت الثغور بالإضافة إلى كونها مدناً عسكرية البناء والطابع، مجتمعات عسكرية أيضاً ذات طابعها الخاص والمميز[3].

---

[1] الراجحي، جهود العباسيين(ص 2).

[2] البلاذري، فتوح البلدان (ص ص 192-193)، الملحم، العلاقات السياسية (ص 4).

[3] البلاذري، فتوح البلدان (ص ص 169-173)، مصطفى، دولة بني العباس (ج328/2).

وقد بدأ الخليفة المنصور سياسة التعمير في سنة 139هـ/756م حين أمر بعمران مدينة المصيصة، والتي كانت قد عُمرت في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، ولكنها خربت بعد ذلك بسبب مجاورتها لبلاد الروم، وكان حائطها متشعثاً منَ الزلازل وأهلها قليلون في داخلها، فبنى سور المدينة وأسكنها أهلها سنة140هـ/757م وسماها "المعمورة"، وبنى فيها مسجداً جامعاً في موضع هيكل كان بها وجعله مثل مَسْجِد عُمَر مرات، وأسكنها ألف جندي[1].

وفي سنة 140هـ/757م وجه الخليفة أبو جعفر المنصور عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام على الجزيرة وثغورها، ومعه الحسن بن قحطبة، ومعهم سبعون ألفاً، فعسكروا على ملطية وأتموا بناءها[2]، وكانت الروم قد هاجمتها قبل ذلك في سنة 133هـ/750 م وهدموها ولم يبقوا منها إلا شيئاً يسيرا[3]، فقام الحسن بن قحطبة[4] بجمع العمال من كافة البلاد الإسلامية، ويذكر البعض أن الحسن كان يحمل الحجارة بنفسه احتساباً، وقد استطاع الجند الخراسانية أن يعيدوا بناء ملطية في نحو ستة شهور[5].

وقد أسهمت جهود المنصور في إعادة بناء مدينة ملطية في تلك الفترة إلى حد بعيد في دعم قوتها واستمرار صمودها، وجعلها قادرة على أن تقوم بدورها المناط بها في حماية ما حولها من المناطق الثغرية لعهود طويلة، ولا أدل من ذلك ما ذكرته بعض الروايات أن الروم غزوها في عهد الخليفة الرشيد إلا أنهم فشلوا في غزوها ولم يتمكنوا من الاستيلاء عليها[6].

وفي سنة 141هـ/758م أغزى المنصور عمه صالح بن علي بن عبد الله بن عباس إلى بلاد الروم، فوجه الأخير هلال بن ضيغم في جماعة من أهل دمشق والأردن وغيرهم، فتم بناء

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان (ص 166)، ابن الاثير، الكامل (ج5/ 84)، ابن الجوزي، المختصر (ج214/1).

[2] ابن العديم، بغية الطلب (ج255/1)، ابن الأثير، الكامل (ج500/5).

[3] ابن خياط، تاريخ (ص 418)، ياقوت، معجم البلدان (ج192/5).

[4] أحد القادة الشجعان المقدمين في بدء العصر العباسي، استخلفه المنصور سنة 136هـ على أرمينية، ثم استقدمه سنة 137هـ لمساعدة أبي مسلم الخراساني على قتال عبد الله بن علي، وسيره سنة 140هـ مع عبد الوهاب بن إبراهيم الامام في سبعين ألفاً إلى ملطية، فكان للحسن فيها أثر عظيم، وغزا الصائفة سنة162هـ في ثمانين ألفاً، فأوغل في بلاد الروم، توفي في بغداد سنة 181هـ. الذهبي، تاريخ الإسلام (833/4)، الزركلي، الأعلام (ج377/7)

[5] البلاذري، فتوح البلدان (ص 191).

[6] البلاذري، فتوح البلدان (ص 188)، الراجحي، جهود العباسيين (ص 21).

مدينة أذنة، وذلك بأمر من صالح بن على، كما بنى القصر الَّذِي عند جسر أذنة على نهر سيحان، إلا أن بناءه لم يكن محكماً فهدمه الرشيد بعد ذلك وأعاد بناءه من جديد[1].

وفي عهد الخليفة المنصور أيضاً بنى صالح بن علي مدينة مرعش وحصنها، والتي كانت قد بُنيت في العصر الأموي وجُددت أكثر من مرة، حيث أغار عليها الروم في أواخر عهد مروان بن محمد وخربوها[2]، فأتم بناء المدينة وزودها بحامية عسكرية، وحرص أن يكون جنود تلك الحامية من خراسان لأنها من ثغورهم[3].

كما أعاد الخليفة أبو جعفر المنصور بناء حصن زبطرة، والذي استغل الروم حدوث فتنة الخليفة الأموي مروان بن محمد[4] فأغاروا عليه وشعثوه[5].

وفي سنة 155هـ/772م وجه المنصور ابنه المهدي لبناء مدينة الرافقة[6] مقابل بلاد الروم، فبنيت على شكل مدينة بغداد، وأصبحت مركزاً مهماً للتوجيه والإشراف على العمليات في مناطق الثغور[7]، وحدث ذلك رغم احتجاج أهل الشام على بنائها بحجة أن ذلك يعطل أسواقهم حيث قالوا له: " تعطل أسواقنا، وتذهب بمعايشنا، وتضيق منازلنا"[8]، فهم بمحاربتهم، وبعث إلى راهب في الصومعة، فقال له: هل عندك علم أن يُبنى هاهنا مدينة؟ فقال له: بلغني أن رجلاً يقال له مقلاص يبنيها، قَالَ: أنا مقلاص، فبناها على بناء مدينة بغداد، سوى السور وأبواب الحديد

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان (ص ص 168- 172)، ابن العديم، بغية الطلب (ج169/1).

[2] البلاذري، فتوح البلدان (ص ص 192-193)، قدامة، الخراج (ص 319).

[3] البلاذري، فتوح البلدان (ص ص 191-192).

[4] حدثت سنة 127هـ/745م حينما قام سليمان بن هشام بن عبد الملك بخلع مروان بن محمد وحاربه وكاتب أهل الشام وانضموا إليه وسار بمن معه وعسكر بهم في قنسرين، وانفلت عشرة آلاف من أهل الشام الذين استنفرهم مروان لقتال الخوارج، وذهبوا إلى سليمان بالرصافة، ودعوه إلى خلع مروان، فأجابهم إلى ذلك دون أن يعبأ ببيعته وعهوده التي قطعها على نفسه للخليفة، واستفحلت ثورة سليمان، فقرر مروان أن يسير إلى سليمان بنفسه؛ و دارت بينهما معركة كبيرة هُزِمَ فيها سليمان، وقُتِلَ حوالي ثلاثين ألفًا من أتباعه، وهرب هو بمن بقي من جيشه إلى الكوفة. ابن الأثير، الكامل (ج339/4).

[5] البلاذري، فتوح البلدان (ص191).

[6] بلدة متصلة بالرقة على ضفة نهر الفرات، من أعمال الجزيرة، بناها المنصور على بناء بغداد. ياقوت، معجم البلدان (ج15/2).

[7] البلاذري، فتوح البلدان (ص180)، ابن الأثير، الكامل (ج182/5).

[8] الطبري، تاريخ الرسل (ج44/8).

وخندق منفرد، وأمر بخط المدينة وحفر الأساسات، وضرب اللبن وطبخ الآجر، حتى أكمل بناءها[1].

وفيما يخص الثغور البحرية وتحصينها فقد قام المنصور بتتبع حصون السواحل ومدنها فمصّرها، وحصّنها، وبنى ما احتاج منها إلى البناء، وجاء ذلك لما تجدد تهديد البيزنطيين للنظام الثغري وسقوط اللاذقية بأيديهم سنة140هـ/758م، حيث انبرى الإمام الأوزاعي[2] لإنذار الخليفة بخطورة الأمر، وطلب منه أن يأمر بتخصيص أعطيات سنوية لأهل الساحل حتى يَقْوَوا على المرابطة، وحراسة الأبراج والحصون الساحلية ففعل[3].

كل ذلك أتى ضمن سياسة الخليفة أبو جعفر المنصور بشأن تنظيم وتحصين مناطق الثغور، والتي تبين أن المنصور هو الذي وضع أساس النظام الثغري الذي وصل إلى حد الكمال زمن المعتصم[4].

ولما تولى المهدي تابع السير على درب أبيه المنصور في بناء الحصون، وحشد الجند في محاولة لتأمين حدود الشام من غارات البيزنطيين، فتصدى لإغارات الإمبراطور البيزنطي ليو الرابع وأرسل العديد من الحملات من أجل ذلك، ولقد أصبحت سياسته سنة لمن جاء بعده من خلفاء بني العباس[5]، كما وأولى الشام معاملة خاصة فبالرغم من أنه قد وصف بأنه كثير عزل الولاة بلا سبب، إلا أن ذلك لم يظهر على الشام وأجنادها، سوى إقليم الجزيرة[6].

ففي سنة165هـ/782م أرسل المهدي ابنه هارون الرشيد لغزو بلاد الروم، فاستغل هارون توسعاته في بلاد الروم، فقام برمّ المصيصة ومسجدها وزاد في شحنتها وقوى أهلها، كما وقام بهدم القصر الذي عند جسر أذنة على نهر سيحان، والذي كان قد بُني في عهد جده المنصور

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل (ج44/8).

(2) سيأتي ذكره في الفصل الرابع

(3) البلاذري، فتوح البلدان (ص 167).

(4) حسن محمود وآخرون، العالم الإسلامي (ص ١٥٦).

(5) البلاذري، فتوح البلدان (ص١٩٤)، الملحم، العلاقات السياسية ( ص5)

(6) الطبري، تاريخ (ج121/8).

ولكن بناءه لم يكن بالشكل المطلوب وأعاد بناءه من جديد[1]، وفي عهده تم تجديد مدينة كفر بيا وهي مدينة محاذية لمدينة المصيصة[2].

كما وأمر الخليفة المهدي ببناء مدينة طرسوس، جاء ذلك بناءً على طلب من قائده الحسن بن قحطبة الطائي، وذلك حينما خرج من بلاد الروم وكان قد أبلى في غزوها بلاءً حسناً، ودوخ أرض الروم حتى سموه "الشيتن" و صوروه في كنائسهم[3]، فحين نزل الحسن مرج طرسوس ركب إِلَى مدينتها وهي خراب، فنظر إليها وطاف بها من جميع جهاتها وأحصى عدة من يسكنها فوجدهم مائة ألف نسمة، فلما قدم على المهدي وصف له أمرها وما في بنائها وشحنتها من غيظ للعدو وكبته وعز الإسلام وأهله فأمره الخليفة المهدي ببناء المدينة[4].

كما وتم في عهده بناء مدينة الحدث الثغرية، والذي كان قد أشار عليه الحسن بن قحطبة أيضاً ببنائها بعد عودته من غزو البلاد الرومية كما فعل بشأن طرسوس، وبين له ضرورة ذلك وأهميته، فوافق وأمره أن يبدأ بها[5]، فقام الوالي العباسي على إقليم الجزيرة علي بن سليمان بن علي ببناء المدينة، حيث سُميت "المحمدية" وسُميت كذلك "المهدية" نسبة إلى الخليفة محمد المهدي، واكتمل بنائها في سنة 169هـ/785م في السنة الذي توفي فيها الخليفة المهدي[6].

ولما ولى الخليفة موسى الهادي[7] سنة 169هـ/785م وبالرغم من قصر مدة ولايته والتي استمرت لسنة واحدة، إلا أنه اهتم بأمر الثغور وتحصينها، حيث أنه بمجرد توليه قام بعزل عليّ

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان (ص168)، ابن العديم، بغية الطلب (ج169/1).

[2] البلاذري، فتوح البلدان (ص ص 168-169)، قدامة، الخراج (ص 308).

[3] البلاذري، فتوح البلدان (ص169).

[4] المصدر السابق، ص 168

[5] المصدر نفسه، ص 173، قدامة، الخراج (ص310).

[6] البلاذري، فتوح البلدان (ص194)، قدامة، الخراج (ص320)

[7] أبو محمد موسى بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس 169-170هـ/785-786م، ولد سنة 144هـ/671م، وكان حسناً جميلاً طويلاً، أبيض، وكان قوي البأس يثب على الدابة وعليه درعان، وكان أبوه يسميه: ريحانتي، وكان شهماً خبيراً بالملك كريما، والعفو عن الزلات، ولي الخلافة في محرم سنة 169هـ/785م وتوفي في ربيع الأول سنة 170هـ/786م، وله ست وعشرون سنة، ودفن في قصر بناه وسماه: الأبيض بعيساباذ من الجانب الشرقي من بغداد، وكان له من الولد تسعة: سبعة ذكور وابنتان، وأمه تلقب: توبة. ابن الجوزي، المنتظم(ج305/8)، ابن كثير، البداية والنهاية (ج170/10).

بن سليمان عن إقليم الجزيرة وقنسرين وولى عليهما محمد بن إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس[1]، ولما بلغه تهدم سور مدينة الحدث بسبب الأمطار والثلوج أرسل ثلاثة من قواده للمسير إليها لحمايتها وتحصينها إلا أن الأمر لم يتم بسبب وفاته[2]، كما أنه اتخذ المراصد والرباطات بالثغور والأمصار كقوة لمساندة الثغور عند الشدائد ووقت الحاجة إليها[3].

ولما تولى الرشيد سدة الخلافة سنة١٧٠هـ/٧٨٦م كان للفترة التي عاشها مع أبيه المهدي أثرها الواضح في علاقته مع الروم، فقد اطلع بنفسه على خطر البيزنطيين على المسلمين، ورأى أن خطرهم سيبقى قائماً طالما بقيت الحدود مفتوحة بين الجانبين، لذا عمل على إتمام ما بدأه أسلافه، فأنشأ التحصينات على المناطق المخوفة لتكون جميعاً بمثابة الحصن الحصين الذي يحمي دار الإسلام من ناحية، ومن ناحية أخرى ليتخذها المسلمون قواعد لهم يشنون منها حملاتهم على أراضي الدولة البيزنطية، فكانت فكرة إنشاء العواصم[4].

وفي نفس الوقت عمل الرشيد على إخماد ثورات الخوارج في إقليم الجزيرة بعد تزايدها ضده، ومن أجل ذلك ولى كبار قادته عليها والذين استطاعوا القضاء على تلك الثورات كخزيمة بن خازم التميمي[5]، ومحمد بن جميل، ويزيد بن مزيد[6]، والذين قضوا على أعنف الثورات في عهده والتي كان من أبزها ثورة الوليد بن طريف والتي انتهت بقتل قائدها[7].

وفي سنة171هـ/787م ولما وصلته الأخبار عن عزم الروم الاتجاه إلى مدينة طرسوس اهتم بها وشرع في تحصينها[8]، حيث أرسل إليها جيشاً بقيادة هرثمة بن أعين[1]، وأمره بعد

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان (ص173)، قدامة، الخراج (ص310).

[2] البلاذري، فتوح البلدان (ص227)، قدامة، الخراج (ص320).

[3] الطبري، تاريخ (ج194/8)، ابن خلدون، المقدمة (ج32/1).

[4] البلاذري، فتوح البلدان (ص ص171-174)، الملحم، العلاقات السياسية ( ص9).

[5] أحد قادة بني العباس، والده خازم بعثه أبو العباس السفاح سنة ١٣٤هـ/٧٥١ م إلى بسام بن إبراهيم الذي خالف وخلع الطاعة، فانهزم بسام وأصحابه وقتل أكثرهم، كما هزم الراوندية سنة ١٤١هـ/ ٧٥٨ م. ابن الجوزي، المنتظم (ج324/7)، ابن الأثير، الكامل (ج130/5).

[6] من عمال هارون الرشيد على الجزيرة، قاد عدة حملات ضد الثورات التي اندلعت في عهد الرشيد.(ابن عساكر، تاريخ دمشق 337/22).

[7] خليفة، تاريخ خليفة (ص451).

[8] البلاذري، فتوح البلدان (ص ص173-174).

الانتهاء من غزو الروم أن يهتم بأمر طرسوس، وينقل إليها البنائين المهرة ليبنوا المساكن والحصون فيها، وينقل إليها الناس ليسكنوها، وتمصر كبقية الأمصار الإسلامية الأخرى[2].

وبالفعل فما أن انتهى هرثمة من قتال الروم حتى شرع في تنفيذ ما أمره به الرشيد من تحصين طرسوس، وأوكل مهمة البناء لفرج الخادم التركي[3]؛ لما له من خبرة واستعداد جيد للقيام بمثل هذه الأمور، يدل على ذلك مباشرته للعمل بنفسه، كما وأنه دعا كل من لديه معرفة ببناء المساكن والحصون وتخطيط المدن، وزودهم بما يحتاجونه من أدوات البناء، وجلب إليهم الطين والأحجار القوية لبناء الحصون، كما أغدق الأموال على البنائين، لمضاعفة العمل وإنجازه في وقت مبكر، وأحكم بناءها بعد سنة تقريباً من العمل، وجعل لها خمسة أبواب، وبنى حولها سبعة وثمانين برجاً[4].

وفي سنة180هـ/796م أمر الرشيد ببناء مدينة عين زربة وتحصينها وندب إليها ندبة من أهل خراسان وغيرهم فأقطعهم بها المنازل، وفي سنة 183هـ/799م أمر ببناء الهارونية، فبُنيت وشُحنت أيضاً بالمقاتلة ومن نزح إليها منَ المطوعة ونُسبت إليه، ويُقال أنه بناها في خلافة المهدى ثم أُتم بناءها في خلافته[5].

كما عُمرت في عهده مدينة الحدث على يد محمد بن إبراهيم، حيث دفع عنها الروم وأعاد عمارتها وأسكنها الجند، وكان الشتاء قد هجم عليها وكثرت الأمطار، ولم يكن بناؤها وثيقاً فهدم سور المدينة وشعّثها وأخربها، فنزل بها الروم فتفرق عنها من كان نزل بها من الجند والسكان[6].

---

[1] من القادة الشجعان، ولاه " الرشيد " مصر سنة 178هـ/794م ثم وجهه إلى إفريقية لإخضاع عصاتها، فدخل " القيروان" سنة 179هـ/795م، ثم نقله إلى خراسان سنة 181هـ/797م، ثم ولاه الصائفة سنة 191هـ/807م، انحاز للمأمون في فتنته مع أخيه الأمين، ولما انتظمت الدولة للمأمون نقم عليه أمراً فدعاه إليه وشتمه وضربه وحبسه، وكان الفضل بن سهل (الوزير) يبغضه، فدس إليه من قتله في الحبس سراً. الذهبي، تاريخ الإسلام (212/5)، الزركلي، الأعلام (ج8/79-81).

[2] البلاذري، فتوح البلدان (ص174).

[3] هو أبو سليم فرج الخادم التركي، من أمهر البنائين في ذلك الزمان ، كان من أهم أعماله إعمار مدينة طرسوس، وإنزال الناس بها. الطبري، تاريخ (ج8/٢٣٤)، ابن الأثير، الكامل (ج5/٢٧).

[4] اليعقوبي، تاريخ (ج2/410)، الملحم، العلاقات السياسية (ص9)

[5] البلاذري، فتوح البلدان (ص171).

[6] ياقوت، معجم البلدان (ج2/228).

ثم أنه أعاد تعمير مدينة كفر بيا والتي كانت عمرت في عهده والده المهدي، إلا أنه غير بنائها وحصنها بخندق، وأمر ابنه المأمون ببناء سور لها، ولكنه توفي قبل إتمام بناءه، فأتمه الخليفة المعتصم بعد ذلك[1].

كما أنه أعاد تجديد بناء مرعش وجعلها مدينة، ووسعها بعد أن كانت حصناً، حيث كانت عرضة لتتابع هجمات الروم عليها، فكان تجديد بنائها أوسع وأعظم مما كان عليه من قبل[2].

كما أعاد هارون الرشيد بناء حصن زبطرة وشحنه بالرجال على يد محمد بن ابراهيم، بعد أن كانت الروم قد خرجت إليه وشعثته[3].

كما أقام منطقة جديدة قريبة من أنطاكية أطلق عليها العواصم، لأن المسلمين كانوا يعتصمون بها، فتعصمهم وتمنعهم من العدو البيزنطي إذا انصرفوا من غزوهم وخرجوا من الثغر الشامي، وأسكنها جنداً عرفوا بجند العواصم، واختار الرشيد هذه الجهة دون غيرها؛ لأن الروم اعتادوا مهاجمة المسلمين منها، وكانوا يغيرون عليهم بين فترة وأخرى[4]، مما مكن المسلمين من تسيير جيوشهم صوب الثغور والبلاد الرومية مرتين أو أكثر في السنة من غير تعب أو ملل، وقد ترتب على سياسة الرشيد على الحدود مع الروم أنه صعب على الروم إمكانية اختراق منطقة الثغور؛ لقوة تحصيناتها ومرابطة الجيوش الإسلامية الدائمة فيها[5].

وأما فيما يخص تحصين الثغور البحرية سواء الثغور الشامية أو المصرية، وكدليل على اهتمام الخليفة هارون الرشيد بحمايتها، فإنه أراد أن يوصل ما بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر مما يلي بلاد الفرما[6]، فنصحه وزيره يحيى بن خالد البرمكي بالانصراف عن

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان (ص171)، قدامة، الخراج (ص 308).

[2] ياقوت، معجم البلدان (ج107/5)

[3] البلاذري، فتوح البلدان (ص191).

[4] الطبري، تاريخ (ج234/8)، الملحم، العلاقات السياسية (ص9).

[5] الملحم، العلاقات السياسية (ص10).

[6] وهي أول مدن مصر والتي يتم الدخول لمصر منها للقادم من الشرق، وبها أخلاط من الناس وبينها وبين البحر الأحمر ثلاثة أميال، ومن الفرما يختلف الطريق الى الفسطاط قصبة مصر فطريق للشتاء وطريق للصيف. اليعقوبي، البلدان (ص175)، ابن خرداذبة، المسالك (ص220).

تنفيذ ذلك، وأعرب له عن خوفه من دخول مراكب الروم في البحر الأحمر وتهديد الحجاز، فعدل الرشيد عن المضي في تنفيذ هذه الفكرة[1].

ولما تولى الخليفة العباسي الأمين[2] وفي سنة 194هـ/810م بنى أَبُو سليم فرج الخادم مدينة أذنة فأحكم بناءها وحصنها وندب إليها رجالاً من أهل خراسان وغيرهم على زيادة في العطاء وذلك بأمر محمد بن الرشيد، كما أنه أعاد بناء قصر سيحان القريب من ثغر الحدث[3].

وفي عهد الخليفة العباسي المأمون[4] عُمرت مدينة طوانة الواقعة في منطقة الثغور على مقربة من ثغر المصيصة، حيث أرسل ابنه العباس لبنائها وأرسل إليه عمالاً للبناء وبدأوا في بنائها ميلاً بعد ميل، وجعل سورها على ثلاثة فراسخ، وجعل لها أربعة أبواب، وجعل على كل باب حصن، وبعث في البلدان طالباً أهل كل بلد أن يوجهوا جماعة منهم إلى طوانة ليرابطوا فيها، وأجرى لكل فارس منهم مائة درهم، ولكل راجل أربعين درهماً، إلا أن بنائها لم يكتمل بسبب موت المأمون[5].

وفي خلافته ولما هاجم الروم حصن زبطرة وشعثوه وأغاروا على أملاك أهله، ونهبوا ما لهم من مواشي، أمر المأمون برمه وتحصينه، ولما قدم وفد إمبراطور الروم في سنة210هـ/825م

---

(1) السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص 226).

(2) هو محمد الأمين بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن المنصور، أبو عبد الله، ويقال: أبو موسى، الهاشمي العباسي، وأمه أم جعفر زبيدة بنت جعفر، ولد بالرصافة سنة 170هـ، وأتته الخلافة ببغداد سنة 193هـ/809م، وقتل سنة 198هـ/813م إثر الفتنة التي حدثت بينه وبين أخيه المأمون، وكانت ولايته أربع سنين وسبعة أشهر، وكان طويلاً سميناً، أبيض، أقنى الأنف، صغير العينين، بعيداً ما بين المنكبين، وقد رماه بعضهم بكثرة اللعب والشرب وقلة الصلاة. ابن كثير، البداية (ج10/101).

(3) البلاذري، فتوح البلدان (ص168).

(4) أبو العباس، عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور العباسي (المأمون)، ولد سنة 170هـ/786م واسم أمه مراجل، أتته الخلافة بعد وفاة أبيه وهو بمرو سائرا لغزو ما وراء النهر، فبايع من قبله لأخيه الأمين، ثم جرت بينهما أمور وخطوب وبلاء وحروب، إلى أن قتل الأمين، وبايع الناس المأمون في أول سنة 198هـ/813م، وكان كثير الغزو، كان أماراً بالعدل، يعد من كبار العلماء وقرأ العلم والأدب والأخبار والعقليات وعلوم الأوائل، وأمر بتعريب كتبهم، وكان عالماً فصيحاً مفوهاً، مات سنة 218هـ/833م وله ثمان وأربعون سنة، ودفنه ابنه العباس بطرسوس. الذهبي، سير أعلام (ج8/ص ص375-376).

(5) ياقوت، معجم البلدان(ج4/46)، ابن الأثير، الكامل (ج6/6).

يسأل الصلح لم يجبه إليه المأمون، وكتب إلى عمال الثغور فساحوا في بلاد الروم، فأكثروا فيها القتل ودوخوها وظفروا ظفراً حسناً[1].

وفي عهد الخليفة العباسي المعتصم[2] وبعد أن أغار الروم على حصن زبطرة، وقتلوا من كان به وأخربوه، أمر ببناء الحصن مرة أخرى وحصنه وبنى مكانه وبالقرب منه عدة حصون لتقوم بحمايته، منها الحصن المعروف بطبارجى، والحصن المعروف بالحسينيّة، والحصن المعروف ببنى المومن، والحصن المعروف بابن رحوان[3]، وبذلك أصبحت زبطرة من المناعة أن حاول الروم الدخول إليها بعد ذلك فلم يقدروا عليها[4].

كما أنه أتم بناء السور المحيط بمدينة كفر بيا المجاورة للمصيصة، والذي كان قد بدأ بناءه المأمون في عهد والده الرشيد إلا أن المأمون لم يتمه في حينه[5]، وكذلك قام بتحصين ثغر قليقلة بعد أن دك الروم سوره بالمنجنيق وأنفق عليه خمسمائة ألف درهم[6]، بالإضافة إلى إنشاء عدة قواعد عسكرية لتجميع الجند ومسالح ومراصد وتحصينات متعددة في مناطق الثغور والطرق المؤدية إليها لحمايتها.

ولم يغفل المعتصم عن التهديدات البيزنطية التي كانت تأتي من جهة البحر، فأمر ببناء حصن بمنطقة الميناء المسماة سلوقية بعد إلحاح البيزنطيين في الهجمات على أنطاكية ما بين عامي 213-226هـ/828-841م، حيث دمروا المدينة ونهبوا التجار في الميناء وأسروا الناس، كما أمر إثر عودته من فتح عمورية سنة 223هـ/838م ببناء السفن في الشام، وقد كانت مراكز

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان (ص192)، الحميري، الروض المعطار (ص285).

[2] أبو إسحاق محمد المعتصم بالله 218- 227هـ/833 -841 م هو أبو إسحاق، محمد المعتصم بن هارون بن المهدي بن المنصور، يقال له: المثمن لأنه: ثامن ولد العباس، وكان مولده يوم الاثنين لعشر خلون من شعبان سنة ثمانين ومائة، ولي الخلافة في رجب سنة ثمان عشرة ومائتين، وأنه توفي وله من العمر ثمانية وأربعون سنة، وكانت وفاته بسر من رأى في ربيع الأول من سنة 227هـ، خلَّف ثمانية بنين وثماني بنات، ولما ولي الخلافة كان شهماً وله همة عالية في الحرب، ومهابة عظيمة في القلوب، وإنما كانت نهمته في الإنفاق في الحرب لا في البناء ولا في غيره، وكان أبيض أصهب اللحية طويلاً مربوعاً مشرب اللون، أمه أم ولد اسمها: ماردة. ابن كثير، البداية (ج283/14).

[3] ابن خرداذبة، المسالك (ص253).

[4] ابن العديم، بغية الطلب (ج248/1).

[5] البلاذري، فتوح البلدان (ص171)، قدامة، الخراج (ص308).

[6] البلاذري، فتوح البلدان (ص236)، ياقوت، معجم البلدان (ج299/4).

بناء السفن موزعة على دمياط وصور وطرطوس، وذلك لاقتناعه بضرورة وجود قوة بحرية تحمي الشواطئ الشامية والمصرية من هجمات البيزنطيين[1]، فقد اهتم بتطوير صناعة السفن بطرطوس، حيث بلغ عددها في ذلك الميناء في حدود ثلاثمائة مركب سنة 227هـ/841م[2].

ولما تولى الخليفة العباسي الواثق[3] لم يغفل هو الآخر تحصين الثغور وبناءها، حيث تم في عهده بناء حصن الإسكندرونة على يد أحمد بن أبي داوود الإيادي وقد يكون جدد بناءه[4].

مما سبق نجد أن جُل الاهتمام انصب على تحصين الثغور البرية، أما بخصوص الثغور البحرية فلم تكن جهود العباسيين كبيرة في بناء الثغور البحرية الواقعة على سواحل البحر المتوسط، ولم يتجاوز نشاطهم في هذا الميدان تحصين عدد من المراكز الثغرية، رغم طول تلك السواحل و كثرة البلدان المطلة عليها، ولعل ذلك يعزى إلى أن التهديد البيزنطي البحري للبلاد الإسلامية في تلك العهود لم يكن يماثل في شدته وخطورته تهديدهم للمناطق البرية[5]، هذا فضلاً عن أن الحملات العسكرية الإسلامية الموجهة صوب الأراضي البيزنطية والتي تعرف باسم "الصوائف والشواتي " كانت توجه عبر المناطق البرية غالباً، الأمر الذي قاد إلى اهتمام العباسيين بعمران الثغور البرية المتناثرة أكبر من اهتمامهم بالثغور البحرية.

---

[1] مصطفي، دولة بني العباس (ج545/2).

[2] عبيد، واقع البحرية (ص10).

[3] أبو جعفر هارون الواثق 227–232هـ /841 –846 م هو هارون الواثق بالله بن محمد المعتصم بالله بن هارون الرشيد، أمه أم ولد رومية اسمها قراطيس، ولد الواثق بالله في بغداد10 من شعبان سنة (200هـ) وولى الخلافة بعد وفاة أبيه وبعهد منه سنة 227هـ ، كان الواثق أبيض وتعلوه صفرة حسن اللحية في عينيه نكتة، وافر الأدب مليح الشعر وكانوا يسمونه المأمون الصغير لأدبه وفضله، وكان من أهل الحديث قائماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان شاعراً ، وكان أعلم الخلفاء بالغناء، ولي الخلافة بعد وفاة أبيه المعتصم سنة 227 هـ، وكانت وفاته في سامراء بالحمى سنة 232هـ/ 847م. ابن كثير، البداية والنهاية (ج326/10).

[4] اليعقوبي، البلدان (ص363).

[5] عبيد، واقع البحرية العباسية (ص ص 4–5).

## المبحث الثالث: شحن الثغور بالرجال

لم يكتف العباسيون الأوائل ببناء الثغور وتحصينها فقط، بل إنهم عملوا على إمدادها بالرجال، فقد اهتموا بجنود تلك الثغور حيث اعتبروهم في حالة حرب وحالة استنفار دائم، فعمدوا إلى زيادة معدلات رواتبهم عن أقرانهم من الجند في المناطق الأخرى، نظراً لبعدهم عن ديارهم، وتعرضهم لرد غارات الأعداء بين الفينة والأخرى، ولقيامهم بالحملات الحربية التي كانت تنظم صيفاً وشتاءً، لهذا جعلوا مرتبات المرابطين في تلك الثغور ضعف مرتبات الجيش أو تزيد[1].

وقد كانت رواتب الجند في الغالب تدفع لهم على شكل أعطيات، يُضاف إلى ذلك منح الجند المرابطين لإقطاعات في المناطق المحيطة بالثغر لزراعتها والاستفادة منها زيادة على عطائهم الرسمي، فقد قُسمت الأراضي الزراعية القريبة من الثغور إلى إقطاعات صغيرة لتوزيعها على الجند المرابطين[2]، وقد كنت تلك الإقطاعات من الأرض تصبح ملكية خاصة لهم يُدفع عليها العشر، وفي الغالب تكون صغيرة المساحة بحيث تكفي لبناء مسكن وكمورد للرزق[3].

يضاف إلى ذلك تمتع جند الثغور بمميزات أخرى مثل الإسكان والإطعام والملابس، فقد كانت الدولة تتولى الإنفاق على مرافق مناطق الثغور، كالأمن والطرق والمزارع والمؤونة إلى جانب متطلبات الجند من أمور أخرى[4]، هذا بخلاف الأموال الكثيرة التي ترد الثغور من بيت المال على أشكال متعددة حيث كانت "ترد عليها الجرايات والصلات وتدرّ عليهم الأنزال والحملان العظيمة الجسيمة، إلى ما كان السلاطين يتكلّفونه وأرباب النعم يعانونه وينفذونه متطوّعين ويتحاضّون عليه متبرّعين"[5].

ومما لا شك فيه أن نفقات الثغور كانت تمثل عبئاً ثقيلاً على كاهل بيت المال المركزي في العاصمة، إذ أن دخلها القليل لا يمكن أن يقارن بمقادير الأنفاق الطائلة التي كانت تُصرف عليها، ذلك أنها كانت مهيأة على الدوام لمواجهة العدوان وصده عن أراضي الدولة الإسلامية،

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان (ص166)، عون، الفن الحربي (ص293)، الزهراني، النفقات وإدارتها (ص280).

(2) البلاذري، فتوح البلدان (ص187).

(3) المصدر السابق، ص 185، البدرشيني، الأوضاع (ص93).

(4) الزهراني، النفقات وإدارتها (ص280).

(5) ابن حوقل، صورة الأرض (ج184/1).

إضافة إلى النفقات على الحاميات العسكرية المتمركزة في تلك الثغور، وما يُصرف على بناء الحصون وشحنها بالجند وتزويدهم بالسلاح والمؤن الكافية، وإرسال حملات الاستطلاع والجواسيس وعابري الأنهار، والتي تأتي ضمن حملات الصوائف والشواتي التي كانت تُرسل بصورة دورية[1].

وكان مما يزيد من الجهود والنفقات التي يتحملها بيت المال الإصلاحات والترميمات التي تسببها قسوة الظروف الطبيعية، من ثلوج الشتاء وسيوله الجبلية وأمطاره الكاسحة، بالإضافة إلى الزلازل التي كانت تضرب مناطق الثغور من آن لآخر[2].

وفي العصر العباسي الأول بدأ الاهتمام مبكراً في شحن الثغور بالرجال والمقاتلة، وخير دليل على ذلك أنه لما استخلف الخليفة العباسي الأول أَبُو العَبَّاس السفاح[3] فرض بالمصيصة لأربعمائة رجل زيادة في شحنتها وأقطعهم الأراضي[4].

ولما تولى المنصور الخلافة استعمل وسائل إغراء كثيرة لحث الجند والناس على العمل في الثغور واستيطانها، منها: زيادة العطاء لكل مقاتل عشرة دنانير إضافية، وتخصيص معونة قدرها مائة دينار لكل واحدا منهم، وبناء بيوت خاصة لإقامتهم مع عوائلهم في تلك الثغور[5].

ثُمَّ قام بنقل أهل الخصوص وهم فرس وصقالبة وأنباط نصارى إلى ثغر المصيصة، وكان مروان بن محمد أسكنهم إياها، وأعطاهم خططاً في المدينة عوضاً عن منازلهم على ذرعها،

---

(1) الزهراني، النفقات وإدارتها (ص284).

(2) مصطفى، دولة بني العباس (ج328/2).

(3) أبو العباس عبد الله السفاح 132هـ ـ 136 هـ / 749 –754 م يقال له: المرتضى، والقاسم – ابن محمد بن الإمام بن علي السجاد بن عبد الله الحبر بن العباس بن عبد المطلب، القرشي الهاشمي، وأمه: ريطة بنت عبيد الله الحارثي، ولد بالحميمة من أرض الشراة من البلقاء بالشام، ونشأ بها حتى أخذ مروان أخاه إبراهيم الإمام فانتقلوا إلى الكوفة، بويع بالخلافة بعد مقتل أخيه في حياة مروان سنة 132هـ، وتوفي بالجدري بالأنبار سنة 136هـ، عن عمر يناهز إحدى وثلاثين عاما تقريباً، وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر، وكان أبيض جميلا طويلا، أقنى الأنف، جعد الشعر، حسن اللحية. الذهبي، سير(ج/6)78، ابن كثير، البداية (ج63/10).

(4) البلاذري، فتوح البلدان (ص166).

(5) البلاذري، فتوح البلدان (ص166)، المصري، طرسوس (ص109).

ونقض منازلهم وأعانهم على البناء وأقطع الفرض قطائع ومساكن[1]، كما قام بشحنها بأربعمائة جندي آخر فوق الذين كان أرسلهم سابقه أبي العباس، ثم أتبعهم بألفي مقاتل آخرين[2].

وفي سنة 140هـ/758م طلب الخليفة المنصور من والي الجزيرة عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام التوجه إلى ملطية بعد أن أغار عليها الروم، فتقدم الوالي وصحب معه الحسن بن قحطبة في جنود كثر من أهل خراسان، فقطع البعوث على أهل الشام والجزيرة، وفتقدم ومعه سبعون ألفاً، فعسكر على ملطية، وقد جمع أهل الصناعات من كل بلد، فأخذ في بنائها، وكان الحسن يحمل الحجر حتى يناوله البناء، وجعل يغدي الناس ويعشيهم من ماله مبرزاً مطابخه[3].

وكان للحسن في ذلك أثر جميل فيها، حيث بنى مسجدها وبنى للجند الساكنين بها لكل عرافة[4] بيتين سفليين وغرفتين فوقهما وإصطبلاً، وبنى مسلحة على ثلاثين ميلاً منها، ومسلحة على نهر يدعى ثاقب يدفع في الفرات، وأمر المنصور بأن يرتب فيها أربعة آلاف مقاتل من أهل الجزيرة، وزاد في أعطياتهم عشرة دنانير لكل رجل ومعونة مائة دينار [5].

وفي سنة 141-142هـ/759-760م قام المنصور بتوطين قوة عسكرية جلها من الخراسانيين ومعهم أعداداً من جند الشام بثغر أذنة لتعزيزه وإعماره[6]، وكذلك فعل بمرعش حيث أتم بناء المدينة في عهده، وأمر بتزويدها بحامية عسكرية، وحرص أن يكون جنود تلك الحامية من خراسان لأنها من ثغورهم، وذلك ضمن سياسته بشأن تنظيم وتحصين مناطق الثغور [7].

واهتم الخليفة المنصور أيضاً بالثغور البحرية فبعد أن مصرها وحصنها، أمر بتخصيص أعطيات سنوية لأهل الساحل حتى يَقْووا على المرابطة وحراسة الأبراج والحصون الساحلية [8].

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان (ص166).

[2] المصدر السابق، ص 168

[3] البلاذري، فتوح البلدان (ص187)، الحميري، الروض المعطار (ص545).

[4] العرافة: تعني مجموعة عسكرية قوامها من عشرة نفر إلى خمسة عشر رجلاً. الحميري، الروض (ص545).

[5] البلاذري، فتوح البلدان (ص187)، الحميري، الروض المعطار (ص545).

[6] البلاذري، فتوح البلدان (ص168).

[7] المصدر السابق، ص ص191-192.

[8] المصدر نفسه، ص 167.

ومن شدة اهتمام المنصور بالثغور وادراكاً لأهمية الجهاد فيها، لم ينس وهو على فراش الموت أن يوصي ابنه المهدي بأن يشحن الثغور بالرجال والاهتمام بها، وأن يقوم بضبط أطراف الدولة، قائلاً[1]: "وليكن أهم أمورك إليك أن تحفظ أطرافك، وتسدّ ثغورك، وارغب إلى اللّه في الجهاد، والمحاماة عن دينك، وإهلاك عدوك، بما يفتح اللّه على المسلمين، ويمكّن لهم في الدين، وابذل في ذلك مهجتك، ونجدتك ومالك، وتفقّد جيوشك ليلك، ونهارك، واعرف مراكز خيلك، ومواطن رحلك، وباللّه فليكن عصمتك، وحولك، وقوتك".

وفي عهد المهدي استمر الاهتمام بشأن شحن الثغور بالرجال، ففي سنة 165هـ/782م وبعد توسعات ابنه هارون في بلاد الروم وبعد أن قام برم المصيصة ومسجدها زاد في شحنتها من الرجال وقوى أهلها[2]، كما وفرض بها لألفي رجل ولم يقطعهم بها، لأنها كانت قد شحنت من الجند والمطوعة، ولم تزل الطوالع[3] تأتيها من أنطاكية في كل عام، حتى وليها سالم البرلسي وفرض موضعه لخمسمائة مقاتل على خاصة عشرة دنانير، فكثر من بها وعظمت قوتهم[4].

وفي أواخر عهده وبعد أن تم استكمال بناء مدينة الحدث على يد علي بن سليمان بن علي أسكن فيها أربعة آلاف رجل، ثم نقل إليها ألفي رجل آخرين من عدد من البلدان المجاورة لها[5].

ولما تولي موسى الهادي الخلافة بعد وفاة والده المهدي سنة 169هـ/785م، قام بعزل عليّ بن سليمان عن إقليم الجزيرة وقنسرين، وولى عليهما محمد بن إبراهيم بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس، وقد كان علي بن سليمان فرغ من بناء مدينة الحدث وفرض محمد لها فرضاً من أهل الشام والجزيرة وخراسان في أربعين ديناراً من العطاء، وأقطعهم المساكن وأعطى كل امرئ فيها ثلاثمائة درهم[6].

---

[1] الطبري، تاريخ (ج103/8).

[2] البلاذري، فتوح البلدان (ص168).

[3] مجموعات من الجند كانت ترسل كل عام على شكل شواتي وتمكث مدة ثم تنصرف، وكان يقدر عددها ما بين 1500 إلى 2000رجل. البلاذري، فتوح البلدان (ص165).

[4] البلاذري، فتوح البلدان (ص166)

[5] المصدر السابق، ص 194، قدامة، الخراج (ص320).

[6] البلاذري، فتوح البلدان (ص190)، ياقوت، معجم البلدان (ج228/2)

وعندما تولى الرشيد وإلى جانب قيامه بسلسلة من التحصينات على الثغور والتي استمرت حتى سنة 187هـ/800م، قام بإمداد تلك الثغور بالأموال والجند وضروريات الدفاع عنها، حيث قام بتزويد كل ثغر أو حصن هام بحامية دائمة خاصة به، وقد تحولت الثغور بفضل الحملات المتلاحقة في عهده إلى مناطق عامرة بالسكان، وأصبحت سداً منيعاً أمام هجمات البيزنطيين[1].

ففي سنة 171هـ/787م قام الرشيد بالطلب من قائده هرثمة بن أعين بتعمير طرسوس وشحنها بالمقاتلة، فقام هرثمة بتكليف سليم الخادم بذلك حيث اتجه الخادم إلى بغداد، ونقل المجموعة الأولى من السكان إلى طرسوس، وعددهم ثلاثة آلاف رجل من أهل خراسان ممن دخلوا بغداد بعد حركة الفتح الإسلامي وأقاموا فيها، والمجموعة الثانية من ألفي رجل ألف من المصيصة وألف من أنطاكية، وطلب من الجميع أن يعسكروا في قرية المدائن غربي نهر دجلة[2]، ريثما يستكمل بناء مساكن طرسوس وحصونها ومساجدها، وحين انتهى البناء فيها سنة 171هـ/788 م نقل إليها الجميع ومصرها، وأقطع أهل طرسوس الخطط[3]، وزاد كل رجل عشرة دنانير في أصل عطاءه[4].

وفي سنة 180هـ/796م وبعد أن أمر الرشيد ببناء مدينة عين زربة وتحصينها، ندب إليها ندبة من أهل خراسان وغيرهم فأقطعهم بها المنازل، وفي سنة 183هـ/799م وبعد أن أمر ببناء الهارونية شحنها أيضاً بالمقاتلة ومن نزح إليها من المطوعة[5]، وكذلك شحن الرشيد مدينة الحدث بالجند وأسكنها الناس بعد أن أعاد عمارتها على يد محمد بن إبراهيم[6].

كما وجه أفواجاً من الجند للكنيسة السوداء ليرابطوا فيها وزاد في عطائهم، حيث كان قد أمر بعمارتها وإعادتها إلى ما كانت عليه قبل أيام الروم[7]، وقام عامل الرشيد المقيم بدابق حينذاك

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان (ص193)، ابن خرداذبه، المسالك (ص110)، البدرشيني، الأوضاع (ص52).

[2] ياقوت، معجم البلدان (75/1)، ابن الأثير، الكامل (275/5)، ابن الوردي، تاريخ (194/1).

[3] جمع خطة، وهي الأرض تنزل من غير أن ينزلها نازل قبل ذلك، وخطها لنفسه أن يعّلم عليها علامة بالخط ؛ ليعلم أنه قد اختارها ليبنيها داراً. ابن منظور، لسان العرب (ج288/7).

[4] البلاذري، فتوح البلدان (ص١٧٤).

[5] المصدر السابق، ص171.

[6] ياقوت، معجم البلدان (ج228/2).

[7] البلاذري، فتوح البلدان (ص١71).، قدامة، الخراج (ص311).

القاسم بن الرشيد بتوجيه رجال إلى تلك المدينة لترميمها وتحصينها وزيادة الجند فيها مرة أخرى، بعد أن أغار عليها الروم وأسروا عدداً من أهلها، فهب لنصرتها أهل المصيصة وطاردوا الروم وتمكنوا من إلحاق الهزيمة بهم واستنقذوا من كان بأيديهم من أسرى المسلمين[1]، كما أسكن الرشيد بثغر ملطية أربعة آلاف مقاتل من أهل الجزيرة، وأقطع الجند المزارع وزاد في عطاء كل واحد منهم عشرة دنانير[2].

وفي عهد الخليفة الأمين وتحديداً سنة 194هـ/810م وبعد أن بنى أَبُو سليم فرج الخادم أذنة ندب إليها رجالاً من أهل خراسان وغيرهم على زيادة في العطاء[3].

وفي عهد المأمون وبعد أن تم إعمار الطوانة الواقعة في منطقة الثغور، بعث في البلدان طالباً أهل كل بلد أن يوجهوا جماعة منهم إليها ليرابطوا فيها، وأجرى لكل فارس منهم مائة درهم ، ولكل راجل أربعين درهماً ليشجعهم على المرابطة فيها[4].

ولم يقف الأمر بخلفاء ذلك العصر على إرسال الرجال إلى تلك الثغور بل إنهم كانوا لا يولونها إلا لشجعان القواد والمقربين منهم والراغبين أيضاً منهم في الجهاد[5]، كما فعل المنصور المهدي والرشيد والمأمون، فعلى سبيل المثال قام المأمون بتولية كبار القادة أمثال طاهر بن الحسين سنة 198هـ/813م[6]، ثم ولى المعتصم على بلاد الشام 211هـ/826م، كما أعطى ابنه العباس 213هـ/828م ولاية الجزيرة والثغور والعواصم[7]، وكما قام بعزل ثابت بن نصر الخزاعي عن إقليم الثغور لأنه خشي معصيته، وعين بدلاً منه نصر بن حمزة بن مالك الخزاعي[8]، ليضمن بقاء طاعة والي تلك الديار لأهميتها.

وبهذا يظهر اهتمام الخلفاء العباسيين الأوائل بشحن الثغور بالرجال وإسكانها بالجند والمتطوعة ومنحوهم الاقطاعات ليضمنوا بقاء تلك الثغور عامرة ومأهولة لقطع الطريق على أي محاولة من قبل الروم لمهاجمتها والسيطرة عليها.

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان (ص175)، ابن العديم، بغية الطلب (ج174/1).

[2] البلاذري، فتوح البلدان (ص187).

[3] المصدر السابق، ص 168.

[4] ابن الأثير، الكامل (ج6/6)، ياقوت، معجم البلدان (ج46/4).

[5] ياقوت، معجم البلدان (ج80/2).

[6] الطبري، تاريخ الرسل (ج374/8).

[7] المصدر السابق (ج620/8).

[8] اليعقوبي، تاريخ (ج319/2).

**المبحث الرابع: قيادة الحملات العسكرية**

لم يكتف خلفاء بني العباس ببناء الحصون وترميمها وشحنها بالرجال والعتاد، بل إنهم عملوا أيضاً على صد أي هجوم عليها والرد بالمثل على أية محاولة اعتداء كان يقوم بها الروم، وقد تنوعت عمليات الرد، ولعل أبرزها هي قيادة الحملات الحربية الضخمة، والزحف إلى بلاد الروم والعمل على تلقين الروم دروساً قاسية، حيث انتهت أغلب تلك الحملات بعمليات صلح كانت للمسلمين فيها اليد العليا.

وقد كان أول الخلفاء العباسيين الذين قادوا الحملات العسكرية إلى بلاد الروم هو الخليفة العباسي المهدي، حيث أنه بمجرد أن استخلف أوجد تقليداً جديداً، حيث بدأ في قيادة الحملات بنفسه والبقاء على مقربة من الحدود، وجعل من الغزو السنوي عملية جهادية تقليدية تأكيداً على الصبغة الدينية للخلافة العباسية، وكان هو أول من أنفذ موالي الخلفاء على قيادة الجيوش ضد أراضي البيزنطيين مثل حسن الوصيف وصغير الحاجب، ووزيريه الربيع بن يونس ويحيى بن برمك[1].

ففي سنة 163هـ/779م قرر غزو بلاد الروم بنفسه، ففرض البعوث على جميع أقاليم الدولة ثم خرج وعسكر في البردان، وأخذ في تجهيز الجيش الذي هيأه لملاقاة الروم مدة شهرين وأنفق عليه نفقات كبيرة، ولما انطلق اصطحب معه ابنه هارون الرشيد، فتحرك المهدي من بغداد بعد أن أوكل عليها ابنه موسى الهادي، وبعد أن وصل الجيش إلى حلب استقر المهدي بها وقد اتخذها المهدي فيما بعد قاعدة لأعماله الحربية، ونظراً لانشغاله بإدارة الدولة العباسية سلم قيادة الجيش لابنه هارون الرشيد، الذي واصل مسيره صوب البلاد الرومية مخترقاً آسيا الصغرى حتى وصل إلى صمالو[2] من مدن الثغر الشامي وحاصرها حتى دخلها ثم عاد بعد ذلك بقواته[3].

---

[1] اليعقوبي، تاريخ (ج4/ 548)، مصطفى، دولة بني العباس (ج2/ص ص301-302).

[2] مدينة في الثغر الشامي قرب المصيصة وطرسوس، عندما وصلها الرشيد سألوا الأمان لعشرة أبيات فيهم القومس وأن لا يفرق بينهم، فأجابهم إلى ذلك، فأنزلوا ببغداد على باب الشمّاسية فسمّوا موضعهم سمالو، غيّروا الصاد بالسين، وبنوا هناك ديرا، وهو دير مشيد البناء كثير الرهبان وبين يديه أجمة قصب يرمي فيها الطير. ياقوت، معجم البلدان (ج516/2)، ابن عبد الحق، مراصد الاطلاع (ج851/2).

[3] الطبري، تاريخ (ج148/8)، ابن الأثير، الكامل (ج232/5).

ولما تولى الخليفة هارون الرشيد وبعد أن أكمل تحصينات الثغور وأنشأ فكرة العواصم، وضم طرسوس إلى حوزة المسلمين، ودفع بالجيش الإسلامي للمرابطة فيها، حاول مجادلة البيزنطيين بالتي هي أحسن، فأرسل إليهم شارحاً حقائق الإسلام، مؤكداً على ضرورة سيادة السلم بينهما، ولم يتعاط البيزنطيون مع تلك الدعوات، مما دفع به إلى مضاعفة جهده في تسيير الحملات إلى بلاد الروم، ليس رغبة في طردهم عن مراكزهم والدخول إلى بلادهم، بل لتثبيت العواصم والثغور التي تنتشر على حدود الدولتين، ولإشعار البيزنطيين بقوة المسلمين، لتبقى مهابة المسلمين في قلوبهم فلا يفكروا في مهاجمتهم تحت أية ظرف من الظروف، فبذلك يأمن المسلمون جانبهم في حالة انشغالهم بتسكين الفتن والثورات التي تطلّ عليهم من حين لآخر[1].

وفي سنة 180هـ/796م قاد الرشيد الصائفة بنفسه، بعد أن نقض الروم عهدهم وشاركه فيها معاوية بن زفر بن عاصم[2]، وأقام الجيش في الرقة شهراً يعد نفسه للغزو، ثم جخل إلى وسط أرض الروم، وأسر وغنم ثم عاد مرة أخرى إلى الرّقة[3]، وأقام بها بقية عامه ذلك[4] .

وفي سنة181هـ/797 م قاد الرشيد الصائفة، وشاركه فيها عبد الملك ابن صالح، ودخل أرض الروم، واجتاز منطقة الثغور وتوغل في آسيا الصغرى وفتح الله عليهم حصن الصفصاف إلى الشمال من قليقية، وهي من كور المصيصة وهدمه وسوى به الأرض وحرم الروم منه[5].

وفي أول رمضان سنة 187هـ/802م، قرر الرشيد قيادة حملة عسكرية ضخمه بنفسه لغزو بلاد الروم، وذلك بعد تصاعد الخلافات بينه وبين الإمبراطور البيزنطي نقفور[6]، وتبادل رسائل

---

[1] الملحم، العلاقات السياسية (ص5).

[2] الطبري، تاريخ (ج266/8)، ابن الجوزي، المنتظم (ج48/9).

[3] مدينة مشهورة على جانب الفرات الشرقي، بينها وبين حرّان ثلاثة أيّام، معدودة في بلاد الجزيرة، ويقال لها الرقة البيضاء، فتحت سنة 17هجرية وفتحها صلحاً، وكان الرشيد يقيم بها كثيراً. ياقوت، معجم (ج59/3).

[4] الدنيوري، الأخبار الطوال (ص390).

[5] الطبري، تاريخ الأمم (ج268/8)، ابن الجوزي، المنتظم (ج57/9).

[6] أبرز الأباطرة الروم، ينتمي إلى أصل عربي، وُلد في بسيديا بآسيا الصغرى، وشغل وظيفة وزير الخزانة لدى الامبراطورة إيريني، واشتهر بالتعمق في العلوم الدينية والدنيوية، محطماً للتماثيل، رافضاً بشدة إعادة عبادتها، ولم يشجع عُبادها ومؤيديها، تولى العرش بعد الامبراطورة ايريني سنة 181هـ/797م، وامتنع عن دفع الجزية للمسلمين أيام الخليفة الرشيد، فسير إليه جيشاً قوياً استولى على هرقلة وطوانة، وقتل نقفور في لقاءه مع البلغار سنة 196هـ/811م. العريني، الدولة البيزنطية (ص136)، جوزيف، تاريخ الدولة (ص235).

التهديد بينهما، حيث أرسل الإمبراطور للرشيد كتاباً هذا نصه:" من نقفور ملك الروم إلى هارون ملك العرب؛ أما بعد؛ فإن الملكة التي كانت قبلي. . حملت إليك من أموالها ما كنت حقيقاً بحمل أمثالها إليها، لكن ذاك ضعف النساء وحمقهن؛ فإذا قرأت كتابي فأردد ما حصل قبلك من أموالها، وافتد نفسك بما يقع به المصادرة لك وإلا فالسيف بيننا وبينك"[1].

فجاء رد الخليفة هارون الرشيد عليه شديداً حيث كتب إليه:" بسم الله الرحمن الرحيم، من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلب الروم، قد قرأت كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما تراه دون أن تسمعه... والسلام"[2].

فسار الرشيد على رأس حملة من مائة وعشرين ألف لتأديب نقفور، واتجه إلى هرقلة[3]، وحين بلغ نقفور خبر تقدم هارون، أمر قادته بسرعة اقتلاع الأشجار وإلقاءها أمام طريق هارون وإشعال النيران فيها؛ ليمنعه من الوصول إلى هرقلة، لكن هارون وصل النار ولبس ثياب النفاطين فخاضها ثم تبعه الناس، حتى وصل هرقلة وحاصرها عدة أيام حتى فتحها عنوة، وغنم أموالاً كثيرة، وأسر عدداً من أهلها وفيهم ابنة ملكها ومكث فيها شهراً، ولم يجد نقفور بُداً من مصالحة الرشيد على جزية – تسعين ألف دينار– كل سنة؛ ليبعد المسلمين عن بلاده [4].

و في ربيع الثاني سنة 188هـ/803م وبعد أن قفل الرشيد عائداً وما أن وصل الرقة وخيم بها، جاءه خبر نقض الإمبراطور الروماني نقفور للصلح، فعاود هارون الرشيد الكرة للمرة الثانية على رأس حملة من ثمانين ألفاً؛ لتأديب نقفور بعدما نقض العهد سريعاً، وكان البرد قارساً وعانى المسلمون في تلك الحملة معاناة شديدة[5]، واتجه صوب هرقلة، ولما وصلها حاصرها ورماها بالنفط والنار حتى سّلم أهلها[6].

---

[1] الطبري، تاريخ (ج308/8)، ابن الجوزي، المنتظم (ج138/9)، ابن الأثير، الكامل(ج333/5).

[2] الطبري، تاريخ (ج308/8)، السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص٢13).

[3] مدينة ببلاد الروم، سميت بهرقلة بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح، وهي أراكلية الحديثة لأنها تمثل مركزاً استراتيجياً باعتبار أنها مدخل أرض الروم بعد الثغور الشامية ، ونهاية حدود الدولة الإسلامية من أرض الشام. ياقوت، معجم البلدان(ج398/5)، ابن عبدالحق، مراصد (ج3/١٤٥٦)، الملحم، العلاقات( ص ص21– 22).

[4] الطبري، تاريخ (ج308/8)، مسكويه، تجارب الأمم (ج557/3)، ابن الوردي، تاريخ (ج199/1).

[5] الطبري، تاريخ (ج309/8) ،ابن الأثير، الكامل (ج370/5).

[6] الطبري، تاريخ (ج310/8)، ياقوت، معجم البلدان (ج398/5).

وفي بداية شعبان سنة 190هـ/805 م سار الرشيد مرة أخرى صوب بلاد الروم و معه مائة وخمسة وثلاثين ألف مقاتل فيهم من المرتزقة، بخلاف الأتباع و المطوعة و من لا ديوان لهم[1]، وذلك للرد على نقفور الذي كان قد قطع على نفسه عهداً متأثراً بضغوطات من الروم سنة 189هـ/804م، برد اعتبار الروم في أقرب وقت ممكن؛ كسباً لرضاهم ورفعاً لمكانته فيهم، فامتنع عن دفع الجزية للرشيد، وتقدم في20 رجب سنة 190هـ/805م بقوة من الروم ناحية المدن التي تحمي الجزيرة الفراتية، وأغار على عين زربة وعلى الكنيسة السوداء، وقاتل المسلمين المرابطين فيها وأسر عدداً منهم، إلا أنه لم يتمكن من المحافظة على هذا النصر، واستطاع أهل المصيصة أن يلحقوا بالروم أثناء عودتهم إلى بلادهم ويستنقذوا ما في أيديهم من الأسرى المسلمين[2]، ولما وصل الرشيد أطراف بلاد الروم قام بتوزيع قواده في ربوعها[3]، فأرسل داود بن عيسى بن موسى في سبعين ألفاً إلى أرض الروم، ففتح بلاداً كثيرة وهدم بعض الحصون والقلاع وغنم وعاد مع المسلمين، وأرسل شرحبيل بن معن بن زائدة ناحية حصن الصقالبة ودبسة فافتتحهما وأدب من فيها من الروم، وأسر منهم عدداً وعاد سالماً، وأرسل عبد الله بن مالك ناحية ذي الكلاع، فحاصرها وفتح حصنها عنوة بعد أيام، وغنم وعاد سالماً، كما وأرسل يزيد بن مخلد إلى الصّفصاف وملقونية ففتحهما عنوة وغنم وسبى[4].

وبعد فتح المسلمين للمدن والقلاع السابقة اتجهوا صوب هرقلة، وكان سكانها قد تحصنوا في قلعتها الحصينة التي أحيطت بخندق كبير لا يمكن الوصول إليه إلا بمشقة، فأقام المسلمون على حصارها شهراً، استخدموا فيه السهام والمجانيق والعرادات[5]، فأوصى الرشيد قادته بتحطيم أسوار القلعة بضربها بالمجانيق وكُتَل النار المشتعلة، ولما رأى الروم تهافت جنبات السور، لجأوا إلى فتح أبواب القلعة وأعلنوا الولاء والطاعة للمسلمين ووافقوا على دفع الجزية، مقابل أن يعطوا الأمان على أنفسهم ولا يفرق بينهم[6]، وكان لفتح هرقلة أثره على نقفور الذي بادر إلى دفع

---

[1] الطبري، تاريخ (ج320/8)، ابن خلدون، العبر (ج226/3)

[2] ابن خياط، تاريخ (ص٤٥٨)، الطبري، تاريخ (ج320/8)، ابن الجوزي، المنتظم (ج180/9).

[3] ابن خياط، تاريخ (ص 459).

[4] الطبري، تاريخ (ج320/8)، ابن الأثير، الكامل (ج5/ص ص341-342)

[5] الطبري، تاريخ (ج320/8)، ابن الجوزي، المنتظم (ج9/ص ص180-181)

[6] ابن الجوزي، المنتظم (ج9/ص ص181-182)، الحميري، الروض المعطار (ص ص 593-594).

الخراج عن أرضه والجزية عن رأسه وولي عهده وبطارقته وسائر أهل بلده، خمسين ألف دينار منها عن رأسه أربعة دنانير وعن رأس ولده ( إستبراق ) ديناران[1].

وفي 15 شوال سنة 190هـ/805م تحرك الرشيد ناحية أهل الطوانة لتأديبهم بعد أن أعلنوا نقضهم للطاعة و أرادوا الكيد للمسلمين إثر فتحهم لهرقلة، وأقام عليها فأظهر أهلها الطاعة، وأقام مسجداً هناك، وخلف عليها عقبة بن جعفر وأمره ببناء منزل هناك[2].

وفي شعبان سنة191هـ/806م تقدم هارون الرشيد الصائفة والتي كانت بقيادة هرثمة بن أعين ومعه مسرور الخادم إلى درب الحدث، حيث كان قد ضم إليه ثلاثين ألفاً من جند خراسان؛ لقوتهم وشدة مراسهم، وأقام الرشيد بدرب الحدث ثلاثة أيام من رمضان، ومن هناك وجه سعيد بن سلم بن قتيبة[3] إلى مرعش حيث أقام فيها مع المسلمين، فأغارت الروم عليها وأصابوا من المسلمين، وانصرفوا وسعيد بن سلم مقيم بها، فأرسل الرشيد إلى الروم محمد بن يزيد ابن مزيد يتتبعهم، فلحق بهم في طرسوس وأوقع بهم ثم عاد أدراجه مع المسلمين، وحين اطمأن الرشيد على الأوضاع في الثغور عاد إلى الرقة ليقيم فيها[4].

ولما تولى المأمون وفي سنة 215هـ/830م قرر قيادة حملة عسكرية كبرى صوب بلاد الروم، فسار من بغداد على رأس جيش كبير في المحرّم، واستخلف عليها إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، وولّاه السواد وحلوان وكور دجلة، ولما وصل تكريت لقيه محمد بن عليّ الرضا فأجازه وزفّ إليه ابنته أمّ الفضل، وسار المأمون إلى الموصل ثم إلى منبج ثم دابق، ثم أنطاكية ثم المصيصة وطرسوس وفتح حصن ماجد، ودخل من هناك فافتتح حصن قرّة عنوة وهدمه، وقيل بل فتحه على الأمان، وبعث مولاه التركي "أشناس" إلى حصن سدس، ودخل ابنه العبّاس ملطية ووجه المأمون عجيفاً وجعفر الخيّاط إلى حصن سنان فأخضعه[5].

---

[1] الطبري، تاريخ (ج321/8)، ابن خلدون، العبر (ج226/3).

[2] الطبري، تاريخ (ج321/8).

[3] هو الأمير أبو محمد الباهلي الخراساني، ولي بعض خراسان، وكان بصيراً بالحديث واللغة العربية. الذهبي، تاريخ الإسلام (ج80/5).

[4] ابن الجوزي، المنتظم (ج9/ص ص193-194)، ابن خلدون، العبر (ج226/3).

[5] ابن خلدون، العبر (ج320/3).

وبعد أن عاد المأمون من العراق إلى دمشق، بلغه أنّ الروم أغاروا على طرسوس والمصيصة وأثخنوا فيهم بالقتل، فرجع إليهم وافتتح كثيراً من معاقلهم وأناخ على هرقلة حتى استأمنوا وصالحوه، وبعث المعتصم فافتتح ثلاثين حصناً منها مطمورة، وبعث يحيى بن أكثم فأثخن في البلاد وقتل وحرق وسبى، ثم رجع المأمون إلى كيسوم فأقام بها يومين ثم ارتحل إلى دمشق، وفي سنة 217هـ/832م رجع المأمون إلى بلاد الروم فأناخ على لؤلؤة فحاصرها مائة يوم، ثم رحل عنها وخلّف قائده عجيفاً على حصارها[1].

ولما تولى المعتصم وفي سنة 223هـ/838م حدث وأن خرجت الروم بقيادة الإمبراطور تيوفيل في سبعين ألفاً من الجند وثلاثين ألفاً من الأتباع إِلَى حصن زبطرة الحصين، وهو من ثغور الجزيرة الهامة، فأحرقوا المدينة وقتلوا الذكور من أهلها، بعد أن أتوا عليهم بالسمل والجدع وأسروا النساء والأطفال، وما تركوها إلا بعد أن أخربوها[2]، كما وهاجموا سميساط وتركوها رماداً، ودخلوا ملطية التي فتحت أبوابها لهم وأطلقت أسرى الروم فيها، فلم تلق نفس المعاملة من التخريب[3]، فلما بلغ ذلك المعتصم، انزعج لذلك جداً، وصرخ في قصره بالنفير، ونهض من فوره، فأمر بتعبئة الجيوش، واستدعى القاضي والعدول، فأشهدهم أن ما يملكه من الضياع ثلثه صدقة، وثلثه لولده، وثلثه لمواليه[4].

وقرر المعتصم غزو الروم في عقر دارهم، وكان في تلك الفترة قد ظفر بالخارجي بابك الخرمي[5] فسأله: أي بلاد الروم أمنع وأحصن؟، فقيل: عمورية، لم يعرض لها أحد من المسلمين منذ كان الإسلام، وهي عين النصرانية وبنكها، وهي أشرف عندهم من القسطنطينية[6].

---

[1] ابن خلدون، العبر (ج320/3).

[2] البلاذري، فتوح البلدان (ص192)، مصطفي، دولة بني العباس (ج561/2).

[3] مصطفي، دولة بني العباس (ج2/ص ص561-562).

[4] ابن كثير، البداية والنهاية (ج251/14).

[5] ظهر سنة 201 هـ في أذربيجان، أراد أن يقيم دين المجوسية ودعا إلى عقيدة تناقض الإسلام وتقول بتناسخ الأرواح، وكان يضرب بشجاعته الأمثال، انتفض على الدولة العباسية، وأخذ عدة مدن من المسلمين، فجهز المأمون سنة 212 هـ جيشا لتأديبه، إلا أنه تمكن من هزيمة ذلك الجيش، ولما تولى المعتصم الخلافة جرد له جيشاً للقضاء عليه سنة220هـ، وقد انتصر جيش الخلافة عليه سنة 222هـ ووقع بابك في الأسر، وجيء به إلى بغداد فقُتل سنة 223هـ على يد المعتصم. ابن المستوفي، تاريخ (ج339/2)، الذهبي، سير (ج482/10).

[6] الطبري، تاريخ الرسل (ج57/9).

فسار المعتصم إلى عمّورية، ووافاه الأفشين[1] عليها، فأسر وغنم، وحاصرها ونصب عليها المجانيق، فهتك سورها وفتحها، فقتل وسبى ما لا يحصى عدده، وشعّث حائطها، وحرّق وخرّب داخلها، وخرج سالماً هو وجيوشه، وخرج معه في سبيه ستون بطريقاً[2] على رأسهم بطريقها المسمى بياطس وأسرى كثر، وأقام فيها ثلاثة أيام بعد فتحها، ورحل عنها في اليوم الرّابع وجاء ببابها إلى العراق[3].

واعتبرت حرب عمورية أخطر حرب يشنها العباسيون ضد البيزنطيين، وإن النصر الذي أحرزه المعتصم فيها كان بلا نظير في العصر العباسي، فكما وصفه الشاعر أبو تمام بأنه:" فتح الفتوح"[4]، وتعد معركة عمورية خاتمة المعارك العظيمة المظفرة التي خاضها العباسيون ضد الروم، وخاصة في خلافة المهدي والرشيد والمأمون، وبعد هذه المعركة بدأ ينحسر دور الخلافة في الجهاد الإسلامي البيزنطي، ليضطلع به في الأساس حكام مناطق الثغور.

---

[1] هو حيدز بن كاوس من أبناء الأكاسرة، أحد قواد العباسيين، أبلى بلاءً حسناً مع المعتصم في القضاء على فتنة بابك الخرمي، وكذلك في فتح عمورية، أحس المعتصم بعد ذلك بنوايا الأفشين للتخلص منه، فقبض عليه المعتصم سنة 225هـ وتوفي عام 226هـ بعد منع عنه الطعام، حيث هلك ثم صلب وأحرق مع أصنام عنده. الذهبي، سير (ج8/ص ص 386–390).

[2] البطريق: قائد عسكري روماني يتولى قيادة عشرة آلاف رجل، عدد منهم يكون تحت أمرة الإمبراطور والآخرون يتم توزيعهم مع جندهم في كور الإمبراطورية، ويعرف كبير البطارقة باسم الدمستق. الخوارزمي، مفاتيح (ص ص153–158).

[3] البلاذري، فتوح البلدان (ص192)، ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج238/73)، الأزدي، تاريخ الموصل (ج690/1)

[4] كحيلة، العقد الثمين (ص ص210–211).

**المبحث الخامس: تسيير الصوائف والشواتي**

بالإضافة إلى ما قام به خلفاء بني العباس من حملات عسكرية ضخمة، والتي كانوا يتولون قيادتها بشكل شخصي، إلا أن هذا لم يمنعهم من الاستمرار في تسيير الحملات العسكرية المحدودة والتي كانت تسمى بالصوائف والشواتي، والتي لم تكد تخلو سنة دون أن تُسير فيه صائفة أو شاتية بل ربما أكثر، فقد كان لتلك الحملات أثرها الكبير على نفوس البيزنطيين، حيث أرغمتهم على إخلاء منطقة الحدود في أطراف دولتهم الجنوبية المحاذية لبلاد المسلمين من السكان؛ حتى لا تتعرض لهجمات المسلمين في الصيف والشتاء، في حين أبقوا بعض الحاميات للدفاع عنها فقط، مما شجع خلفاء بني العباس على انتهاج نفس السياسة في إيجاد بعض المناطق العازلة[1].

فلم يتوان أبو العباس السفاح عن توجيه صائفتين في سنة 134هـ/751م إلى بلاد الروم، ردًا على هجمات الروم على مناطق الثغور، توجهت الصائفة الأولى نحو ثغر ملطية بقيادة عميه صالح بن علي وعيسى بن علي اللذين لم يفعلا شيئًا سوى تخريب سور المدينة، والصائفة الثانية كانت بقيادة محمد بن النصر بن بريم الحميري الذي دخل الطوانة[2] إحدى النواحي التابعة لثغر المصيصة[3].

وكانت تلك الصائفتين قد جاءتا رداً على توجه الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس نحو ملطية في سنة 133هـ/750م، مدمرًا ما وجد أمامه من تحصينات وثغور جزرية، فاستولى على الحدث ثم وصل إلى ملطية وحاصرها[4].

---

[1] الملحم، العلاقات السياسية (ص5).

[2] الطوانة: مدينة ببلاد الروم على فم الدرب مما يلي طرسوس، وهي اسم موضع قسطنطينية قبل أن يبنيها قسطنطين لتصبح عاصمة للامبراطورية البيزنطية، وكان معاوية رضي الله عنه أغزى سفيان بن عوف وأمره أن يبلغ الطوانة، فأصيب معه خلق من الناس، فعم الناس الحزن بمن أصيب بأرض الروم. ياقوت، معجم البلدان (ج45/4).

[3] ابن الأثير، الكامل (ج71/5)، عبد الله، العلاقات السياسية (ص146).

[4] ابن العديم، بغية الطلب (ج254/1).

فاستنجد أهل ملطية بعامل الجزيرة موسى بن كعب[1]، لكنه لم يستطع أن يمدهم بالمعونة وذلك بسبب الاضطرابات في الجزيرة، لذلك أرسل الإمبراطور قسطنطين إلى أهلها كتابًا يقول فيه: "إني لم آتكم إلا على علم بأمركم وتشاغل سلطانكم عنكم انزلوا على الأمان وأخلوا المدينة أخربها وأمضي عنكم"[2].

رفض أهل ملطية عرض الإمبراطور البيزنطي فشدد الحصار عليهم ونصب المجانيق، واشتد الحصار وزادت أثاره السلبية على السكان، وعندما لم تأتِ أية مساعدة لأهل ملطية طلبوا الأمان، واستعدوا للخروج من المدينة، وعملوا على إخفاء كنوزهم وأغراضهم الثمينة بإلقائها في الآبار والمخابئ ليحرموا البيزنطيين من الحصول عليها، ثم خرجوا من المدينة، ولمنعهم من الهرب اصطف الجنود البيزنطيين على جانبي الطريق، وأمروا السكان بالمرور في صف واحد من أمامهم وتحت السيوف المتقابلة على شكل قنطرة، فتوجه قسم منهم نحو بلاد الجزيرة وقسم آخر أخذه البيزنطيون معهم كأسرى، وأمر الإمبراطور البيزنطي بهدم المدينة ثم توجه إلى حصن سميساط وخربه[3].

وفي عام 136هـ/754م كتب الخليفة أبو العباس السفاح إلى عمه عبد الله بن علي يطلب منه أن يتوجه نحو الثغور الجزرية ليقف في وجه البيزنطيين، فقام عبد الله بن علي بجمع جيش مكون من أهل خراسان والشام والموصل والجزيرة وتوجه نحو الثغور الجزرية، وبقي مرابطاً هناك، لكن عندما أتاه النبأ بوفاة أبي العباس السفاح واستلام أبي جعفر المنصور للخلافة، انصرف عائداً إلى بلاد الجزيرة دون أن يقوم بأي نشاط ضد البيزنطي، وذلك لأن السفاح كان قد وعده بالخلافة من بعده إن خرج لصد البيزنطيين عن الثغور الشمالية[4].

ولما استخلف الخليفة أبي جعفر المنصور استغل ظروف البيزنطيين السياسية الداخلية والخارجية السيئة، فقرر البدء في تسيير الصوائف واسترداد ما أخذه الروم، ففي سنة

---

[1] موسى بن كعب التميمي المروزي. أحد نقباء بني العباس الاثني عشر. وولي إمرة مصر سبعة أشهر. الذهبي، العبر (ج148/1).

[2] البلاذري، فتوح البلدان (ص 186).

[3] المصدر السابق، ص 187.

[4] اليعقوبي، تاريخ (ج362/2).

138هـ/755م أرسل صائفة تحت قيادة أخيه العباس بن محمد وعمه صالح بن علي لاستعادة ملطية من أيدي الروم وانتصرا فيها واستعادا المدينة[1].

ثم توقف المنصور بعد ذلك عن صد هجمات الروم بين الأعوام 139-149هـ/757-766م وكرس اهتمامه للقضاء على ثورة النفس الزكية[2] بالمدينة، عدا عن إرسال صائفة واحدة وذلك سنة140هـ /757م[3]، وقد حاول المنصور الاستعانة بالمقاتلين والمرابطين في الثغور ليشتركوا في صد الثورة، إلا أنهم رفضوا ذلك، فأهملهم المنصور في الثغور، واستطاع ملك الروم أسر أعداد كبيرة من المسلمين وطلب الفدية، إلا أن المنصور رفض أن يدفع شيئاً، فتدخل الفقيه الأوزاعي فعدل الخليفة عن رأيه وأمر بالفداء[4].

وسرعان ما استأنف الخليفة أبي جعفر المنصور تسيير الحملات بعد توقف، وكان يهتم في الأساس بالحملات ذات الصبغة الدفاعية، ولكن هذا لم يمنعه من تسيير عدد من الحملات الهجومية ذات الغرض الدفاعي، ففي سنة 153هـ/770م سير الصائفة وعلى رأسها معيوف بن يحيى الجحوري، حيث سار إلى بلاد الروم وداهم أحد حصونهم ليلاً وهم نائمون، فسبى وأسر من كان فيه من المقاتلة، ثم سار إلى اللاذقية وفتحها وسبى منها ستة آلاف من السبي سوى الرجال البالغين[5].

وفي سنة 158هـ/774م أرسل المنصور الصائفة بقيادة معيوف بن يحيى بعد رفضه لطلب الإمبراطور البيزنطي قسطنطين الخامس الصلح للتفرغ لمشاكله الداخلية، وتحركت الصائفة من درب الحدث حيث التقى بالجيش البيزنطي فاقتتلوا ثم تحاجزوا[6].

---

[1] الطبري، تاريخ (ج500/7).

[2] هو محمّد بن عبد الله المحض بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، كان من أفضل أهل بيته، وأكبر أهل زمانه، في علمه بالقرآن، وحفظه له، وفقهه في الدين، وشجاعته، وجوده، حتى لم يشك أحد أنه "المهدي" الذي بشر به النبي صلى الله عليه وسلم، خرج على العباسيين في المدينة والتف حوله الناس ولما علم المنصور بأمره ندب إليه ابن أخيه عيسى بن موسى لقتاله، فخرج إليه من الكوفة في أربعة آلاف فارس، وتبعه محمد بن قحطبة في جيش كثيف، فقاتلوا محمداً بالمدينة حتى قتل وهو ابن 45سنة. المسعودي، مروج الذهب (ج479/1).

[3] ابن كثير، البداية والنهاية (ج74/10).

[4] الذهبي، تاريخ الإسلام (ج6/ص ص223-224).

[5] الطبري، تاريخ (ج43/8)، مصطفى، دولة بني العباس (ج395/1).

[6] ابن خياط ، تاريخ (ص667)، ابن الأثير، الكامل (ج179/5).

ولما استخلف المهدي استمرت حملات الصوائف والشواتي في عهده بنفس القوة والنشاط الذي كان في عهد والده أبي جعفر المنصور الذي انتصر في معظمها، وقد كان يقوم شخصياً بالإشراف على العمليات الحربية في مناطق الثغور معسكراً خلال تسييرها في مكان يعرف بالبردان[1] بظاهر بغداد[2].

وفي سنة 159هـ/775م أرسل المهدي صائفة بقيادة العباس بن محمد وجعل على مقدمتها الحسن الوصيف إلى بلاد الروم، وفتحوا بلاداً للروم حتى بلغوا أنقرة، فغنموا وعادوا سالمين[3]، فقام الروم كرد على تلك الصائفة بالهجوم على سميساط بقيادة الإمبراطور ليو الرابع وأخذوا معهم عدداً كبيراً من الأسرى والغنائم، ما حدا بالمهدى لإرسال مولاه "صغير"، فاستنقذ الأسرى منهم[4].

وفي سنة 161هـ/777م قاد الصائفة القائد العباسي ثمامة بن الوليد بن القعقاع بن خليد العبسي، فنزل دابق فتقدم له البيزنطيون في جيش ضخم بقيادة ميخائيل لصد هجومه، واصطدم الجيشان ودارت معركة كبيرة كانت الغلبة فيها للبيزنطيين وقتل عدد كبير من الجيش العباسي[5].

وفي سنة 162هـ/778م وكرد على ما حدث، جهز المهدي جيشاً ضخماً بقيادة الحسن بن قحطبة قوامه80 ألف مقاتل، ضم قوات من خراسان والموصل والشام واليمن والعراق ووجهه إلى بلاد الروم، فدمر وحرق وسبى، واضطر البيزنطيون للتراجع عن المناطق التي احتلوها[6].

وفي سنة 164هـ/780م اغتاظ الخليفة المهدي كثيراً من قائده عبد الكريم بن عبد الحميد والذي بعثه على رأس الصوائف ذلك العام، حينما عاد أدراجه مع الجيش، عندما علم أن الروم قد استعدوا لهم في درب الحدث في تسعين ألفاً يتقدمهم بطارقتهم، لرد الاعتبار بعد هزيمتهم في

---

[1] من قرى بغداد على سبعة فراسخ منها، وهي من نواحي دجيل، وسميت بالبردان، لأن ملوك الفرس كانوا إذا أتوا بالسّبي فنفوا منه شيئا قالوا: برده أي اذهبوا به إلى القرية، فسميت بذلك. ياقوت، معجم (ج375/1).

[2] الطبري، تاريخ (ج116/8).

[3] المصدر السابق، ص 116.

[4] اليعقوبي، تاريخ (ج146/3).

[5] الطبري، تاريخ الرسل (ج136/8)، ابن الأثير، الكامل (ج226/5).

[6] ابن خياط، تاريخ خليفة (ص 437).

قلعة صمالو، فعد المهدي ذلك انهزاماً فأراد ضرب عنقه، فكُلم المهدي فيه فحبسه في المطبق[1] حتى مات[2].

وفي سنة 165هـ/781 م أغزى الخليفة المهدي ابنه هارون على رأس الصائفة لغزو الروم، في جيش بلغ تعداده مائة ألف رجل تقريباً، وكان معه من النفقة مائة وأربعة وتسعون ألف دينار وأربعمائة وخمسون ديناراً، ومن الفضة إحدى وعشرون ألف وأربعة عشر ألفاً وثمانمائة درهم[3]، وتقدم هارون بذلك الجيش حتى توغل في بلاد الروم ودمر حصن ماجد، وتصدى له البيزنطيون في أكثر من مكان وهزمهم، وظل الرشيد ينتقل من نصر إلى آخر حتى أشرف على خليج البحر الذي على القسطنطينية[4].

ونتيجة لتلك الانتصارات بادرت ملكة بيزنطة إيريني[5] إلى طلب المصالحة مع المسلمين؛ خوفاً من اجتياح الرشيد بلادها، فصالحها الرشيد، وكانت الهدنة تنص على توقف الحرب بين المسلمين والبيزنطيين مدة ثلاث سنوات، وتتعهد إيريني أن تدفع للمسلمين جزية سنوية وقدرها تسعون ألف قطعة دينار تؤديها في نيسان الأول من كل سنة وفي حزيران، وأن تمد الجيش العباسي بالأدلاء، وتيسر لهم المؤن في الطريق عند كل منزلة[6]، وقد كانت تلك الحملة من أبرز الحملات التي حدثت في العهد العباسي والتي وصلت إلى حدود القسطنطينية.

وفي سنة 168هـ/784م وقبل انتهاء مدة الهدنة بأربعة أشهر قامت الملكة ايريني بنقضها، وذلك بالامتناع عن دفع الجزية للمسلمين، فسيّر المهدي سرية على رأسها علي بن سليمان والي

---

(1) المطبق هو السجن المقام تحت الأرض لأنه أطبق على من فيه. الزبيدى، تاج العروس(ج417/6).

(2) ابن خياط، تاريخ (ص129)، الطبري، تاريخ الرسل (ج150/8).

(3) البلاذري، فتوح (ص168)، الطبري، تاريخ الرسل (ج148/8)

(4) اليعقوبي، تاريخ (ج401/2)، الطبري، تاريخ الرسل (ج153/8)، ابن الأثير، الكامل (ج238/5).

(5) حكمت الإمبراطورية البيزنطية كوصية على ابنها قسطنطين السادس سنة ١٦٤هـ/٧٨٠ م، ثم اختلف معها حين بلغ سن الرشد، وواجهتها بعض المشاكل الداخلية مثل عبادة الأيقونات، وتمرد بعض عناصر الجيش وكبار الموظفين في الدولة البيزنطية، كما كان عليها أن تواجه الخطر الإسلامي والخطر البلغاري وآمال شارلمان التوسعية، وجاءت نهايتها على يد نقفور الأول وزير خزانتها سنة 181هـ/797م. عمران، معالم (ص17).

(6) الطبري، تاريخ (ج152/8)، ابن الأثير، الكامل (ج248/5).

الجزيرة وقنسرين، ويزيد بن بدر بن البطال، ووصلت إلى بلاد الروم وقاتلت البيزنطيين وهدمت بعض القلاع التي على الحدود وغنموا، وعادوا سالمين[1].

وفي سنة 169هـ/785م سير المهدي معيوف بن يحيى على رأس الصائفة فاصطدم بالجيش البيزنطي الذي تحرك بأمر من إيريني؛ لرد اعتبار الروم بعد هزيمتهم الأخيرة، وتقابل الجيشان في منطقة الحدث، وهُزم البيزنطيون، وتوغل المسلمون في بلاد الروم حتى بلغوا مدينة أُشْنُة[2] وأصابوا غنائم وفيرة وأسروا قرابة خمسمائة رجل[3].

ولما تولى الخليفة الهادي، وكان الشتاء قد هجم وكثرت الأمطار على إقليم الثغور، فتهدم سور المدينة، فنزل بها الروم وتفرق عنها من كان نزلها من الجند وغيرهم، فقطع الهادي بعثاً مع المسيب بن زهير وبعثاً مع روح بن حاتم وبعثاً مع عمرو بن مالك، فمات قبل أن ينفذوا[4].

وفي سنة 169هـ/785م كانت الروم قد أقبلت مع البطريق إلى الحدث ودخلوها، فهرب الوالي والجند وأهل الأسواق، فأغزا الصائفة معيوف بْن يحيى من درب الراهب، ودخل أرض العدو، فبلغ مدينه أشنة، فأصابوا سبايا وأسارى وغنموا[5].

ولما تولى الخليفة هارون الرشيد كثف من إرسال الصوائف والشواتي لغزو بلاد الروم، انطلاقاً من مناطق الثغور والعواصم، وكادت تكون شبه سنوية وفيما يلي سنورد أبرزها:

ففي سنة 170هـ/786م أرسل الرشيد صائفة بقيادة سليمان بن عبد الله البكائي فغزا أرض الروم، وانتصر عليهم، ورجع سالماً مع جنده[6].

---

(1) الطبري، تاريخ (ج167/8)، ابن الأثير، الكامل (ج257/5).

(2) بلدة في طرف أذربيجان، بينها وبين أرمية يومان وبينها وبين إربل خمسة، ذات بساتين، وفيها كمّثرى يفضل على غيره، يحمل إلى جميع ما يجاورها من النواحي، إلّا أنّ الخراب فيها ظاهر. ياقوت، معجم (ج201/1).

(3) الطبري، تاريخ (ج8/ص ص203-204)، ابن الأثير، الكامل (ج263/5).

(4) ياقوت، معجم البلدان (ج288/2).

(5) الطبري، تاريخ (ج204/8)، ابن الأثير، الكامل (ج279/5).

(6) الطبري، تاريخ (ج234/8)، ابن الاثير، الكامل (ج275/5).

وفي سنة 171هـ/787م أرسل الخليفة الرشيد صائفة وعلى رأسها سليمان بن عبدالله الأصم والذي بدوره أرسل عامله يزيد بن عنبسة الحرشي، فتوغلت في أرض الروم، وغنمت ثم عادت سالمة[1].

وفي سنة 172هـ/788م نزل الخليفة هارون الرشيد بالجيش في مرج القلعة، وبعث على الصائفة إسحاق بن سليمان بن علي[2]، وفي نفس السنة أُرسلت شاتية وكان عليها زفر بن عاصم الهلالي[3]، حيث أرسل ابنه عبد العزيز بن زفر الهلالي على قيادة الجيش، فمضى حتى أتى نهر جيحان، فصابه برد فقفل عائداً[4]، وفي سنة ١٧٣هـ/٧٨٩م بعث الرشيد صائفة وعلى رأسها عبدالملك بن صالح وصلت إلى أرض الروم ولكنها لم تتوغل فيها وعادت أدراجها[5].

وفي سنة 174هـ/790م عاد عبدالملك بن صالح بأمر من الرشيد ليقود الصائفة، وقدم ابنه عبدالرحمن على رأس الجيش، حتى بلغ عقبة السير وهي قلعة قرب الحدث، واصطدم بالروم ونصره الله عليهم، فأسر وغنم منهم وعاد[6].

وفي سنة 174هـ/790م وكرد على أسر الروم لبعض الجند العباسيين المسافرين في البحر من مصر إلى سورية، تحرك أسطول بحري من مصر إلى قبرص، ومنها إلى سواحل آسية الجنوبية والتقى مع أسطول الروم بخليج أضاليا فهزمه وأسر أمير البحر البيزنطي[7].

وفي سنة 175هـ/791م قاد عبدالرحمن بن عبدالملك الشاتية أيضاً، واستعان هذه المرة بأهل الثغور الشامية، وشكل الجميع جبهة واحدة، لم يستطع الروم مقاومتها ووصلوا إلى قلعة

---

[1] ابن خياط، تاريخ (ص448).

[2] ابن الجوزي، المنتظم (ج343/8)، ابن الأثير، الكامل (ج285/5).

[3] أحد القادة الشجعان، قاد عدداً من الصوائف، كما وتولى عدداً من الولايات مثل حلب سنة ١٣٧هـ/٧٥٤م، ثم تولى المدينة سنة١٦٠هـ/٧٧٦م، ثم الجزيرة سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م. الطبري، تاريخ (ج475/7).

[4] ابن خياط، تاريخ (ص448).

[5] المصدر السابق، ص 449.

[6] المصدر نفسه، ص449.

[7] مصطفى، دولة بني العباس (ج312/2).

اقريطية وفتحوها، وقد حصلوا من السبي على تسعة عشر ألفاً من الناس، بالرغم من البرد الشديد الذي اصابهم وسقطت منه أيديهم وأرجلهم[1].

وفي سنة 176هـ/792م وللمرة الثالثة، قاد عبد الرحمن بن عبد الملك الصائفة، وفتح المسلمون أحد حصون الروم كما فتحوا مدينة تسمى دبسة في بلاد الروم ثم عادوا سالمين[2] .

وفي سنة 177هـ/793م سير الرشيد ثلاث صوائف وشاتية، قاد الأولى عبد الرزاق بن عبد الحميد التغلبي ولم يلتق بالروم بسبب الظروف المناخية[3]، وقاد الثانية عبد الله بن صالح بن علي[4]، ودخل أرض الروم وغزاها ورجع سالماً بعد أن أسر وغنم [5]، وأما الثالثة فقادها يسار بن صقلاب[6] حيث تقدم بأهل المصيصة عن طريق الصفصاف، ثم طوانة، حتى دخل أرض الروم، وهزمهم وعاد أدراجه بعد أن غنم الكثير وسلم من خطر الروم[7]، أما الشاتية فقادها سليمان بن راشد الثقفي حيث تقدم بالجيش حتى وصل ملطية بعد معاناة كبيرة من شدة البرد، وتمكن المسلمون من هزيمة البيزنطيين، ثم عادوا بعد أن مات بعضهم من شدة البرد[8] .

وفي سنة 178هـ/794م سير الرشيد صائفة بقيادة معاوية بن زفر، وشاتية بقيادة سليمان الثقفي، ولقد بلغ كلاهما أرض العدو واصطدما بالروم وحققا نصراً مؤزراً قبل أن يعودا[9].

وفي سنة 181هـ/797م أرسل الرشيد عبد الملك بن صالح على رأس صائفة أخرى إلى شمال أرض الروم، وفتح الله على أيديهم أنقرة ومطمورة كما غزا منطقة مالاجينا، وغنم منها خيولاً و معدات حربية[1].

---

[1] ابن خياط، تاريخ (ص449)، ابن الأثير، الكامل (ج5/288)، الذهبي، تاريخ الإسلام (ج11/136).

[2] السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص267).

[3] الطبري، تاريخ الأمم (ج8/255)، ابن الجوزي، المنتظم (ج9/29)، ابن الأثير، الكامل (ج5/301).

[4] أحد الأمراء القادة، تولى إمارة الجزيرة بعد زفر بن عاصم سنة ١٦٣هـ/٧٧٩م. ابن الجوزي، المنتظم(ج8/149)

[5] ابن خياط، تاريخ (ص450).

[6] يسار بن صقلاب – ويذكر سقلاب – أحد الجنود الأكفاء الذين بعثهم الرشيد إلى البيزنطيين وفتح الله على يديه عدة مدن كالمصيصة والصفصاف وطوانة سنة ١٧٧هـ/ ٧٩٣م. ابن خياط، تاريخ (ص٤٥٠).

[7] ابن خياط، تاريخ (ص450).

[8] المصدر السابق، ص 450.

[9] ابن الجوزي، المنتظم (ج9/36)، ابن كثير، البداية والنهاية (ج 10/179).

وفي سنة 182هـ/798م أرسل الرشيد عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح على رأس صائفة توغلت في أرض الروم، ودار بينها وبين البيزنطيين معركة قوية انتصر فيها المسلمون، وغنموا وزحفوا نحو أفسوس[2]، وانتصروا وغنموا ثم عادوا بعد أن أسروا سبعة آلاف رومي[3]، وتلك الصائفة هي التي أفزعت الإمبراطورة إيريني، ما دفعها لمصالحة المسلمين مقابل أن تدفع جزية مقدارها تسعين ألف دينار؛ لخوفها على عرشها من السقوط[4].

وبناءً على ذلك الصلح والجزية توقفت الشواتي والصوائف على أرض الروم في الفترة بين 183-186هـ/799-802م، مما أتاح للرشيد أن يوجه اهتمامه للخزر[5]، الذين دخلوا سنة 183هـ/799م على المسلمين من ثلمة بأرمينية بأكثر من مائة ألف محارب، وهدموا بعض المدن، وقتلوا عدداً من سكانها وأسروا آخرين، فاضطر الرشيد أن يوجه قوات الخلافة العباسية عليهم بقيادة خازم بن خزيمة[6] ويزيد ابن مزيد الشيباني[7]، فطردوا الخزر من أرض المسلمين، وتم سد الثلمة التي دخلوا منها، وإصلاح ما خربوه[8].

وبعد تولي نقفور حكم الدولة البيزنطية نقض الصلح الذي كان قد وقع مع المسلمين وامتنع عن دفع الجزية، ما دفع الرشيد لاستئناف تسيير الصوائف والشواتي ضد بلاد الروم، ففي سنة 187هـ/802م أرسل الرشيد ابنه القاسم ومعه العباس ابن جعفر على رأس الصائفة، وتوغل في بلاد الروم وفرض الحصار على حصن قرة، بينما حاصر العباس حصن سنان، ما اضطر

---

(1) ابن الجوزي، المنتظم (ج9/67)، ابن الأثير، الكامل (ج5/317).

(2) مدينة مشهورة بأرض الروم، وهي مدينة دقلديانوس الجبار الذي هرب منه أصحاب الكهف، وبين الكهف والمدينة مقدار فرسخين. القزويني، آثار البلاد (ص498).

(3) ابن الأثير، الكامل (ج5/317)، ابن خلدون، العبر (ج3/225).

(4) عمران، معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية (ص 114).

(5) جيل عظيم من الترك، بلادهم خلف باب الأبواب ( الدربند )، وهم صنفان : بيض وسمر، ولهم ملك عظيم يسمى بلك وفيهم مسلمون ونصارى ويهود وعبدة الأوثان. القزويني، آثار البلاد (ص ص 584-585).

(6) أحد الجنود الذين غلبوا على مرو الروذ سنة129 هـ/ 746م وقتل عامل نصر بن سيار عليها وبعثه أبو العباس السفاح سنة ١٣٤هـ/٧٥١ م إلى بسام بن إبراهيم الذي خالف وخلع الطاعة، فانهزم بسام وأصحابه وقتل أكثرهم. الطبري، تاريخ (ج7/506)، ابن الجوزي، المنتظم (ج7/324).

(7) يزيد الشيباني أحد القادة الأفذاذ، قاتل الخوارج بخراسان سنة 160هـ/ 776م، كما غلب على عسكر الروم بعد أن قتل نقيطا قومس القوامسة سنة ١٦٥هـ/٧٨١م. الطبري، تاريخ (ج8/124).

(8) ابن الجوزي، المنتظم (ج9/83)، ابن كثير، البداية والنهاية (ج10/179).

نقفور إلى إخراج أسرى المسلمين من السجون البيزنطية وكانوا ثلاثمائة وعشرين رجلاً، وسّلمهم للقاسم ابن الرشيد مقابل أن يرحلوا عن بلاده[1].

وفي جمادى الأولى سنة 188هـ/803م سير الرشيد إلى نقفور صائفة بقيادة إبراهيم بن جبريل[2] والذي كعادته كان قد نقض الصلح في نفس السنة، وامتنع عن دفع الجزية المقررة عليه، فدخل ابراهيم بن جبريل أرض الروم من ناحية الصفصاف، وتقابل الفريقان في حرب شديدة، ترتب عليها هزيمة الروم وفرار نقفور من الميدان بعدما جرح ثلاث جراحات، وحصول المسلمين على أربعة آلاف دابة من الروم، وقتل أربعين ألفاً وسبعمائة من الجيش البيزنطي[3].

وفي شعبان سنة 190هـ/805م وجه الخليفة هارون الرشيد حميد بن معيوف الهمداني إلى ساحل البحر المتوسط فبلغ قبرص، فافتتحها عنوة، وهدم بعض قلاعها وسبى من أهلها ستة عشر ألفا [4]، حيث أسكنهم الرافقة مع المسلمين ومكثوا فيها تسعة أشهر، إلى أن أمر الرشيد بردهم إلى بلادهم[5].

وفي شوال سنة 190هـ/805م بعث الرشيد إلى قبرص معيوف ابن يحيى بعد أن نقض أهلها الصلح الذي عقدوه مع حميد بن معيوف وأعلنوا عداءهم للمسلمين، فقاتلهم وسبى وقتل عدداً كبيراً من أهلها[6].

وفي جمادى الثاني سنة 191هـ/806م أرسل الخليفة الرشيد يزيد بن مخلد الهبيري على رأس عشرة آلاف رجل من المسلمين، فاعترضه الروم في أحد المضايق على مقربة من طرسوس فقُتل ومعه خمسين رجلاً، ففضل المسلمون العودة لما رأوا مهاجمة الروم لهم بأعداد كبيرة [7].

---

[1] ابن خياط، تاريخ (ص٤٥٨)، اليعقوبي، تاريخ (ج423/2)، ابن الأثير، الكامل (ج333/5).

[2] ابراهيم بن جبريل من القادة الأفذاذ ، خرج مع الفضل بن يحيى البرمكي إلى خراسان سنة 178هـ/794م وهو كاره للخروج، ولي أمر سجستان سنة 178هـ/794م، وفتح كابل وغنم غنائم كثيرة في نفس السنة، ولاه الرشيد أمر الصائفة سنة 803/188مم ونصره الله على الروم. ( الطبري، تاريخ (ج258/8).

[3] الطبري، تاريخ (ج313/8).

[4] الطبري، تاريخ (ج320/8)، ابن الأثير، الكامل (ج5/ص ص341–342).

[5] البلاذري، فتوح البلدان (ص159).

[6] ابن كثير، البداية والنهاية (ج211/10).

[7] الطبري، تاريخ (ج323/8)، ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ (ج226/3).

وفي سنة 192هـ/807م ولى الخليفة هارون الرشيد ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي إمارة الثغور الشامية، وكلفه بقيادة الصائفة فغزا بلاد الروم وفتح مطمورة، وكان لكثرة غزوات المسلمين في الفترة الأخيرة أثرها في إلقاء الرعب في قلوبهم، فقد ذهب بسببها الآلاف منهم، مما دفعهم إلى التفكير في مصالحة المسلمين[1]، وقد نفذ ثابت بن نصر الخزاعي عملية الصلح والفداء مع الروم، حيث فودي في ذلك العام من المسلمين في سبعة أيام نحو ألفين وخمسمائة رجل وامرأة[2].

وبوفاة الخليفة هارون الرشيد في ٥ جمادى الآخرة سنة 193هـ/808م، توقفت حملات الصوائف والشواتي بشكل مؤقت على الإمبراطورية البيزنطية، حيث انشغل المسلمون بفتنة الأمين والمأمون والتي استمرت ما بين أعوام 193هـ– 198هـ/ 808م– 813م[3].

وهكذا كانت العلاقة بين الدولة العباسية والإمبراطورية البيزنطية خلال أيام الرشيد عدائية متوترة، إلا ما تخّللها من بعض المهادنات، فبعد أن استكمل الرشيد تحصينات الثغور المتاخمة للبيزنطيين، وأقام منطقة العواصم، واصل سياسة آبائه في شن الحملات على أرض الروم، وأظهر الخليفة هارون الرشيد صوراً من البطولة والشجاعة، جعلت الروم ينهزمون أمامه مرات عديدة، فأمن المسلمون ثغورهم وباغتوا عدوهم في داخل أرضه[4].

وفي عهد المعتصم وفي سنة 224هـ/839م هجم أمير الشام والجزيرة أبي سعيد بن يوسف مع بشير أمير المصيصة مرة بعد مرة على أرض الروم، وقد ظفروا في إحدى الغزوات بصاحب مجزرة زبطرة وأرسلوا رأسه ورؤوس من معه إلى الخليفة المعتصم[5]، إلا أن الروم عادوا سنة 225هـ/840م وتعقبوا أبا سعيد وهزموه، واحتلوا على إثر ذلك ثغر الحدث ومرعش وأرض ملطية، وبعده أرسلوا وفداً يطلب المهادنة، فتقبله المعتصم لما كان لديه من الثورات الداخلية[6].

---

(1) ابن كثير، البداية (ج214/10).

(2) المسعودي، التنبيه (ص161) ابن الأثير، الكامل (ج351/5)، ابن خلدون، العبر (ج226/3).

(3) ابن خياط، تاريخ (ص460)، مهران، دراسات في تاريخ العرب (ص227).

(4) الملحم، العلاقات السياسية (ص27).

(5) الطبري، تاريخ الرسل (ج12/9)، مسكويه، تجارب الأمم (ج179/4).

(6) مصطفي، دولة بني العباس (ص ص571–572).

وفي سنة 227هـ/842 م تحرك الأسطول الإسلامي والذي كان يتكون من 400 سفينة إلى بحر إيجة بقيادة أبي دينار، وهي السنة التي توفي فيها المعتصم فضرب الأسطول إعصار مدمر شتت شمله قبل أن يصل إلى القسطنطينية، ولم يعد منه للشام سوى سبع سفن[1].

وفي عهد الواثق وفي سنة 231هـ/846م، ولما فرغ من عملية فداء الأسرى[2] غزا أحمد بن سعيد بن مسلم الباهلي شاتياً وأصاب الناس ثلج ومطر وهلك منهم مائة نفس، وأُسر منهم نحوها ، فجبن عن مواجهة الروم ولم يستطع دفعهم فرجع ، فوجد الواثق عليه بسبب ذلك[3].

وفي سنة 231هـ/846م قام الواثق بعزل والي الثغور والعواصم أحمد بن سعيد بن سلم بن قتيبة الباهلي، لجبنه عن مواجهة الروم وعدم قدرته على دفعهم، ولعدم إدامته لتسيير الصوائف والشواتي، وعين بدلاً منه نصر بن حمزة الخزاعي[4].

مما سبق يظهر لنا مدى اهتمام خلفاء بني العباس الأوائل بتأمين مناطق الحدود والمدن الثغرية المحاذية للبيزنطيين لحماية حدود الدولة ورد عاديات الروم عنها، وقد تنوعت مظاهر الاهتمام ما بين بناء وتحصين للمدن الثغرية وبناء المسالح والقواعد العسكرية المتنوعة، وما بين شحن تلك المدن بالرجال والمقاتلة والمتطوعة، بالإضافة إلى قيادتهم الحملات الحربية بشكل شخصي ووصلت تلك الحملات إلى عمق الأراضي البيزنطية بل دخلت إلى أبرز مدنها كهرقلة وعمورية، هذا مع الاستمرار في تسيير حملات الصوائف والشواتي بشكل منتظم، واعتبرت عمليات استنزاف متواصلة للعدو فلم تكد تمر سنة إلا وأرسلت فيها صائفة أو شاتية وربما أكثر .

---

[1] مصطفي، دولة بني العباس (ص 546).

[2] سيتم الحديث عنها بإسهاب في الفصل الخامس

[3] ابن خلدون، تاريخ (ج340/3).

[4] الطبري، تاريخ (ج142/9)، ابن الأثير، الكامل (ج24/7-25)، ابن العديم، زبدة الحلب (ص43).

# الفصل الرابع:

# أحوال الثغور في العصر العباسي

# الأول

شهدت الثغور كما غيرها من البلدان حياة متنوعة ومتعددة، فقد تنوعت مظاهر الحياة فيها بتنوع الجغرافيا والأعراق والأديان والظروف السياسية والاقتصادية التي مرت بها، وقد غلب على شكل الحياة فيها بعض الأمور التي لم تكن في غيرها نظراً للخصوصية التي كانت تتمتع بها تلك الأماكن دون غيرها، وفيما يلي سنتطرق لأبرز تلك الأوضاع والمظاهر والأحوال:

## المبحث الأول: الأحوال الاجتماعية

انتهج البيزنطيون ما يعرف بسياسة الأرض المحروقة لمناطق الحدود، فقاموا بتحويل المنطقة الفاصلة بينهم وبين المسلمين إلى خراب، وقاموا بترحيل سكانها إلى داخل البلاد، وعندما امتدت الفتوحات الإسلامية إلى أراضي الإمبراطورية البيزنطية في آسيا الصغرى، كانت الجيوش الإسلامية تمر بتلك الثغور فتجدها خراباً خالية من السكان، وهذا يؤكده ما قام به هرقل عندما انسحب من الشام أمام ضربات الفاتحين، حيث أخذ معه أهل الحصون التي بين إسكندرية وطرسوس لئلا يسير المسلمون في بلاد عامرة ما بين إنطاكية وبلاد الروم[1].

ولما دخل المسلمون مناطق الثغور في أول فتوحاتهم في العهد العمري، اهتموا بها اهتماماً واضحاً كونها خط الدفاع الأول عن بلاد المسلمين، وهناك إشارات واضحة عن جهود الخلافة الإسلامية في العهدين الراشدي والأموي لتثبيت الوجود العربي الإسلامي في مناطق الثغور المواجهة للروم، وكدليل على ذلك ما فعله معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه لما ولي الشام والجزيرة في عهد عمر بن الخطاب، حيث ألزم المدن الجزرية والقرى والمسالح من يقوم بحفظها ويذب عنها من أهل العطاء[2].

ثم لما غزا معاوية عمورية سنة 25هـ/645م وجد الحصون بين أنطاكية وطرسوس خالية، فأوقف عندها جماعة من أهل الشام والجزيرة حتى انصرف من غزاته، ثم أمر بتعميرها للاستفادة منها في الدفاع عن بلاد الشام[3]، وكذلك فعل عنما فتح مدينتي عرقة وعسقلان واللتان تعدان

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان (ص164)، الطبري، تاريخ الرسل (ج630/3).

[2] البلاذري، فتوح البلدان (ص178)، الصلابي، معاوية بن أبي سفيان (ص 52).

[3] البلاذري، فتوح البلدان (ص165)، ابن الأثير، الكامل (ج459/2).

من الثغور البحرية، حيث شحنهما بالمقاتلة وأسكنها المرابطين وأعطاهم القطائع[1]، وعمّر العباس بن الوليد بن عبد الملك مدينة مرعش الثغرية في إحدى حملاته، وحصنها ونقل المجاهدين إليها، وبنى لها مسجداً جامعاً[2].

**أولاً: طبائع السكان في المدن الثغرية**

بقيام الخلافة العباسية بدأ العباسيون بتنظيم حدودهم مع البيزنطيين، والبدء في سياسة الإنشاء والتعمير، وبناء الحصون، ووضع الحاميات في مدن الثغور التي كانت بحاجة إلى تعميرها بالسكان والجنود، الأمر الذي حدا بهم إلى توطين فرق من خراسان وغيرها في تلك المدن، إضافة إلى فرق الجنود والمحاربين، فأصبحت مدن الثغور مأهولة بحشود من السكان، تضم السكان المحليين من عرب وفرس وصقالبة ونبط وروم، وعناصر من المجاهدين والمتطوعة، بالإضافة إلى من اتخذ بها دوراً ومنازل ينزلها وقت مشاركتهم في الغزوات ثم يتركونها بعد ذلك[3].

ومما زاد في عدد ساكني مدن الثغور، ورغبة البعض في الانتقال إليها والاستقرار بها، ما كان يصلهم من جرايات وصلات وتبرعات كان يرسلها الخلفاء وزوجاتهم، والموسرين من المسلمين تطوعاً وتبرعاً ورغبة في المساهمة في جهاد العدو، وكثرة الأوقاف الموقوفة عليها من ضياع ومزارع وغلال، ومن عقار كالفنادق والحمامات والدور والخانات، بالإضافة إلى المشاطرة في الوصايا[4].

ونظراً لأن من ينفر للسكن في تلك الثغور يدرك أنه متجهاً إلى ساحة للجهاد والحرب، فقد غلب على العنصر السكاني في المدن الثغرية طابع الجندية (الجند) بوصفها ميدان للجهاد والقتال، فكان الطابع العسكري هو السائد، وخاصة أن جهود الدولة الإسلامية قد انصبت على رفد المدن الثغرية بالمقاتلة المسجلين في الديوان[5]، أو من ينفر إليها من المؤمنين جهاداً في

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان (ص135).

[2] المصدر السابق، ص ص 188-189.

[3] الاصطخري، المسالك (ص ص 60-64)، ابن حوقل، صورة الأرض (ج1/ص ص 180-183).

[4] ابن حوقل، صورة الأرض (ج1/ص ص183-184).

[5] ظهرت فكرته في عهد عمر بن الخطاب عندما فكر في التجنيد الإلزامي الموقوف للجهاد، فدوَّن الديوان ورتب للمسلمين أرزاقهم السنوية، واقترنت نشأته بنشأة التجنيد النظامي الرسمي، وحددت للجنود النظاميين عطاياهم ورواتبهم من بيت المال. الصلابي، تيسير الكريم (ص 211).

سبيل الله، و دفاعاً عن حدود دار الإسلام، وكسباً لأجر الرباط والعبادة في تلك الديار ذات القيمة الجغرافية والدينية على حد سواء.

فنجد أن المتطوعة قد شكلوا أهم عنصر من عناصر سكان الثغور، بحيث صبغوا النظام الثغري الإسلامي بطابع ديني خاص، إضافة إلى الطابع الحربي الجهادي، وذلك لأنهم كانوا يبرزون بوجودهم فكرة خاصة، هي فكرة العبادة والرباط والجهاد والاستعداد لملاقاة العدو في أي لحظة، ويشيعون في المدن الثغرية جواً خاصاً لا يمكن توافره من دونهم[1].

ولقد حرص خلفاء بني العباس على تعزيز التواجد العسكري في الثغور والحفاظ على طابعها العسكري، منذ اللحظة الأولى التي تأسست فيها خلافتهم، وخير مثال على ذلك ما قام به الخليفة أبو العباس بزيادة قوات المصيصة بأربعمائة مقاتل[2]، وفي عهد المنصور تم إسكان حوالي أربعة آلاف مقاتل ثغر ملطية من أهل الجزيرة، وزاد كل مقاتل عشرة دنانير، وأقطع الجند المزارع[3]، وقد أمر الخليفة هارون الرشيد ببناء مدينة عين زربة، وتحصينها؛ ليسكنها المرابطين لتعينهم على المرابطة[4].[5]

كما وغلب على أهل الثغور أنهم من فئة الشباب، لقدرتهم على حمل السلاح والغزو وصد عاديات الروم، حيث وُصف أهل المصيصة بأنهم فتيان فرسان ظرفاء شجعان[6]، وأهل طرسوس بأنهم مقاتلون شجعان[7]، وأهل الهارونية بأنهم مجاهدون في غاية الشطارة والجلد وكذلك أهل حصن التينات بأنهم رجال أجلاد في القتال لهم علم بمواضع الخلل في بلد الروم ومهالكهم[8]، هذا بالإضافة إلى من انقطع من كبار السن للعبادة والرباط طلباً للأجر والثواب وحماية ثغور الدولة الإسلامية.

---

(1) المصري، طرطوس (ص 112).

(2) البلاذري، فتوح البلدان (ص166).

(3) المصدر السابق، ص187.

(4) المصدر نفسه، ص171.

(5) للمزيد انظر الفصل الثالث من الرسالة.

(6) المهلبي، المسالك والممالك (ص104).

(7) مجهول، حدود العالم (ص186).

(8) ابن حوقل، صورة الأرض (ج182/1).

ويذكر المهلبي بعضاً من مكونات المجتمع في المدن الثغرية، فتحدث عن أهل طرسوس، ثم استدرك بأن ما يجري عليها من الوصف يجري على بقية مدن الثغور حيث يقول:" بأنهم من سائر أقطار الأرض بحسن خلقة وألوان صافية، وفيهم رقيق وأجسام عبلة، والأغلب على ألوانهم البياض والحمرة والسمرة الصافية، وكان في أكثرهم جفاءاً وغلظة على الغريب، إلا من كان منهم قريب عهد بالغربة، وكذلك الشح كان فيهم فاشياً إلا في الغريب، وغلب على السوقة والمستخدمين قوم من الخوز وسفلة العجم، ومن كانت فيهم فسولة عن الحرفة، وكسل في طلب المعاش فأظهروا زهداً وورعاً، وأعلنوا بالنصب، فأما أهل البلد وأولاد المجاهدين وأولاد الغلمان وأولاد خراسان فكانوا من الأخلاق السمحة والنفوس الكريمة والهمم العالية والمحبة للغريب على ما ليس عليه أحد، ولكنهم كانوا في تقية مما عليه هؤلاء الأوباش"[1].

**ثانياً: أعراق السكان في المدن الثغرية**

تكونت التركيبة الاجتماعية والبشرية في مناطق الثغور من عناصر متعددة ومتنوعة، شكلت خليطاً من الأعراق والأمم والأصول، نتيجة للعامل الطبيعي الذي يقوم على الامتداد والتنوع الجغرافي الكبير للثغور، سواء كانت برية أو بحرية، والعامل البشري الذي لعب دوراً مهماً والذي تمثل في التحولات السياسية الكبيرة التي عاصرتها المنطقة على مدى عدة قرون.

فقد روى البلاذري عن هشام بن الليث عن أشياخه أنهم قالوا: "نزلنا صور والسواحل وبها جند من العرب وخلق من الروم، ثم نزع إلينا أهل بلدان شتى فنزلوها معنا وكذلك جميع سواحل الشام"[2].

لذلك غلب على وصف مدن الثغور بأنها أهلها أخلاط وأعراق متنوعة من الناس، وتكونت من سكان محليين، وأقوام وفدت عليها في هجرات سواءً خلال الفتوحات الإسلامية أو بعدها، وسنتطرق فيما يلي لأهم الأعراق التي ينتمي إليها سكان المدن الثغرية في تلك الفترة، وهي كالتالي:

**أ- العرب (القبائل العربية)**

ارتبط الوجود العربي ببلاد الشام وتخومها منذ قديم الأزمنة، وتوالت الهجرات حتى أصبح الغالبية العظمى لسكان الشام من العرب الذين ثبتوا فيها لغتهم وخصائصهم، ويُعزي ذلك إلى أن

---

[1] المسالك والممالك (ص98)

[2] البلاذري، فتوح البلدان (ص120).

بلاد الشام إلى أطراف جبال لبنان في طبيعة أراضيها تتشابه مع بلاد الجزيرة العربية، بالإضافة إلى عدم وجود حدود طبيعية تفصل بين بلاد الشام والجزيرة فكانت المنطقتين كأنها وحدة جغرافية واحدة[1]، وأيضاً كون بعض ثغور الشام وتحديداً البحرية منها وجهة لأهل الجزيرة لأنهم كانوا يعتبرونها معبراً للهجرات البشرية العربية النازحة من جزيرة العرب إلى بلاد الشام أو شمال أفريقيا والأندلس[2].

ومن أبرز وأول القبائل العربية التي استقرت في بلاد الشام قبل الإسلام هي قبائل الضجاعم وسليح[3]، ولما جاء الإسلام كانت أبرز القبائل العربية التي تقطن بلاد الشام وتخومها هي لخم وجذام في فلسطين، وبلقين وعاملة وبلي وبعض عشائر قضاعة في أطراف فلسطين، وغسان في منطقة الجولان، وكلب في بادية الشام وأطراف دمشق، وتنوخ بين حماة وحلب، وتغلب في وادي الفرات والخابور، وإياد بين تكريت وسنجار شمال العراق، وبكر التي كانت تسكن أطراف غرب العراق بفروعها عجل قرب الحيرة وسيبان بين الحيرة والآيلة[4].

ولما بدأت الفتوحات الإسلامية واكبتها هجرات لجماعات عربية مسلمة، اتخذت من الشام وساحله موطناً، وصار ذلك نهجاً للمسلمين في منطقة الجزيرة العربية، وقد كان للدافع الاستراتيجي دوره الهام في السياسة التي اتبعتها الخلافة الإسلامية في توطين القبائل العربية في كل مدن وثغور الشام الساحلية وذلك لدرء خطر الروم من البحر، ومن الملاحظ أن معظم تلك المدن الساحلية قد دمرت أثناء عمليات الفتح، فكانت شبه مهجورة مما سهل عملية توطين العرب المسلمين الفاتحين فيها[5].

وعندما بدأت عملية تحصين الثغور وجد السكان المحليون لمدن الثغور تعاملاً يتناسب مع مرحلة التحصين، ففي حالات عديدة قام المسلمون بعمليات ترحيل للسكان الأصليين من مناطق الثغور التي فتحوها، وأعادوا توطينهم في أقاليم أخرى في قلب الدولة الإسلامية، وقد كان الاعتماد في أول الأمر على العرب المقيمين والقادمين في تعمير المراكز المهمة في مناطق الثغور، وعلي سبيل المثال فقد قام القائد الإسلامي أبو عبيدة بن الجراح بإرسال جماعات من

---

(1) العلي، امتداد العرب (ص14).

(2) أبو رحمة، الحياة العلمية (ص65).

(3) المرجع السابق، ص 65.

(4) العلي، امتداد العرب (ص15).

(5) أبو رحمة، الحياة العلمية (ص65).

المقاتلة إلى ثغر بالس، بالإضافة إلى قيامه بإسكانها قوماً من عرب الشام الذين أسلموا بعد أن دخل الإسلام لبلاد الشام[1].

وكذلك فعل القائد عياض بن غنم عندما فتح سنجار، حيث أسكنها قوماً من العرب[2]، ولما ولي الخليفة عمر بن الخطاب كان بنو تغلب من أبرز قبائل العرب الذين يقيمون بمنطقة الخابور في الجزيرة وكانوا يدينون بالنصرانية[3]، فلما فتحها المسلمون أراد بنو تغلب اللحاق بالروم وقطعوا نهر الفرات، إلا أن الخليفة عمر بن الخطاب صالحهم على ألا يجبروا أحداً من أبنائهم على اعتناق النصرانية، وأن عليهم ضعف ما على المسلمين من الزكاة[4].

وفي عهد الخليفة عثمان أمر معاوية واليه على الشام والجزيرة أن يُنزل العرب بمواضع نائية عن المدن والقرى، ويأذن لهم في اعتمال الأرضين التي لا حق فيها لأحد، فأنزل أقواماً من تميم وأخلاطاً من قيس وأسد وغيرهم في مناطق الجزيرة الفراتية، وفعل ذلك في جميع نواحي ديار مضر، ورتب ربيعة في ديارها على ذلك، وألزم المدن والقرى من يقوم بحفظها ويذب عنها[5].

وفي العصر العباسي الأول زاد التواجد العربي في بلاد الثغور حيث تم إعمار الثغور وإسكان الناس بها، ومن ضمنهم جماعات كثيرة من العرب، حتى غلب الطابع العربي على كثير من تلك الثغور، فطرسوس كان يسكنها أقوام من قبيلة كندة[6]، بالإضافة إلى من انتقل إليها من عرب خلال عهود كل من المهدي والرشيد والمأمون بعد إعادة السيطرة عليها من الروم[7]، وملطية سكنها بنو حبيب وقبيلتي قيس وأسد[8]، وأما اللاذقية فقد كان أهلها قوم من يمن من سليح وزبيد وهمدان ويحصب وغيرهم[9]، وجبلة أهلها من همدان وبها قوم من قيس ومن إياد[1]، وعرقة يغلب على أهلها قوم من قبيلة ربيعة من بني حبيب[2].

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان (ص151).

(2) البلاذري، فتوح البلدان (ص178).

(3) الخابور: ولاية واسعة، سميت نسبة إلى نهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة. ياقوت، معجم البلدان (ج383/1).

(4) ابن سلام، الأموال (ص650).

(5) ياقوت، معجم البلدان (ج40/5)، البلاذري، فتوح البلدان (ص178).

(6) كرد علي، خطط الشام (ج27/1).

(7) ابن الوردي، تاريخ (ج194/1)، ابن خلدون، تاريخ (ج320/3)، المصري، طرسوس (ص109).

(8) البلاذري، فتوح البلدان (ص178)، رستم، الروم وصلاتهم (ص30).

(9) اليعقوبي، البلدان (ص162).

وأما ثغري عسقلان وغزة واللتان تقعان في أقصى جنوب الساحل الشامي، فأهلها كسائر جند فلسطين أخلاط من العرب والعجم ومن لخم وجذام وعاملة وكندة وقيس وكنانة، وإن كان يغلب على سكانهما أنهم من قبيلة قيس[3].

**ب- الفرس**

يعود وجود الفرس في شمال بلاد الشام وسواحلها حيث تقع الثغور إلى عهد الفتوحات الإسلامية، فقد ساهم الفرس الذين جاؤوا من خراسان مع غيرهم من العناصر غير العربية في عملية الفتح، وعندما تولى معاوية بن أبي سفيان الخلافة، قام بنقل جماعة منهم من أهل بعلبك وحمص إلى أنطاكية[4]، لحماية السواحل وسد الفراغ فيها، فتكاثروا فيها وتناسلوا وأصبح عددهم بها كبيراً، وأصبح أغلب سكان أنطاكية من الفرس[5]، ينسحب ذلك على طرابلس أيضاً حيث أن أهلها هم أقوام من الفرس كان قد نقلهم إليها معاوية بن أبي سفيان في فترة حكمه[6].

وكذلك بيروت والتي كانت محط اهتمام الأمويين حيث أُرسل إليها الناس، وأغلبهم من الفرس لسكناها وإعمارها وللدفاع عنها، بعد أن سيطر الروم على ساحل الشام لمدة عامين بعد فتحه، لذلك كان أكثر سكانها من الفرس[7].

وفي العصر العباسي ونظراً لاعتماد الدولة على العنصر الفارسي سُميت بالدولة الأعجمية، حيث كثر وجودهم في أقاليم الدولة وشغلوا كثيراً من الوظائف، ولما تم إعمار المدن الثغرية جرى إنزال الجنود والخرسانيين فيها، ونقل المنصور أعداداً الفرس إلى مدينة المصيصة حينما بناها وأعطاهم فيها خططاً عوضاً عن منازلهم وأعانهم على البناء[8]، وكثر وجود الفرس في كل من بالس ومنبج[9]، كما كان لهم وجود كبير في كل من جبيل وصيدا وبيروت وعرقة[10].

---

(1) المصدر السابق، ص 162.

(2) المصدر نفسه ، ص 167

(3) اليعقوبي، البلدان (ص167).

(4) البلاذري، فتوح البلدان (ص153)، ابن العديم، بغية الطلب (ج90/1).

(5) المهلبي، الكتاب المسالك والممالك (ص65).

(6) كرد علي، خطط الشام (ج27/1).

(7) ياقوت، معجم البلدان (ج525/1).

(8) ابن العديم، بغية الطلب (ج157/1).

(9) ابن العديم، بغية الطلب (ج107/1)، ياقوت، معجم البلدان (ج328/1).

(10) اليعقوبي، البلدان (ص167).

وفي عهد الرشيد تمت أوسع عملية إسكان للفرس في المدن الثغرية بعد بناء طرسوس، حين توجه أبو سليم فرج بن سليم المكلف بإعمار المدينة إلى بغداد، وندب إليها ندبتين الأولى ثلاثة آلاف من أهل خراسان، والثانية ألفين من أهل المصيصة، وألف من أهل أنطاكية وزاد في عطائهم، وأقطعهم الخطط[1]، فأصبحت المدينة تحوي أخلاطاً كثيرة ومتعددة من السكان من شتى البلدان[2]، ولما أمر الرشيد ببناء عين زربة، ندب إليها ندبة من أهل خرسان وغيرهم فأقطعهم بها المنازل[3]، وعندما تولى أبو سليم بناء أذنة أيضاً، ندب إليها رجالاً من أهل خراسان وغيرهم على زيادة في العطاء[4]، وهكذا غلب على المدن الثغرية كثرة وجود أولاد خراسان (الفرس) بها بالإضافة إلى أهل البلد وأولاد المجاهدين وأولاد الغلمان[5].

**ت- الزط**

يُعد الزط من شعوب البنجاب وأصلهم هنود من بلاد السند شمال غرب الهند[6]، وهم جيل أسود وإليهم تُنسب الثياب الزطية[7]، وكانوا قد نزحوا إلى بلاد فارس في عصور ما قبل الإسلام، وعندما فتح المسلمون تلك البلاد جاءوا إلى بلاد العرب وانتشروا فيها، واستقروا في سواحل ومدن الخليج العربي وفي اليمن وسواحل شرق إفريقيا[8].

كما وانتشر الزط في العراق وتركز انتشارهم من أطراف المنصورة إلى مكران في جنوب العراق[9]، ونظراً لطبيعة البيئة والظروف المحيطة بهم فقد درجوا على حياة الرعي وقطع الطرق والقرصنة في البحار، كما عملوا جنوداً مرتزقة[10].

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان (ص170).

(2) ابن العديم، بغية الطلب (ج178/1).

(3) ياقوت، معجم البلدان (ج177/4).

(4) البلاذري، فتوح البلدان (ص169)، ابن العديم، بغية الطلب (ج170/1).

(5) المهلبي، الكتاب المسالك والممالك (ص 98)، ابن العديم، بغية الطلب (ج186/1).

(6) البلاذري، فتوح البلدان (ص162).

(7) ابن منظور، لسان العرب (ج308/7).

(8) أكبر، الزط وموقعهم في التاريخ الإسلامي (ص ص 128-132).

(9) ابن خرداذبة، المسالك والممالك (ص 56).

(10) أكبر، الزط وموقعهم في التاريخ الإسلامي (ص ص 128-132).

وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب دخل الزط المقيمين في بلاد فارس وكثير من الهنود السيابجة[1] في الإسلام، وانخرطوا بعد إسلامهم في حياة المسلمين، ولعبوا دوراً مهما في الحياة السياسية والاقتصادية والعسكرية في الدولة الإسلامية[2].

ويرجع ارتباط الزط بمناطق الثغور إلى بداية العهد الأموي عندما تولى معاوية بن أبي سفيان مقاليد الحكم، حيث قام بنقل قوم من الزط والسيابجة إلى سواحل الشام وثغورها لإمداد الحاميات العسكرية على الحدود البيزنطية، وللاستفادة من مهاراتهم في بناء السفن الحربية ولتعمير تلك المدن وتأهيلها بالسكان[3]، كما قام الحجاج وعلى إثر تمردهم وقيامهم بقطع الطرق وأعمال السلب والنهب وعصيان السلطة، احتجاجاً على سوء أوضاعهم الاجتماعية في العراق، بهدم بيوتهم، وبعث بعضاً منهم إلى الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، ليرسلهم إلى منطقة الثغور بين أنطاكية والمصيصة، للخلاص منهم من جهة، ومن جهة أخرى ليستكثر بهم أهل الثغور[4].

وفي العهد العباسي الأول تمت أكبر عملية إجلاء لهم على يد المعتصم، وذلك بعد أن غلبوا على البطائح[5] وعاثوا فيها فساداً ونهبوا الغلات من البيادر في نواحي البصرة، فقرر المعتصم التصدي لهم وإنهاء أمرهم[6]، فأرسل إليهم القائد عجيف بن عنبسة سنة 219هـ/834م وحاصرهم وضيق عليهم منافذ الأنهار حتى استسلموا، وقام بنقلهم في السفن إلى بغداد وكان عددهم يقارب الثلاثين ألفاً، ثم أمر بنقلهم بعد ذلك إلى مناطق الثغور وإلى عين زربة تحديداً[7]، وهناك اندمجوا مع أهلها وانتفع الناس بهم كثيراً[8]، وبقوا هناك حتى أغارت الروم على عين زربة وأسرت من كان بها من الزط نساءاً وأطفالاً وبهائم، وكان آخر العهد بهم فيها[9].

---

[1] هم قوم من الهند، يقاتلون مقابل المال، انتشروا على سواحل الخليج العربي قبل الاسلام، استخدمهم الخلفاء للعمل في السجون وحماية بيت المال، وكثيرا ما يذكرون مع الزط. البلاذري، فتوح (ص365).

[2] البلاذري، فتوح البلدان (ص362).

[3] المصدر السابق، ص162.

[4] المصدر نفسه، ص166، قدامة، الخراج (ص309)، ابن العديم، بغية الطلب (ج91/1).

[5] هي أرض واسعة بين واسط والبصرة، وكانت قديما قرى متّصلة وأرضاً عامرة. ياقوت، معجم (ج450/1).

[6] البلاذري، فتوح البلدان (ص172).

[7] ابن خياط، تاريخ (ص476)، الطبري، تاريخ (ج8/9)، ابن الأثير، الكامل (ج444/6).

[8] البلاذري، فتوح البلدان (ص176)، المسعودي، التنبيه (ص355)، ياقوت، معجم (ج178/4).

[9] الطبري، تاريخ (ج201/9).

**ث- الجراجمة**

وهم قوم يدينون بالنصرانية وكان يُطلق عليهم لفظ: "علوج الشام"[1]، وكانوا يسكنون مدينة يُقال لها الجرجومة[2] على جبل اللكام[3]، ويُعد الجراجمة أحد العناصر السكانية التي كان لها دور مهم في مدن الثغور، وقد كانوا وقت سيطرة الروم على الشام تابعين لبطريق أنطاكية وواليها[4].

وعندما فتح القائد المسلم أبو عبيدة مدينة أنطاكية سنة 17هـ/638م، لزم الجراجمة مدينتهم، وهموا باللحاق بالروم خوفاً على أنفسهم، ولما نقض أهل أنطاكية العهد، وجه إليهم أبو عبيدة جيشاً بقيادة حبيب بن مسلمة الفهري لفتحها مرة ثانية، فغزا الجرجومة فلم يقاتله أهلها، ولكنهم طلبوا الأمان والصلح، فصالحوه على أن يكونوا أعواناً للمسلمين وعيوناً لهم في جبل اللكام، وألا يؤخذوا بالجزية، وأن تكون لهم غنائم من يقتلون من أعداء المسلمين إذا حاربوا معهم[5].

وبحكم متاخمة الجراجمة للحدود البيزنطية، فقد كانوا مرة يستقيمون للولاة المسلمين، ومرة أخرى يتعاونون مع الروم الذين كانوا يغدقون المنح المالية عليهم[6]، بدليل أنهم ساعدوا الروم في غزو لبنان سنة70هـ/689م، وقد استطاع عبد الملك بن مروان بالوسائل الدبلوماسية وبالاتفاق مع الروم من نقلهم إلى الأقاليم الداخلية، فتفرقوا بقرى حمص ودمشق ومنهم من عاد إلى بلدته بجبل اللكام، بالإضافة إلى من ذهب مع الروم وسكنوا عندهم وكان عددهم إثنا عشر ألفاً[7].

وفي سنة 89هـ/707م اجتمع الجراجمة إلى مدينتهم، فبعث إليهم الخليفة الوليد بن عبد الملك من فتح مدينتهم وخربها، وأباح لهم أن ينزلوا حيث أحبوا من بلاد الشام فذهبوا إلى حمص وأنطاكية[8]، وعقد معهم صلحاً على ألا يكرهوا أولادهم ونساءهم على ترك النصرانية، وأن يلبسوا

---

[1] ابن الفقيه، البلدان (ص93).

[2] مدينة على جبل اللكام بالثغر الشامي فيما ما بين بياس وبوقا قرب أنطاكية. ياقوت، معجم (ج123/2).

[3] البلاذري، فتوح البلدان (ص159)، الذهبي، تاريخ الإسلام (23/6).

[4] ابن العديم، بغية الطلب (ج231/1)

[5] البلاذري، فتوح البلدان (ص ص163-164)، ياقوت، معجم البلدان (ج123/2).

[6] البلاذري، فتوح البلدان (ص160)، ابن الأثير، الكامل (ج326/2).

[7] البلاذري، فتوح البلدان (ص160).

[8] المصدر السابق، ص 160.

لباس المسلمين، ولا يؤخذ منهم جزية، وعلى أن يؤخذ من تجارتهم وأموال موسريهم ما يؤخذ من أموال المسلمين، واشترط عليهم أن يغزوا مع المسلمين في أوقات الحروب[1].

وفي العهد العباسي كما العهد الأموي كانت تتم الاستعانة بالجراجمة في مواطن كثيرة، وكان يُعرف منهم المناصحة، وقد كانت تجرى عليهم الجرايات[2]، وقد كان بعض عمال بني العباس قد ألزم الجراجمة بدفع الجزية، فرفعوا ذلك إلى الخليفة الواثق بالله، فأمر بإسقاطها عنهم، وفي عهد الخليفة المتوكل أمر بأخذ الجزية منهم، وأن يجري عليهم الأرزاق إذ كانوا ممن يُستعان بهم في المسالح وغير ذلك[3].

**ثالثاً: ديانات السكان في المدن الثغرية**

نظراً للتنوع العرقي الذي كان يغلب في الأساس على مناطق الثغور، وسياسة إسكان الثغور بالأخلاط المتنوعة من الناس، والتي مارسها خلفاء المسلمين في العصور السابقة، فقد أدى ذلك إلى تنوع في الديانات والعقائد، فبالإضافة إلى الديانة الإسلامية والتي كانت ديانة أغلب من سكن الثغور بعد الفتوحات، وكانت الديانة النصرانية هي الديانة الأبرز لمن كان يقطن تلك الثغور قبل دخول الإسلام إليها، يُضاف إلى ذلك بعض الأقوام من عبدة الأوثان أو اليهود والذين اندثروا بعد ذلك، وفيما يلي سنتطرق لأبرز الأديان والتي كانت سائدة في مناطق الثغور في العصر العباسي الأول:

**أ- الإسلام:**

شكل المسلمون الغالبية العظمى من سكان الثغور، ويرجع ذلك إلى الهجرات المتلاحقة سواءً على شكل جماعات أو أفراد نحو مناطق الثغور، حيث كانت الثغور قبلة للمجاهدين والمرابطين والمحاربين من شتى أقطار الدولة الاسلامية، والذين كانوا يتجهون إليها من خلال حركة الصوائف والشواتي لمحاربة الروم تطوعاً أو ارتزاقاً، وينتهي بهم المقام في تلك المناطق، هذا بالإضافة إلى دخول عدد من قبائل الشام المتنصرة في الإسلام، والتي شاركت إلى جانب

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان (ص161).

[2] ياقوت، معجم البلدان (ج2/123).

[3] ابن العديم، بغية الطلب (ج1/233).

المسلمين في الفتوح، مثل قبائل جذام وقضاعة ولخم وعاملة وطيء، واستقرت في مناطق الثغور الشامية أو في ثغور الساحل الشامي[1].

وقد ساد في مناطق الثغور في ذلك العصر مذهب الإمام الأوزاعي في الفقه والإفتاء، والذي يستند إلى القرآن الكريم ثم السنة النبوية وأقول الصحابة مع نبذ أهل الرأي والبدع[2]، وجاء من بعده الإمام الفزاري والذي وُصف بأنه صاحب سنة[3]، وقد غلب مذهب أهل السنة على بلاد الشام حتى سمى "مذهب أهل الشام"، وعُد من أكثر المذاهب استقامة وعليه سارت المدن الثغرية كأنطاكية وطرطوس وصيدا وغيرها[4].

وفي نفس الوقت لم يجد مذهب التشيع قبولاً عند أهل الشام، حيث ساد بينهم تيار النصب والمعاداة لعلي بن أبي طالب، نظراً لولاء أهل الشام لمعاوية بن أبي سفيان وللأمويين بشكل عام، وبقي الحال كذلك حتى مطلع القرن الرابع الهجري[5].

**ب- النصرانية:**

ارتبط وجود الديانة النصرانية في بلاد الشام بوجود القبائل التي كانت تقطنها، والذين كان يطلق عليهم العرب المتنصرة، فعرب الشام كان أغلبهم نصارى، وكانت العقيدة التي يعتنقوها أقرب إلى الإسلام، حيث كانوا يعتنقون المسيحية على المذهب اليعقوبى[6] والذي ينادي بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح عليه السلام ويطلق عليها العقيدة الأرثوذكسية[7]، وقد انتشر المذهب اليعقوبي في شرق الإمبراطورية البيزنطية حيث تقع الثغور، بينما ساد في غربها مذهب الكاثوليكية الأساسية والقائل بأن السيد المسيح له طبيعتين، طبيعة ناسوتية وطبيعة لاهوتية، أي أن المسيح مسيحان أحدهما ابن الإنسان والآخر ابن الله[8].

---

(1) الرواضية، جند قنسرين (ص ص 164-165).

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام (ج7/ ص ص56-57)

(3) ابن عساكر، تاريخ (ج52/152).

(4) المهلبي، المسالك والممالك (ص65).

(5) الرواضية، جند قنسرين (ص168).

(6) نسبة إلى القديس يعقوب البرادعي بطريرك أنطاكية، والذي اشتهر بالدفاع عن أصحاب الإيمان بالطبيعة الواحدة حيث تسموا باسمه، واتسم بحبه الشديد للعبادة والزهد، فكان لا يلبس سوى خرق البرادع فسمي البرادعي (أو البردعي)، ويلقب بـ"يعقوب الزنزلي" أيضًا. قاموس المصطلحات الكنسية http://st-takla.org/).

(7) مهران، دراسات في تاريخ العرب القديم (ص512).

(8) ديورانت، قصة الحضارة (ج14/352).

وقد كان عرب بلاد الشام في أغلبهم من معتنقي المذهب اليعقوبى، وخاصة أمراء الغساسنة الذين تعصبوا له، ودافعوا عنه في وجه بطارقة القسطنطينية الذين كانوا يكرهون هذا المذهب ويعتبرونه نوعاً من الهرطقة الدينية[1]، ولهذا كانت النصرانية ذات وجود بارز في مناطق الثغور حيث انتشرت أديرتهم[2] في كثير من الثغور، وقد وافق ذلك رغبة الدولة الإسلامية في أن يبقى معتنقيها في مناطق الثغور لعمارتها من جهة، ولدفع الروم الكاثوليك عنها من جهة أخرى، فقد قام الخليفة مروان بن محمد بإسكان أقوام من النصارى شرقي نهر جيحان[3]، كما وكثر وجودهم في كل من سميساط ومرعش والمصيصة[4]، وكذلك في ملطية والتي كانوا نزلوها بعد أن هجرها أهلها ورحلوا عنها بعد أن أخربها الروم[5].

ويلحق بالنصارى في بلاد الثغور مجموعة من الأقوام، أبرزهم:

1- الأرمن والذين هم في الأساس نصارى من سكان بلاد أرمينية إلى الشمال من الجزيرة، نزلوا إلى ملطية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان واستقروا بها[6]، وتوثقت علاقتهم بالمسلمين بعد أن جمعهم بالمسلمين العداء للروم إثر مهاجمة الروم لهم سنة 95هـ/714م، لاختلافهم معهم في العقيدة النصرانية حيث كان الأرمن يعتنقون الأرثوذكسية والروم الكاثوليكية[7].

وفي العصر الأموي ساعد الأرمن المسلمين في حروبهم مع الروم، وعملوا معهم كأدلاء للصوائف والحملات العسكرية التي كانت تخرج لغزو بلاد الروم والتي لم تكن تتوقف ووصلت لعدة مرات إلى حدود القسطنطينية إلا أنها لم تستطع فتحها[8].

وفي العصر العباسي ساءت العلاقة بين المسلمين والأرمن، بعد أن رفض الخليفة المنصور خروجهم من بعض حصون الجزيرة إلى الحصون الموجودة بثغور الشام والجزيرة، فأصروا على

---

[1] علي، المفصل في تاريخ العرب (ج168/12).

[2] مفردها دير، وهي الأماكن التي يتعبد بها الرهبان وتختلف باختلاف مواضعها، فمنها ما بني على قمم الجبال ومنها ما بني على ضفاف الأنهار ومنها من اقترن بالمدن والأرياف، ومنها من انفرد في البراري والقفار، وكانت أيضاً مكاناً للتعليم والتبادل الأدبي. ياقوت، معجم البلدان(ج495/2)، الطائي، أنطاكية (ص17).

[3] قدامة، الخراج (ص 308).

[4] ابن العبري، تاريخ الزمان (ص9)، ابن عساكر، تاريخ (ج132/7).

[5] البلاذري، فتوح (ص189)، الحميري، الروض المعطار (ص545).

[6] البلاذري، فتوح البلدان، ص 189، الحميري، المرجع السابق (ص545).

[7] البلاذري، فتوح البلدان، ص185، الرواضية، جند قنسرين (ص174).

[8] الطرطوسي، سير الثغور (ص37)، ابن العديم، بغية الطلب (ج181/1).

الخروج وخرجوا، فقام عامل المنصور على مدينة كمخ بتجهيز حملة وطاردهم، وتمكن من القبض عليهم إلا أنهم نجوا من القتل بالحيلة والدهاء[1].

2- الموارنة وهم طائفة من النصارى أيضاً، يُنسبون إلى القديس مارون الذي ظهر في جهات أفامية[2] في أواخر القرن الرابع الميلادي، وقد تواجد أكثر الموارنة في بلاد حمص وجبل لبنان، وكانوا متمسكين بمذهب الطبيعتين المقر في مجمع خلقدونية سنة 451م، والذي اعتبر أن القائلين بالطبيعة الواحدة هراطقة، وقرر وجوب تعذيبهم[3]، مما جعلهم مقربين إلى اللاتين بعكس الأقباط والأرثوذكس[4]، وكانوا يتوزعون في أماكن عدة من الشام، وكانت لهم مجموعة من الأديرة في مناطق الثغور شمال الشام، وتواجدوا أيضاً في قورس وأنطاكية ومنبج، التي شيدوا بها كنيسة لهم في عهد الخليفة مروان بن محمد، كما تواجدوا في مناطق لبنان وبعض ثغوره البحرية[5].

وهكذا شكلت العناصر السكانية المختلفة في مناطق الثغور مجتمعاً متميزاً تمثلت فيه مختلف أجناس الناس وألوانهم وعقائدهم، وبالرغم من هذا التنوع العرقي والديني فقد حاول الخلفاء العباسيون في ذلك العصر العمل على دمج تلك القوميات والأديان في نسيج المجتمع الإسلامي، ونشر ثقافة التسامح الديني بحيث لا تنعزل أي جماعة عن باقي مكونات المجتمع بسبب معتقدها الديني، والعمل على تلافي الطائفية والعرقية التي كانت تتلون بها تلك القوميات للحفاظ على عروبة وإسلامية تلك المناطق، ما خلق حالة من المودة والمحبة أدت إلى تمازج حضاري وفكري مميز، وإلى تأثر بعض الطوائف بالطوائف الأخرى، حتى وصل الأمر إلى مشاركة بعضهم البعض في الاحتفالات والأعياد[6].

---

(1) ابن الأثير، الكامل (ج5/37)، الرواضية، جند قنسرين (ص 174).

(2) مدينة حصينة من سواحل الشام، من كور حمص، بناها سلوقوس بعد موت الإسكندر بسنوات، وهي على نشز من الأرض، لها بحيرة حلوة يشقها النهر. المهلبي، المسالك والممالك (ص64)، ياقوت معجم (ج1/227).

(3) غلوش، السيرة النبوية (ص67).

(4) محمود، المماليك البحرية (ص128).

(5) المسعودي، التنبيه (ص153)، الرواضية، جند قنسرين (ص172).

(6) الرقب، أثر الفتن (ص202).

**المبحث الثاني: الأحوال الاقتصادية**

تميزت مناطق الثغور بمكانة اقتصادية مهمة، وذلك بسبب خصوبة التربة التي توجد بها وكذلك وفرة المياه والتنوع التضاريسي والمناخي، بالإضافة إلى توفر الكثير من المواد الخام اللازمة للصناعة سواء من المنتجات الزراعية أو من الطبيعة، وأيضاً الموقع المميز لتلك الثغور والذي يجعل منها ملتقى تجاري يربط ما بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، وتحكمها في السواحل الشرقية للبحر المتوسط الذي كان يعج بالتجارات في ذلك الوقت وكل وقت، وفيما يلي أبرز مجالات الحياة الاقتصادية التي تميزت بها الثغور:

**أولاً: الزراعة**

وهي من أشهر الحرف التي زاولها السكان في مناطق الثغور؛ لأن معظم أراضيها كانت تمتاز بخصوبة عالية في التربة ووفرة المياه، بحيث انعكست الجغرافية الطبيعية لبلاد الثغور بما فيها من تضاريس ومناخ ومياه وخصوبة، على تنوع الحياة الزراعية في تلك الثغور، ما دعا أحد الجغرافيين إلى وصفها بأنها نزهة عامرة[1]، ويقول ابن شداد معلقاً على رخاء الحياة الاقتصادية في بلاد الشام عموماً وفلسطين خاصة :"إذا كانت الدنيا في بلاء وقحط، كانت الشام في رخاء وعافية، وإذا كانت الشام في بلاء وقحط كانت فلسطين في رخاء وعافية"[2].

واشتهر عن مدن الثغور أنها وافرة المزروعات والبساتين ويرجع ذلك لطبيعة المناخ ووفرة المياه وخصوبة التربة وإشرافها على جبل اللكام الذي وصف بأنه أعمر جبال الشام وأكثرها ثماراً[3]، وقد وصفه المقدسي: "بأن كل ما علا منه نحو الروم كان أكثر أنهاراً وثماراً"[4].

**أ- حالة الزراعة في مدن الثغور**

لقد اشتهرت مدينة أنطاكية بكثرة بساتينها المحتفة بالأنهار[5]، وتحيط بها ضياع ونواحي وقرى خصبة جداً، حتى وصفت بأنها تأتي بعد دمشق في النزاهة سواءً من داخلها أو خارجها[1].

---

[1] مجهول، حدود العالم (ص175).

[2] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة (ص94).

[3] المقدسي، أحسن التقاسيم (ص ص 188-190).

[4] المصدر السابق، (ص ص 188-190).

[5] المهلبي، المسالك والممالك (ص65).

وكذلك مدينة منبج وبالرغم من أنها برية وتعتمد في غالبها على مياه الأمطار، إلا أن أرضها خصبة[2]، ويحفها من غربها وشرقها بساتين ملتفة الأشجار مختلفة الثمار[3]، حيث تُحمل ثمارها إلى البلدان المجاورة[4]، وقد أُعجب بها الخليفة هارون الرشيد واستهوته المدينة وبساتينها[5]، وتنتشر البساتين أيضاً في مدينة بالس فيما بينها وبين الفرات[6].

ويعد جبل دلوك من أحسن البلاد وأنزهها[7]، وتحيط به المياه والبساتين الكثيرة العامرة بالفواكه والكروم[8]، كما واشتهرت مدينة سميساط بأنها كثيرة المزارع والتي تُسقى من نهر الفرات[9]، وكذلك مدينة كيسوم والتي سميت بذلك نسبة إلى كثرة الأعشاب والحشائش[10]، ويجاورها من الشمال حصن منصور وما يتبعه من قرى وضياع، والذي اشتهر بالخصب وكثرة الغلال والزروع التي تُسقى من مياه الأمطار[11].

وامتاز ثغرا المصيصة وكفربيا بأن لهما بساتين وزروع متصلة تُسقى من نهر جيحان[12]، ويأتي ثغر أذنة إلى الغرب منها والتي اشتهرت أرضه بأنها خصبة عامرة[13]، حسنة المحل في كل أصل وفصل[14]، كما واشتهرت مدينتي مرعش والحدث بأنهما ذات فواكه وزروع وأشجار

---

(1) الاصطخري، المسالك (ص62).

(2) المصدر السابق، ص 62، ابن الجوزي، تقويم البلدان (ص271).

(3) الحميري، الروض المعطار (ص547).

(4) الإصطخري، المسالك (ص62).

(5) ابن العديم، بغية الطلب (ج109/1).

(6) ابن حوقل، صورة الأرض (ج180/1)، ابن العديم، بغية (ج271/1).

(7) ياقوت، معجم البلدان (ج497/4).

(8) اليعقوبي، البلدان (ص163)، ابن العديم، بغية (ج261/1).

(9) الاصطخري، مسالك (ص76)، ابن حوقل، صورة الأرض (ج180/1)، الادريسي، نزهة المشتاق (ج651/2).

(10) ياقوت، معجم (ج516/2).

(11) الاصطخري، المرجع السابق ، ص 62 ، ابن حوقل، المرجع السابق (ج181/1)، الإدريسي، نزهة (ج651/2).

(12) ابن حوقل، صورة الأرض (ج183/1)، ياقوت، معجم (ج145/5).

(13) الاصطخري، المسالك (ص63)، مجهول، حدود العالم (ص175).

(14) ابن حوقل، صورة الأرض (ج183/1).

كثيرة[1]، ومدينة ملطية اشتهرت بأنها ذات أشجار وفواكه وأنهار تسقي بساتينها الكثيرة، وجميع ثمارها مباحة ليس لها صاحب[2].

كما واشتهرت طرسوس على ساحل البحر بسعة بساتينها وكرومها والتي أغلبها مباحة لا مالك لها[3]، وطرسوس تشتمل من العمارة والخصب والغلات والأموال والسعة في جميع الأحوال حتى إنه لا يجاريها في ذلك أي ثغر من ثغور المسلمين[4]، واشتهرت مدينة عرقة الساحلية بأنها عامرة بها بساتين كثيرة وفواكه وعيش أهلها خصيب رغد[5]، وكذلك طرابلس اشتهرت بأن أرضها غورية وبها شجر الزيتون وأنواع الفواكه أكثر من غيرها[6]، وكذلك وُصفت جبيل بأن بها أشجار وفواكه وكروم[7]، كما اشتهرت صيدا بأنها محاطة بالبساتين والفواكه الكثيرة ويحمل منها التين والزبيب والزيت إلى بلاد مصر من كثرته[8]، واشتُهرت عسقلان بأنها في غاية الخصب وكثيرة أشجار الزيتون واللوز والتين والكروم والرمان[9]، كما وصفت غزة بأنها لها فواكه كثيرة أجلها العنب والتين[10].

**ب- أشهر المزروعات**

من أبرز المزروعات التي اشتهرت بها مناطق الثغور الزيتون، والذي كان يُزرع في أغلب مناطق الثغور سواء البرية منها أو البحرية، حيث كانت ثماره من جملة الغلات المتحصلة من الثغور، والتي كانت تمثل غذاءً للمقيمين فيها ويُباع الفائض بحسب سعره في تلك المواسم ويُصرف المتحصل من ثمنه في مهمات الثغور[11]، وقد اشتهرت بلاد الشام بالزيتون حتى قيل

---

[1] الاصطخري، المسالك (ص63)، صورة الأرض (ج182/1)، مجهول، حدود العالم (ص175).

[2] ابن العديم، بغية الطلب (ج252/1)، الاصطخري، المسالك (ص62)، ابن حوقل، صورة (ج181/1).

[3] الاصطخري، المسالك (ص64)، الإدريسي، نزهة المشتاق (ج647/2) ، الحميري، الروض (ص388).

[4] ابن حوقل، صورة الأرض (ج183/1).

[5] الإدريسي، نزهة المشتاق (ج373/1).

[6] الإدريسي، نزهة المشتاق (ج372/1).

[7] المصدر السابق، ص 372.

[8] المصدر نفسه، ص 370.

[9] المصدر نفسه، ص 364.

[10] شهاب الدين، مسالك الأبصار (ج522/3).

[11] الطرطوسي، سير الثغور (ص37)، ابن العديم، بغية الطلب (ج1/ص ص181-182).

أن ريف الدنيا من الزيتون هو من فلسطين إلى قنسرين[1]، وتزداد زراعة الزيتون في مناطق الثغور كلما اتجهنا غرباً وصولاً إلى ثغور ساحل البحر، وخاصة الثغور التي تتبع لجند فلسطين، حيث كان يُضرب بها المثل في زراعة الزيتون، ويقول المهلبي في وصفه لكثرة أشجار الزيتون في غرب حلب بأنها: "مثل فلسطين في كثرة الزيتون، وأن لها ارتفاع جليل من الزيت، يُحمل إلى الرقة ومنها عبر الفرات إلى العراق وينقل من العراق إلى كل بلد"[2]، كما عُرفت طرابلس بزراعته فوصفت بأن بها الكثير من غابات الزيتون، كما أنها محاطة بغابات منه[3].

كما واشتهرت أيضاً ثمرة الجوز والتي كانت تنتشر أشجارها في الثغور، وخاصة في ملطية في أقصى شمال الثغور، وفي الجبال التي تحتف بها وهي مباحة لا مالك لها[4]، وكذلك تنتشر في الجبال المحيطة بسميساط[5]، كما يكثر شجر الجوز بطرسوس حتى أن أحد حصونها سمي " حصن الجوزات" نسبة لكثرة أشجار الجوز فيها[6].

كما وكانت تُزرع نبتة الفستق والتي تعتبر من أقدم مزروعات البحر المتوسط، وقد كان يُزرع في سواحل البحر المتوسط وفي ثغوره، بالإضافة إلى زراعته في باقي مناطق الشام وتحديداً حلب وما جاورها حتى أنه ينسب إليها "الفستق الحلبي"، ولكثرة انتاجه كان يباع رخيصاً ويُحمل إلى مصر والعراق[7].

وتشتهر الثغور أيضاً بزراعة النخيل وخاصة الثغور الساحلية، فقد وصفت تلك الثغور بكثرة غلاتها وزروعها من ضمنها النخيل، فقد وصفت بالس بأنها خصبة كثيرة النخل، وكذلك عسقلان وغزة و قيسارية[8]، كما وجدت أشجار النخيل بعين زربة شمالي طرسوس حيث وصف مناخها بأنه يشبه مناخ الغور[9].

---

[1] ابن الفقيه، البلدان (ص 164).

[2] المهلبي، المسالك والممالك (ص85).

[3] الحميري، الروض المعطار (ص390).

[4] ابن حوقل، صورة (ج181/1) ، الاصطخري، مسالك (ص62)، ابن العديم، بغية الطلب (ج252/1).

[5] الإدريسي، نزهة المشتاق (ج651/2).

[6] الطرطوسي، سير الثغور (ص ص 56-57).

[7] المهلبي، المسالك والممالك (ص87)، ابن العديم، بغية الطلب (ج60/1).

[8] الإصطخري، مسالك (ص63)، مجهول، حدود العالم (ص175)، ابن العديم، بغية الطلب (ج167/1).

[9] الإصطخري، مسالك (ص63)، ابن حوقل، صورة (ج182/1)، ابن العديم، بغية الطلب (ج167/1).

يُضاف إلى ذلك اشتهار الثغور بزراعة العنب والتفاح والرمان فقد كانت تُزرع في بعض مدن الثغور خصوصاً طرسوس، حيث اشتهرت بثمر الرمان الكبير الحلو والحامض[1]، وأيضاً في الجبال المحيطة بملطية وهي مباحة لا مالك لها[2].

كما اشتهرت الثغور الساحلية بزراعة قصب السكر، والذي كان تكثر زراعته في ثغر عرقة[3]، وكذلك في طرابلس حيث وصفت أرضها بأنها غورية كثيرة القصب[4].

**ت- تشجيع الخلفاء للزراعة**

ومما زاد في ازدهار الزراعة في تلك المناطق الاهتمام الذي أبداه خلفاء العصر العباسي الأول، فقد عمر الخليفة المنصور ملطية وحث على زراعتها وأسكن فيها الجند وأقطعهم فيها المزارع[5]، ولما رأى أن مياه نهري الفرات ودجلة لم تكن تكفي لإرواء الأراضي الزراعية، عمل على تنظيم وسائل الري بشق الترع والجداول والقنوات[6].

وفي عهد الخليفة هارون الرشيد بدأ الاهتمام بالزراعة واضحاً وكانت تستهويه المواضع النزهة والمعمورة، وقد استبدل مرج عبد الواحد قرب حصن منصور من حمىً لخيل المسلمين إلى أرض زراعية[7]، وفي عهد الخليفة العباسي المأمون بدا الاهتمام واضحاً بالزراعة، حيث أمر قائده عبدالله بن طاهر باستحداث البساتين وتوفير المياه في حصن كيسوم سنة210هـ/825م، كما قام عبدالله بن طاهر بزراعة مواضع كثيرة في مناطق الثغور حيث أقام هناك لمدة 4 سنوات والياً ومقاتلاً[8].

ولما جاء المعتصم أبدى اهتماماً كبيراً بالزراعة وكان يحبها ويقول أن فيها أموراً محمودة أولها عمران الأرض التي يحيى بها العالم، وعليها يزكو الخراج، وتكثر الأموال، وتعيش البهائم، وترخص الأسعار، ويكثر الكسب، ويتسع المعاش، كما وأعطى وزيره محمد بن عبد الملك

---

[1] ابن عساكر، تاريخ (ج6-284).

[2] ابن حوقل، صورة الأرض (ص181).

[3] الإدريسي، نزهة المشتاق (373/1).

[4] المصدر السابق، ص 373.

[5] الأزدي، تاريخ الموصل (ج171/1)، ابن العديم، بغية الطلب (ج256/1).

[6] حمودي، الجزيرة الفراتية (ص35).

[7] البلاذري، فتوح البلدان (ص195)، قدامة، الخراج (ص 321).

[8] ياقوت، معجم البلدان (ج497/4).

الصلاحية الكاملة في زراعة أي موضع يراه مناسباً واستصلاحه دون الرجوع للخليفة أو استشارته، حيث كان يقول له: إذا وجدت موضعاً متى أنفقت فيه عشرة دراهم جاءني فيه بعد سنة أحد عشر درهماً فلا تؤامرني فيه[1].

**ثانياً: الصناعة**

بالرغم من كون مدن الثغور نقاط للمرابطة والمدافعة عن بلاد المسلمين ومنطلقاً للأغارات المتلاحقة على بلاد الروم، إلا أنها اشتملت على نشاط اقتصاد مميز وخاصة في مجال الصناعة، ويرجع ازدهار الصناعة إلى توفر المواد الخام اللازمة للصناعة والتي تعج بها مناطق الثغور، وكذلك لانتقال الخبرات إليها نتيجة للاحتكاك المتواصل مع بلاد الروم بحكم قربها منها، يُضاف إلى ذلك اهتمام خلفاء بني العباس بالصناعة وخاصة الصناعات الحربية.

أ – **أشهر المصنوعات**

لقد ازدهرت في مناطق الثغور عدة صناعات أبرزها صناعة النسيج والملابس، ويرجع ذلك إلى توفر المواد الخام الخاصة بها وتحديداً القطن والصوف والجلود، بالإضافة إلى توفر الخبرة وبعض العوامل المساعدة الأخرى كحرفة الصباغة والدباغة، والتي كانت تعتمد على الزعفران وطين المغرة[2]، والتي كانت تتولاها طائفة من اليهود، وكانت أشهر الثياب تُنسب لمدن الثغور مثل أنطاكية[3]، والتي كانت تصنع الثياب ذات الجودة العالية والتي اشتهرت ب(الثياب الأنطاكية)، حيث كانت العرب إذا أعجبها شيء نسبته لأنطاكية[4]، كما وكان يصنع بها الثياب المصمتة المصنوعة من الحرير أبرزها الأصبهاني والتستري والعتابي[5].

---

[1] ابن عساكر، تاريخ (ج245/73).

[2] المقدسي، أحسن التقاسيم (ص181).

[3] ابن العديم، بغية الطلب (ج81/1)، المقدسي، أحسن التقاسيم (ص183).

[4] ابن العديم، بغية الطلب (ج81/1)، ياقوت، معجم البلدان (ج266/1).

[5] الحميري، الروض المعطار (ص38).

وكذلك منبج حيث اشتهرت فيها صناعة الخيوط والثياب الحريرية، وقد نُسبت إليها الثياب والأكسية المنبجانية[1]، وقد ساهم في ذلك وفرة شجر التوت فيها، والذي تتغذي عليه دودة القز التي تنتج خيوط الحرير[2].

وفي رصافة هشام اشتهر أهلها وأغلبهم نصارى بصناعة الثياب، حيث كانوا ماهرين في عمل الأكسية وكل رجالها فقراء كانوا أو أغنياء يعملون بغزل الصوف ونسائهم ينسجن[3]، وبرعوا أيضا في صناعة الجوالق والمخالي[4] والتي كانت تباع في سائر البلاد[5]، وفي المصيصة اشتهرت صناعة الفراء، وكانت من الشهرة والجودة أن يصل ثمن الواحدة منها ثلاثون ديناراً[6].

وفي طرسوس اشتهرت صناعة الثياب والتي كانت تُسمى (الشفايا) وكانت ذات جودة عالية[7]، وفي ملطية كذلك اشتهرت صناعة النسيج حيث كان بها 12ألف نول تنسج الصوف[8]، وفي جبيل على ساحل البحر الشامي حيث كانت مركزاً صناعياً مهماً للنسيج[9] ، وفي صور كان يُعمل من الثياب البيض المحمولة إلى كل الآفاق كل شيء حسن، عالي الصفة والصنعة ثمين القيمة قليلاً ما يصنع مثله في سائر البلاد المحيطة[10].

كما واشتهرت عسقلان بتطور صناعة النسيج فيها، إذ عُرفت ثيابها في العالم الإسلامي بالثياب العسقلانية[11]، وأيضاً الاشتهار بصناعة الأقمشة الحريرية المصنوعة من الحرير فائق

---

[1] ياقوت، معجم البلدان (ج206/5)، ابن العديم، بغية الطلب (ج107/1).

[2] ابن الفقيه، البلدان (ص171).

[3] ياقوت، معجم البلدان (ج48/3).

[4] الجوالق هي الخروج التي توضع على ظهور الجمال والدواب والمخالي التي يوضع بها علف الدواب. القزويني، آثار البلاد (ص198).

[5] القزويني، آثار البلاد (ص198).

[6] ياقوت، معجم البلدان (ج145/5)، ابن الجوزي، تقويم البلدان (ص251).

[7] ياقوت، معجم البلدان (ج48/3)

[8] المهلبي، المسالك والممالك (ص 99).

[9] عصفور، معالم حضارات الشرق (ص 157).

[10] الإدريسي، نزهة المشتاق (ج366/1).

[11] المقدسي، أحسن التقاسيم (ص160).

الجودة والذي يصنع في عسقلان، ومن أشهر المنسوجات الحريرية العسقلانية التي كانت تصنع الشقق المتطرز والساذج والذي كان يصنع خصيصاً لكبار رجال الدولة[1].

ومن بين الصناعات التي برزت صناعة الحبال وكان لها أهمية كبيرة في مناطق الثغور خصوصاً في طرسوس، حيث كان بها زاوية تسمى سوق الحبالين، وكانت الحبال المصنوعة تخدم في الغزو لاقتحام الأسوار وربط السفن وتوثيق الأسرى، وقد كانت الحبال تصنع من النخيل ومن الكتان ومن نبات القنب والتي تشتهر بها مدن الثغور كعين زربة وغيرها[2].

كما ازدهرت أعمال النجارة وتصنيع الخشب والذي صُنع منه بعض الأدوات الخشبية كأدوات الحراثة والأواني ومستلزمات البيوت، وذلك لوفرة الأخشاب وخاصة في ثغور بالس وقليقية ذات الغابات الكثيفة[3]، وفي طرسوس كان هناك شارع يُطلق عليه شارع النجارين[4].

كما واشتهرت صناعة الورق أيضاً، حيث بدأت صناعته في عهد هارون الرشيد بعد أن أشار عليه وزيره الفضل بن يحيى البرمكي بصناعة الكاغد[5] وتم صُنعه، وكُتب عليه رسائل السّلطان وصكوكه، واتّخذه النّاس من بعده صحفاً لمكتوباتهم السّلطانيّة والعلميّة، وبلغت الإجادة في صناعته درجة كبيرة[6]، ثم انتشرت صناعته في عدة مدن كدمشق وطبريا ومنها يُنقل إلى باقي البلدان[7].

ثم وصلت صناعته لمناطق الثغور فأصبح يصنع في ثغر طرابلس، وفي بعض الأبراج المقامة على سور طرسوس حيث كانت هناك أماكن مخصصة لعمل الورق والكاغد[8]، والذي ساعد في ازدهار صناعته توفر نبات الأرز الذي يُصنع الورق من قشرته، وكذلك توفر مادة الزاج التي

---

[1] المقدسي، أحسن التقاسيم (ص174)، المقريزي، المقفى (ج489/6).

[2] الطرطوسي، سير الثغور (ص ص37–38)، ابن العديم، بغية الطلب (ج181/1).

[3] الرواضية، جند قنسري (ص207).

[4] الطرطوسي، سير الثغور (ص38).

[5] الكاغد هو القرطاس وهو لفظ فارسي معرّب وهو نوع من أنواع الورق. الذهبي، تاريخ الإسلام (ج103/21).

[6] ابن خلدون، العبر (ج532/1).

[7] المقدسي، أحسن التقاسيم (ص180–181).

[8] الطرطوسي، سير الثغور (ص36)، ابن العديم، بغية الطلب (ج181/1).

تدخل في تصنيع الأحبار المتوفرة في بلدة الجرجومة[1]، وربما كان يتم جلب ما نقص من تلك المادة من جزيرة قبرص والتي يوجد فيها معدنه بكثرة وينسب إليها[2].

ومن الصناعات أيضا صناعة الصابون والتي اشتهرت بها مدينة بالس، حيث كان يُعمل بها الصابون الكثير الغزير[3]، وساعدها في ذلك قربها من الرقة المشهورة بصابونها المعروف، ووفرة انتاج الزيت في مدن الثغور[4]، وكذلك ازدهرت صناعة الفواكه المجففة ومن أبرزها صناعة الزبيب حيث كان يُصنع بكثرة في حلب وطرسوس وباقي الثغور[5]، وقد اشتهر زبيب منبج المعمول بالجوز والفستدق والسمسم والذي لم ير له شبيهاً إلا ببخارى من لذته وحلاوته[6].

ومن الصناعات التي برزت في مناطق الثغور صناعة الزجاج حيث يضرب في زجاج الشام المثل في الصفاء والرقة[7]، وقد كانت حلب وأنطاكية وصور من أهم مراكز تصنيعه في بلاد الشام[8]، وقد كان سوقه بحلب من العجائب، إذا مر به الشخص لا يريد مفارقته، لكثرة ما يرى من الطرائف العجيبة والآلات اللطيفة التي تحمل إلى سائر البلاد للتحف والهدايا[9].

**ب – الصناعات الحربية**

نظراً لأن أهل الثغور يغلب عليهم الحياة العسكرية والاستعداد الدائم للحرب وامتلاك أدوات ووسائل الحرب، فقد اشتهرت بعض الثغور بصناعة السلاح اللازم للجهاد والغزو، بالإضافة إلى تربية الخيول وتدريبها على الطراد وتجهيز مستلزماتها، ففي مدينة المصيصة كان تُعمل عيدان السروج التي تشد على الخيول والدواب وكان ثمنها مبالغاً فيه لجودتها[10]، ولم يكن على وجه

---

[1] ابن عبد ربه، العقد الفريد (190/4)، البلاذري، فتوح البلدان (ص159).

[2] الطرطوسي، سير الثغور(ص36)، ابن العديم، بغية الطلب (ج181/1).

[3] ابن حوقل، صورة الأرض (180/1).

[4] المقدسي، أحسن التقاسيم (ص145)، ليسترنج، بلدان الخلافة (ص157).

[5] المهلبي، المسالك والممالك (ص99)، ابن العديم، بغية الطلب (ج180/1).

[6] ابن حوقل، صورة الأرض (ج181/1).

[7] الثعالبي، ثمار القلوب (ص532).

[8] الرواضية، جند قنسرين (ص 228).

[9] القزويني، آثار البلاد (ص183).

[10] المهلبي، المسالك والممالك (ص 98)، ابن العديم ، بغية الطلب (ج179/1).

الأرض بلد يعمل فيه الحديد المحزوز للكراسي الحديد وباقي لوازم الخيل كاللجم والمهاميز والعمد والدبابيس كما يعمل في مناطق الثغور[1].

وعلى صعيد الصناعات البحرية واللازمة لغزو البحر، فقد كانت السفن في تلك الفترة تُصنع في مدينة عكا الساحلية والتي كانت تمتلك ميناءً وصف بأنه جليلاً وأن الصناعة – صناعة السفن– كانت تدور به[2]، و الذي ساعد على ازدهار الصناعة في عكا في ذلك الوقت هو سهولة حصولها على الأخشاب من جبال لبنان[3].

**ت – اهتمام الخلفاء بالصناعة**

اهتم خلفاء بني العباس بالصناعات وخاصة الحربية منها، فعندما وجه الخليفة أبو جعفر المنصور أخيه العباس بن محمد سنة 149هـ/766م لغزو بلاد الشام، اصطحب الأخير معه عدداً من الحدادين والنجارين لاستخدامهم في بناء الحصون، فصنعوا المنجنيقات من أخشاب الصنوبر الذي تشتهر بها بلاد الشام[4]، وهو خشب في غاية ما يكون من القوة والثبات، وله في الوجود ما ينيف عل أربعة آلاف سنة[5].

وفي عهد الخليفة هارون الرشيد ازدهرت صناعة المراكب والسفن في ثغور الشام الساحلية كعكا وصور والتي كانت بهما دور لصناعة السفن[6].

**ثالثاً: التجارة**

إذا نظرنا إلى الوضع الجغرافي لإقليم شمال الشام والجزيرة حيث تتواجد الثغور، لوجدناه ذا تأثير إيجابي في النشاط التجاري سواء كان داخلياً أو خارجياً، وخاصة أن الثغور تقع في موقع متميز وكحلقة وصل بين الطرق التجارية، حيث تلتقى طرق القوافل القادمة من الشرق إلى الهند

---

[1] المهلبي، المسالك والممالك (ص 104)، ابن العديم، بغية الطلب (ج155/1).

[2] المهلبي، المسالك والممالك (ص 101).

[3] الصلابي، معاوية بن أبي سفيان (ص 206).

[4] الرواضية، جند قنسرين (ص 225).

[5] ابن كثير، البداية والنهاية (ج278/14).

[6] اليعقوبي، البلدان (ص165)، البلاذري، فتوح البلدان ( ص 125).

وآسيا الصغرى، مع القادمة من الشمال من الدولة البيزنطية، مع القوافل التجارية الآتية من المدن الإيطالية، مع القوافل الآتية من طريق شبه الجزيرة العربية والعراق ومن مصر [1].

ولقد كانت مدن الثغور تشرف على أبرز المسارات البرية التي تعبرها التجارة التي تمر عبرها إلى بلاد الروم، حيث كانت تشرف على الرصيف الروماني الذي يربط أنطاكية مع بلاد الشام، بالإضافة إلى أنها تمثل نقطة تلاقي القوافل المتنقلة بين بلاد النهرين والبحر المتوسط[2].

وقد ساعد نهر الفرات على تسهيل حركة البضائع والتجار، حيث أنه يربط أعالي مناطق الثغور بالعاصمة بغداد، فما أن يصل النهر إلى سميساط قادماً من الشمال حتى تُحمل عليه السفن والأطواف متجهة إلى بغداد، كما كانت تحمل عليه تجارات الشام وما يرد من الثغور[3]، وقد أقيمت على الفرات الجسور التي تسهل عملية العبور منها جسر منبج الذي تعبره القوافل القادمة من بلاد حران نحو الشام[4]، وقد كانت السفن والمراكب وهي تتحرك من خلاله جيئة وذهاباً كأنها الجيوش المتقابلة، كما وصفها الصنوبري في ديوانه[5].

وبالرغم من حالات العداء والصراع الدائم بين الجانبين إلا أن التجارات لم تنقطع بين بلاد المسلمين وبلاد الروم، فقد استمر النشاط الاقتصادي بين بلاد الشام وبيزنطة رغم تدهوره مع كثير من البلاد الأخرى في العصر العباسي الأول، ويدل على ذلك استخدام العملة النقدية الذهبية في ذلك التبادل، في حين كان يستخدم النقد الفضي في غيرها[6].

ولقد اهتم الخلفاء العباسيون بالحفاظ على حركة التجارة ومراعاة مرافقها، من صيانة للطرق لتسهيل مرورها، وحماية الأمن الذي يعتبر أساسياً لازدهارها، وكذلك رعاية الأبنية المخصصة لها وصيانتها، وتسهيل مهام التجار، خاصة بعد تزايد هجمات الروم على ثغور شمال وسواحل الشام[7].

---

[1] مصطفى، الأسواق والمراكز التجارية (ص 2).

[2] المهلبي، المسالك والممالك (ص98)، ابن العديم، بغية الطلب (ج179/1).

[3] ابن خرداذبة، المسالك (ص174)، ابن الفقيه، البلدان (ص211)، الإدريسي، نزهة المشتاق (ج650/2).

[4] ياقوت، معجم البلدان (ج391/4).

[5] ديوان الصنوبري (ص ص 443–444).

[6] لويس، القوي البحرية والتجارية (ص 195).

[7] الرقب، أثر الفتن (ص 127).

**أ – طرق التجارة**

لقد كانت التجارات تتنقل من وإلى بلاد الروم من الطرق والدروب التي تسلكها في الغالب الحملات العسكرية والصوائف، ولعل أبرز الطرق البرية التي تتحرك من خلالها التجارة الداخلية داخل حدود الدولة الإسلامية قبل خروجها من مناطق الثغور، الطريق الذي يخرج من بغداد ثم البردان ثم تكريت ثم الموصل ثم الرقة ثم منبج ثم حلب أو دابق ثم أنطاكية ثم المصيصة، وصولاً إلى آخر نقطة في الشمال الغربي وهي طرسوس[1]، وتلك الطريق هي التي كانت تتحرك من خلالها الصوائف والشواتي تجاه بلاد الروم، حيث أن المأمون سلكها سنة 215هـ/830م لغزو بلاد الروم[2].

وبعد ذلك تصبح حركة التجارة في حكم التجارة الخارجية، حيث تنتقل التجارة من آخر منطقة في الثغور لتعبر إلى الأراضي الرومية حيث كان لها طريقين رئيسيين، عدا عن الطرق الأخرى الفرعية، والطريقين الرئيسيين هما درب السلامة وهو أشهر الدروب ومنه يمر حملة البريد والسفراء والوفود بين الجانبين[3]، ويُقال له درب طرسوس ودرب المصيصة أو درب الأبواب القيليقة، وكان مشهوراً قبل الفتح الإسلامي للشام ويبدأ من طرسوس حتى ينتهي بعمورية[4]، وهذا الطريق الذي سلكه الرشيد في غزوه لهرقلة وكذلك سلكه المعتصم في غزوه لمدينة عمورية[5].

والدرب الآخر في أقصى الشمال الشرقي من الثغور الشامية، ويسمى درب ملطية أو درب مرعش[6]، وقد كانت تمر عبره العديد من الصوائف، وهو أقل استخداماً من درب السلامة لوعورته[7]، ويبدأ من ملطية ومرعش عبر الحدث حتى يصل إلى بلاد الروم ماراً بعدد من الحصون الرومية[8].

---

(1) ابن خرداذبة، المسالك (ص93)، قدامة، الخراج (ص ص 111–113).

(2) الطبري، تاريخ (ج623/8)، ابن الأثير، الكامل (ج417/6).

(3) ليسترنج، بلدان الخلافة (ص 162).

(4) ابن خرداذبة، المسالك (ص 100).

(5) الطبري، تاريخ (ج320/8).

(6) ابن خياط، تاريخ (ص427)، الطبري، تاريخ (ج500/7).

(7) الحميري، الروض المعطار (ص545).

(8) ابن خرداذبة، المسالك (ص108)، قدامة، الخراج (ص192)، الإدريسي، نزهة المشتاق (ج651/2).

وهناك طريق آخر تتحكم به الثغور البحرية الجنوبية لساحل الشام-غزة وعسقلان- نظراً لموقعهما الجغرافي المميز الواقع على حافة الأراضي الخصبة عذبة المياه، والتي تأتي مباشرة بعد برية سيناء، حيث كانتا المحطة الطبيعية الأولى للآتين من مصر باتجاه الشام، والأخيرة للقادمين من الشام وجهتهم مصر أو الحجاز، فهي ملتقى القوافل التجارية وغير التجارية قبل دخول البادية[1].

بالإضافة إلى أن التجارات الرومية كانت تصل إلى مناطق الثغور من طرق أخرى، حيث تُنقل عبر الموانئ البحرية سواء البحر الأسود حيث ميناء طرابزون[2]على الساحل الجنوبي لبحر بنطس[3](البحر الأسود)، أو عبر ميناء أنطالية[4] على ساحل بحر الروم (الأبيض المتوسط)، حيث تستقبل تلك الموانئ البضائع والسلع من القسطنطينية ثم يتولى التجار- الذين كانوا يجتمعون بالموانئ والتي منها ينطلقون وإليها يعودون- نقلها إلى بلاد المسلمين عبر مناطق الثغور البرية كملطية ومرعش وغيرها[5].

وقد لعبت موانئ الثغور البحرية الشامية دوراً مهماً في حركة التجارة، وعبرها كانت تُنقل البضائع والسلع التجارية من الشرق بحراً إلى أوروبا وبالعكس، وأبرز تلك الموانئ طرابلس التي كانت ميناءاً تجارياً نشطاً، ووصفت بكثرة الوارد والصادر إليها، وهي معقل من معاقل الشام مقصود إليها بالأمتعة وضروب الأموال والتجارات[6]، ومركزاً لتحصيل المكوس على السفن القادمة من بلاد الروم والغرب، وكذلك بيروت والتي كانت ميناء دمشق وفرضتها ومنفذ التجارة الواردة إليها من الشرق[7]، وتجارات البحر عليها دارة، واردة وصادرة[8].

---

[1] البلاذري، أنساب (ج1، 94)، أبو رحمة، الحياة العلمية (ص61).

[2] تسميها المصادر العربية (أطرابزندة)، وهي مدينة من أعيان مدن الروم على ضفّة بحر القسطنطينية الشرقي، وهي مشرفة على البحر، وماؤه محيط بها كالخندق محفور حولها بأسرها، وعليه قنطرة إذا دهمهم عدوّ قطعوها، ولها رستاق واسع، وأكثر أهلها رهبان. ياقوت، معجم (ج216/1).

[3] يقع بحر بنطس في وسط المعمورة بأرض الصقالبة والروس، ويعرف عند المسلمين ببحر طرابزندة، يخرج منه خليج يمرّ بسور القسطنطينية حتى يقع في بحر الشام. ياقوت، معجم(ج242/1).

[4] بلد كبير من مشاهير بلاد الروم كان أول من نزله أنطالية بنت الروم، وهي حصن للروم على شطّ البحر منيع واسع الرستاق كثير الأهل، ثم تنتهي إلى خليج القسطنطينية. ياقوت، معجم (ج270/1).

[5] ابن حوقل، صورة الأرض (ج344/1)، ليسترنج، بلدان الخلافة (ص 168).

[6] الإدريسي، نزهة المشتاق (ج372/1).

[7] ابن خرداذبة، المسالك والممالك (ص153).

[8] ابن حوقل، صورة الأرض (ج163/1).

وكذلك من صور كانت المراكب تخرج إلى بلاد الروم محملة بالبضائع[1]، ويافا التي كانت تعد إحدى البَّوابات الرئيسية الغربية لبلاد الشام، وعَبْرها يتم الاتصال بدول حوض البحر المتوسط، وكانت منذ القدم محطة تتلاقى فيها بضائع الشرق والغرب، وكانت جسر عبور للقوافل التجارية بين مصر وبلاد الشام[2]، وكذلك غزة وعسقلان واللتان ازدهرت فيهما التجارة في العصر العباسي حيث كانت موانئها على اتصال مع القسطنطينية[3]، وقد كانت الضرائب المحصلة من تلك الموانئ أغلب ما يحصله الروم من مراكب المسلمين في الموانئ الأخرى[4]، وهذا يوحي بضخامة حجم التجارة التي كانت تجتمع فيها وتجلب من وإلى بلاد المسلمين عبر البحر الرومي.

ويُذكر أن الموانئ الشامية وتحديداً طرطوس وبيروت وكذلك صور، قد عانت ركوداً تجارياً في بداية العصر العباسي الأول بخلاف ما كان عليه في العصر الأموي، إذ تكاد تكون الرحلات التجارية من تلك الموانئ وإليها قد توقفت إلا من بعض الرحلات التي كانت تتنقل ما بين بيروت والقسطنطينية، ويرجع ذلك إلى نزوح عدد من المسيحيين والذين كانوا يسيرون الرحلات التجارية عن تلك السواحل تحت ضغط العباسيين[5]، إلا أن النشاط التجاري عاد إلى الانتعاش مع تلك الموانئ بعد فتح البحر المتوسط للتجارة الإسلامية في نهاية العصر الأول وبداية العصر العباسي الثاني[6].

**ب – أشهر الصادرات والواردات**

ومن خلال تلك الدروب والموانئ فقد كانت أبرز المنتجات و البضائع التي تُصدر من وعبر مناطق الثغور إلى البلدان المجاورة وخاصة بلاد الروم، مادة الأخشاب لكثرة ما في بلاد الشام من أشجار الصنوبر والبلوط والسنديان التي تنتشر غاباته في الكثير من المناطق والذي

---

[1] اليعقوبي، البلدان (ص 227).

[2] ابن حوقل، صورة الأرض (ج170/1)، سفير، الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي (ج5/11).

[3] ابن شداد، الأعلاق الخطيرة (ج1/ص ص 107-108).

[4] ابن حوقل، صورة الأرض (ج197/1).

[5] لويس، القوي البحرية والتجارية (ص 191).

[6] المرجع السابق، ص 258.

يشتهر بجودته ووفرته[1]، وكانت تُصدر إلى الخارج لاستخدامها في صناعة السفن والمراكب تحديداً، وكان حصن التينات[2] فيه مجمع لأخشاب الصنوبر التي تنقل إلى سائر البلاد[3].

وكذلك كانت تصدر الثياب والفراء حيث اشتهرت بذلك أنطاكية والمصيصة[4]، فمصنوعات تلك المدن إضافة لما تصنعه باقي المدن من الثياب كصور وعسقلان وغيرها، كانت تُصدر إلى باقي مدن الشام والعراق وأفريقية[5].

كما وكان يُصدر الزيت من مناطق الثغور، لكثرة أشجار الزيتون في تلك المناطق حيث كان يُباع في سائر بلاد الشام والجزيرة والعراق[6]، كما كان يصدر القطن والذي كان يزرع بكثرة في بلدان الثغور، إلى أقاليم خارج بلاد الشام وإلى بلاد المغرب، وكذلك الثياب والمنسوجات القطنية تُصدر إلى العراق ومصر عبر طرطوس وغيرها من الثغور البحرية[7]، كما كان يُصدر الملح الذي يتم استخراجه من سبخة الخيول، فينقل إلى باقي مناطق الشام والجزيرة وغيرها من البلدان[8]، ويُباع منه كل سنة بأموال عظيمة[9].

وأما الواردات فقد اشتهرت بلاد الشام على العموم ولموقعها المتوسط كممر للتجارات، وبالتالي كانت ملأي بالتجارات ويصب فيها كل ما كان يُصدر من بلاد المغرب ومصر وبلاد الروم والأندلس[10].

ولعل أبرز التجارات التي كانت تأتي إلى بلاد الشام وتحديداً الثغور هي تجارة الرقيق، الذي كان يجلب كأسارى خلال الصوائف والشواتي، حيث كان ذلك السبي مضرب الأمثال[1]،

---

(1) الحميري، الروض المعطار (ص 39)، الرواضية، جند قنسرين (ص 238).

(2) حصن التينات حصن منيع على شرف البحر ما بين المصيصة وبالس. المقدسي، نزهة (ج646/2).

(3) الاصطخري، مسالك الممالك، ص 63، المقدسي، نزهة المشتاق (646/2)

(4) ابن العديم، بغية الطلب (ج81/1)، المهلبي، المسالك والممالك (ص104)، ياقوت، معجم البلدان (ج145/5).

(5) الرواضية، جند قنسرين (ص 238).

(6) ابن حوقل، صورة الأرض (ج70/1).

(7) ابن العديم، بغية الطلب (ج180/1)، المهلبي، المسالك والممالك (ص99).

(8) ياقوت، معجم البلدان (ج107/2)،ابن العديم، بغية الطلب (ج272/1).

(9) ابن الشحنة، الدر المنتخب (ص 47).

(10) مجهول، حدود العالم (ص 175).

بالإضافة إلى الرقيق المجلوب من بلاد الروم في النشاط التجاري عبر بحر الشام من خلال الموانئ في الثغور الشامية حيث كان يُجلب إليها الجواري الروميات و الخدم الصقالب[2].

كما كان يجلب إلى مناطق الثغور معدن الزاج[3] من قبرص بالإضافة إلى الموجود في بلاد الجرجومة ثم يجهز منها إلى البلدان الأخرى[4]، بالإضافة إلى جلب الأغنام والدواب والعسل والشمع واللوز والجوز وغيرها من التجارات وذلك من بلاد أرمينيا وأذربيجان[5]، ومن أذربيجان أيضاً كان يُؤتى بالسمك المسمى الطريخ، حيث يملح وينقل إلى مناطق الثغور والعراق[6].

كما واشتهرت تجارة البخور حيث كان التجار يجلبونه من بلاد الروم حيث كانت تقام له سوق في السنة مرة في بند الناطليق، الذي تقع ضمنه مدينة هرقلة مما يلي الثغور الشامية[7].

**ت – أبرز الأسواق في مدن الثغور**

لم تخل منطقة من مناطق الثغور من الأسواق، والتي هي نتاج طبيعي لازدهار حركة التجارة في تلك المناطق، فمما تميزت به مدينة أنطاكية أنها متسعة وعامرة الأسواق[8]، وأما منبج فكانت ذات أرزاق واسعة، وفيها أسواق عامرة وتجارة دارة وأموال متصرفة وغلات قائمة[9]، وأسواقها أزلية[10]، وسكك أسواقها فسيحة متسعة، وبها دكاكين وحوانيت كالخانات والمخازن في اتساعها وكبرها وهي مسقوفة من فوقها[11]، وأما بالس فقد كانت مرفأ ومخزناً للبضائع الآتية من

---

(1) الطبري، تاريخ (ج142/9-143).

(2) ابن خرداذبة، المسالك (ص92).

(3) معدن أبيض له بصيص يستخرج من الحجارة، يستخدم في دباغة الجلود، و أصنافه كثيرة، يشبه مادة الشب ولكنه أكثر حموضة منها، وكان يمزج مع مادة لزجة تشبه صمغ العفص ويكتب به. (جواد علي، المفصل في تاريخ العرب ج ج14-15/ ص ص208-256).

(4) الإدريسي، نزهة المشتاق (ج643/2).

(5) ابن حوقل، صورة الأرض (ج336/1).

(6) الاصطخري، المسالك (ص 190).

(7) المسعودي، التنبيه (ص 151).

(8) الإدريسي، نزهة المشتاق (ج645/2)، الحميري، الروض المعطار (ص 38).

(9) الإدريسي، نزهة المشتاق (ج651/2)، الحميري، الروض المعطار (ص 547).

(10) ابن حوقل، صورة الأرض (ص180).

(11) الحميري، الروض المعطار (ص 547).

الشرق عبر الفرات، ومن الآتية من الغرب عبر البحر، وكان بها عدداً كبيراً من التجار الأغنياء[1]، ورصافة هشام كان أهلها مياسير ولأهلها ثروة وتجارة[2]، والقرى التي تحيط بها فيها أسواق وبيع وشراء وأخذ وعطاء[3]، ومما تميزت به مدينة طرسوس أنها كثيرة المتاجر [4] وغاصة بالأسواق[5]، وكذلك مدينة أذنة كانت ذات أسواق وصناعات ووارد وصادر[6]، ومدينتي المصيصة وكفر بيا حيث تقعان على ضفتي نهر جيحان ولهما أسواق كثيرة[7].

وأما مدينتي الحدث ومرعش فوصفتا بأنهما مدينتان لهما أسواق ويُقصد إليهما بالتجارات والمنافع[8]، وثغر كيسوم فيه سوق ودكاكين وافرة[9]، وبلدة كمخ في منطقة الثغور والتي تقع على الفرات، كانت حسنة المطلع نافقة المتاجر والصنع[10].

كما وصفت بيروت بأنها ذات مقاصف وملاعب وذات لهو وأسواق[11]، ووصفت صيدا بأنها مدينة كبيرة عامرة الأسواق رخيصة الأسعار[12]، ووصفت عسقلان بأنها مدينة حسنة ذات سورين وبها أسواق[13]، ووصفت غزة بأنها متسعة الأقطار، كثيرة العمارة، حسنة الأسواق، بها المساجد الكثيرة، والأسوار عليها[14].

يضاف إلى تلك الأسواق أسواق من نوع آخر، وهي الأسواق المتنقلة حيث كان بعض التجار يرافقون الجيوش في غزواتها أو مرابطتها في الثغور للأعمال التجارية، وكانوا يزودون

---

[1] ليسترنج ، بلدان الخلافة (ص 139).
[2] ابن العديم، بغية الطلب (ج113/1).
[3] الحميري، الروض المعطار (ص 269).
[4] الإدريسي، نزهة المشتاق (ج647/2)، الحميري، الروض المعطار (ص 38).
[5] المهلبي، المسالك والممالك (ص98)، ابن العديم، بغية الطلب (ج179/1).
[6] مجهول، حدود العالم (ص 175)، الحميري، الروض المعطار (ص80).
[7] ابن حوقل، صورة الأرض (ج183/1)، ياقوت، معجم البلدان (ج468/4).
[8] الإدريسي، نزهة المشتاق (ج652/2).
[9] ياقوت، معجم البلدان (ج497/4).
[10] الإدريسي، نزهة المشتاق (ج812/2).
[11] ياقوت، معجم البلدان (ج525/1).
[12] الإدريسي، نزهة المشتاق (ج370/1).
[13] المصدر السابق (ج364/1).
[14] ابن بطوطة، تحفة النظار (ص43)، شهاب الدين، مسالك الأبصار (ج522/3).

مقاتلي الجيوش بما يحتاجونه من أدوات القتال أو غذاء وعلف الدواب، وفي نفس الوقت يشترون منهم ما يحصلون عليه من الغنائم[1].

ولقد اهتم خلفاء بني العباس بالتجارة فقام المنصور بحفر نهر الفرات إلى بغداد لتمر فيه السفن المحملة ببضائع الشام والجزيرة والموصل[2]، وكذلك حفر نهر عيسى لمرور السفن المحملة بقمح الشام ومصر[3]، بالإضافة إلى صناعة المراكب لحمل بضائع التجار من الشام لخارجها[4]، وكذلك الاهتمام بالأسواق وترتيبها، وأيضاً زيادتها كما فعل الرشيد بأسواق مدينة الرقة ومنبج وغيرها[5].

---

[1] ابن خرداذبة، المسالك (ص 112).

[2] الدنيوري، الأخبار الطوال (ص383).

[3] اليعقوبي، البلدان (ص 35).

[4] ابن خرداذبة، المسالك (ص 63).

[5] البلاذري، فتوح البلدان (ص 184)، ابن حوقل، صورة الأرض (ج1/163).

**المبحث الثالث: الأحوال الثقافية والعلمية**

لم تتأثر الحالة العلمية كثيراً بانتقال الخلافة من دمشق إلى بغداد إثر سقوط الدولة الأموية وقيام دولة بني العباس، أذ والت بلاد الشام مسيرتها العلمية وظهر ذلك جلياً في ازدهار العلوم وخاصة الشرعية منها، من فقه وحديث وتفسير وقراءات وغيرها، وقد امتازت أجناد الشام بشكل عام بكثرة الفقهاء والمحدثين والعلماء من المنسوبين إلى دمشق وحمص وبيروت والرملة وعسقلان وإيلة وطبريا وغيرها.

وهناك سببين رئيسين كانا يدفعان أهل العلم والتقوى والعبادة للتوجه إلى مناطق الثغور الأول: الرغبة في تحصيل أجر الانقطاع والانعزال والرباط والجهاد في سبيل الله، ذلك الأجر الذي جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم والذي رواه عنه أبو الدرداء مرفوعاً حيث قال:" أهل الشام وأزواجهم وذراريهم وعبيدهم وإماؤهم إلى منتهى الجزيرة مرابطون في سبيل الله ، فمن احتل منها مدينة فهو في رباط ومن احتل منها ثغراً من الثغور فهو في جهاد"[1].والثاني: أخذ الحديث عن رجاله وحفاظه المتواجدين في تلك الثغور، ما جعلها دار هجرة لطلبة العلم والحديث.

**أولاً: عوامل ازدهار الحركة العلمية**

شهدت الحركة العلمية في العصر العباسي الأول ازدهاراً واضحاً نظراً للاستقرار السياسي وتوقف الفتوحات، واقتصار الأمر على حملات عسكرية محدودة كانت ترسل لبلاد الروم لتثبيت الحدود وحماية الثغور، فوجه خلفاء ذلك العصر جل اهتمامهم إلى العلم، كما أن جزء كبير من الأموال التي كان من المقرر أن تخصص لتمويل الحملات العسكرية قد تم تحويله إلى رعاية الحركة العلمية[2].

كان ذلك في الدولة العباسية بشكل عام، وأما أبرز العوامل التي ساعدت على ازدهار الحركة العلمية في مناطق الثغور على وجه الخصوص، فهي إقامة عدد كبير من المحدثين والعلماء وانتشارهم في أغلب الثغور الشامية، من ملطية في أقصى الشمال الشرقي مروراً

---

[1] الطبراني، مجمع الزوائد (ج60/10).

[2] الرباصي، المؤسسات التعليمية (ص 57).

بالمصيصة وأذنة إلى طرسوس في أقصى الشمال الغربي، والتي يُنسب إليها جماعة من العلماء يفوت حصرهم، انتهاء بثغور ساحل بحر الروم حيث تنتشر الثغور الشامية البحرية كطرابلس وبيروت وصيدا وعسقلان حتى غزة[1].

ومما ساهم كثيراً في ازدهار تلك الحركة في مناطق الثغور أيضاً، أن أغلب من ولي أمر الثغور في ذلك العصر كانوا ممن لهم عناية بالعلم خصوصاً رواية الحديث وطلبه، ما أدى إلى تقريب العلماء والفقهاء والمحدثين والإحسان إليهم، مثل الأمير صالح بن علي بن عبد الله العباسي عم المنصور، وإسماعيل بن صالح بن علي بن عبد الله العباسي، والأمير محمد بن إبراهيم الإمام بن محمد بن علي العباسي، والعباس محمد بن علي بن عبد الله العباسي، وعبد الملك بن صالح بن علي بن عبدالله الهاشمي، والقائد العباسي عبد الله بن طاهر[2].

وكذلك من العوامل التي ساعدت على تطور الحركة العلمية، دخول الورق وازدهار صناعته مع بداية العصر العباسي واستخدامه في الكتابة، وقد أنشأ الفضل بن يحيى البرمكي مصنعًا للورق في عهد الرشيد ببغداد، فانتشرت الكتابة فيه لخفته، بعد أن كانوا يكتبون على الجلود والقراطيس المصنوعة من ورق البردى بمصر، ثم أصبح الورق يُصنع أيضاً في بعض مدن الثغور كأنطاكية وطرسوس، والتي احتوت على عدة أماكن لصناعة الورق والكاغد، وهذا ما ساعد على تدوين العلوم، بالإضافة إلى ظهور دور الوراقين وهي الدور التي تختص ببيع الكتب واستنساخها، مستغلين بذلك توفر الورق اللازم للكتابة[3].

كما كان لبدء عملية استنساخ الكتب وتداولها والتي كان أغلبها يتم بتوجيه من الخلفاء، دور كبير في ظهور المكتبات الخاصة في دور الخلفاء والأمراء والعلماء، وقد اشتهر بعض علماء المصيصة ومحدثيها بالإضافة إلى غيرها من الثغور بانتساخ الكتب فيما بينهم، حتى أن بعضهم لُقب بهذه المهنة مثل نزيل الثغور المحدث سعيد بن نصير البغدادي الوراق، والذي ألف عدة

---

[1] ياقوت، معجم البلدان (ج29/4).

[2] الرواضية، جند قنسرين (ص 247).

[3] الطرطوسي، سير الثغور(ص36)، ابن العديم، بغية الطلب (ج181/1).

كتب منها: العوابد والبكاء و كتب في الرقائق[1]، والمقرئ عبد الرازق بن الحسن الأنطاكي الوراق[2] وهم من الذين عاصروا العصر العباسي الأول .

ويضاف إلى ذلك ازدهار حركة الترجمة والنقل والتي تخصصت في العلوم العقلية[3] والتي برزت بشكل واضح في الثغور، حيث اهتم الأمراء والميسورون بتشجيع العلم والإنفاق على الترجمة إلى اللغة العربية، وقد كانوا ينفقون أموالاً ضخمة في ترجمة كتب الرياضيات والفلسفة والنجوم وغيرها، وقد اشتغل كثير من المسلمين بدراسة الكتب التي تُرجمت إلى العربية، وتفسيرها والتعليق عليها، وتصحيح أخطائها، وقد كانت مدينة حران المتاخمة لثغور إقليم الجزيرة، ومن برز فيها العلماء خير مثال على ذلك[4].

**ثانياً: أشكال الحياة العلمية:**

من أبرز أشكال الحياة الثقافية والعلمية في مناطق الثغور في ذلك العصر والتي كانت سائدة بشكل عام في بلاد الشام ككل، ظاهرة إقامة العلماء والزهاد في المساجد، حيث لعبت المساجد دوراً هاماً في نشر العلم الشرعي في الثغور، فقد كان أغلب الزهاد والصالحين ملازمين لها، ولبعضهم حلقات علم بها، حيث كانوا يشتغلون بالعبادة والعلم، لا يشغلهم عن ذلك إلا الجهاد أو تشييع الجنازات أو عيادة المرضى، وقد أُطلق عليهم لفظ " الشيوخ المسجدية"[5].

كما ازدهرت مجالس العلم التي كان يعقدها الخلفاء والأمراء مع العلماء والمحدثين والفقهاء؛ للتباحث في أمور الدين والدنيا والمشاورة في أمور الغزو أيضاً، وذلك أثناء مرورهم بالمدن الثغرية خلال تحركهم لغزو بلاد الروم، كما فعل الخليفة هارون الرشيد عندما تحرك لغزو هرقلة اصطحب معه شيخا الثغور الشامية أبو إسحاق إبراهيم الفزاري، ومخلد بن الحسين وقد كان

---

[1] الذهبي، تاريخ الإسلام (ج156/19).

[2] المصدر السابق (ج195/22).

[3] ميَّز علماء المسلمين بين نوعين من العلوم، الأول: العلوم النقلية أو الشرعية وهى العلوم التي تتصل بالقرآن الكريم، وتشمل: علم التفسير، وعلم القراءات، وعلم الحديث، والفقه، وعلم الكلام، والنحو، واللغة والبيان والأدب، والثاني: العلوم العقلية وهي العلوم التي أخذها العرب عن غيرهم من الأمم، وتشمل: الفلسفة والهندسة وعلم النجوم والموسيقى والطب والكيمياء والتاريخ والجغرافيا. أبو رحمة، الحياة العلمية (ص 79).

[4] عبد اللطيف، السيرة النبوية (ص334)، أبو رحمة، الحياة العلمية (ص112).

[5] الطرطوسي، سير الثغور(ص 44).

يستشيرهم في أمور غزو هرقلة[1]، ولما وصل إلى ثغر عين زربة حرص على مجالسة ولقاء بعض علماء الثغور، وطلب من أبو سليم الخادم أن يحضر له الإمام عبد الله بن المبارك[2].

وكذلك مجالس المناظرات والتي كانت تتم بين العلماء في مجالات الفقه وغيرها من العلوم الشرعية، كتلك التي كان يعقدها شيخ علماء الشام في حينه الإمام الأوزاعي[3] مع علماء وفقهاء عصره كسفيان الثوري وغيره، وقد سافر إلى الحجاز حيث عقد مع الإمام أنس بن مالك مناظرة في أبواب العلم المختلفة[4]. وكذلك الندوات العلمية التي كان يعقدها الولاة العباسيون مع من اشتهروا برواية الحديث وحفظه من العلماء، والذين عجت بهم بلاد الشام في ذلك الوقت، كالتي عقدها والي الشام اسحق بن ابراهيم مع أحمد بن أبي الحواري[5] وغيره من شيوخ وكبار الزهاد[6].

يُضاف إلى ذلك الجلسات الأدبية والمناظرات الشعرية حيث كان الشعراء من أهل الشام ينشدون القصائد في حضرة الخليفة أو الوالي، كالقصيدة التي ألقاها الشاعر أبي تمام[7] في حضرة المعتصم بعد انتصاره على الروم في عمورية[8].

---

[1] المسعودي، مروج الذهب (ج56/2)، الحميري، الروض المعطار (ص593).

[2] الرواضية، جند قنسرين (ص 250).

[3] هو الإمام أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، ولد في بعلبك بلبنان عام 88هـ، وأخذ العلم في الكرك، ثم استقر في بيروت مرابطاً ومكتتباً في ديوان الساحل وقد اختار بيروت لما كان يمثله من نزل بها من زهد وعبادة وتواضع، وكان عالماً فقيهاً ومفتياً للجند في العصر الأموي وبقي كذلك في العهد العباسي حتى توفي في بيروت سنة 157هـ، واجتمع للصلاة عليه ما لا يحصى عددهم ما دفع الكثير من أهل الذمة لإعلان إسلامهم. ابن كثير، البداية والنهاية (ج116/10)، الذهبي، سير (ج127/7)، ابن زيد ، محاسن ( ص 89) .

[4] ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج170/35)، الشيخ، الإمام الأوزاعي (ص ص245-246).

[5] أحمد بن أبي الحواري بن عبد الله ميمون الثعلبي، الإمام الحافظ القدوة، شيخ أهل الشام، أحد الأعلام وأصله من الكوفة، ولد سنة 174هـ، وكان يلقب "ريحانة الشام" لسعة معرفته بشئون الزهد والزهاد وبترجماتهم وأخبارهم، توفي بعد230هـ، وكان ولده صالحاً عابداً. ابن عساكر، تاريخ (ج245/71)، المزي، تهذيب (ج373/1).

[6] ابن عساكر، تاريخ (ج71/ص ص245-247).

[7] هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، ولد ونشأ في قرية جاسم بأرض حوران، من الشعراء الفحول في الشعر العربي، شاع ذكره حتى بلغ المعتصم خبره فاستقدمه إلى مدينة سر من رأى وقربه، وقدمه على شعراء عصره، وقد مدح المعتصم في عدة قصائد أبرزها قصيدته في غزوة عمورية حيث كان مرافقاً للمعتصم في الغزوة سنة 223هـ/838م، وتوفي سنة 231هـ/846م. ابن عساكر، تاريخ (ج77/4)، ابن كثير، البداية (ج299/10).

[8] ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج97/5) ، ضيف، الحياة الأدبية (ج271/2).

ومن أشكال الحركة العلمية مهنة التعليم والتأديب والتي ظهرت في العهد الأموي واستمرت في العهد العباسي، وتقوم تلك المهنة على تعليم العامة شئون دينهم، حيث وصف الإمام الفزاري بأنه أدب أهل الثغر وعلمهم السنة[1].

وقد كانت هذه المهنة مصدر رزق للعديد من الأدباء، ففي عهد المنصور كان يمنح معلم العامة ومؤدبها رزق يتراوح ما بين دينار وثلاثة دنانير، وكذلك تعليم وتأديب أولاد الخلفاء والأمراء وأبناء الخاصة على العديد من المعارف في ذلك العصر والتي كان أبرزها تفسير القرآن الكريم والحديث الشريف وإجادة اللغة العربية والشعر والمغازي والأخبار، فقد قام الكسائي[2] بتأديب الرشيد ثم الأمين، فأمر له الرشيد بجارية وعشرة آلاف درهم وخادم وراحلة[3]، كما تولى الأصمعي[4] تأديب الأمين أيضاً براتب عشرة آلاف درهم شهرياً[5].

وكان عطاء راتب أبناء الأعيان أقل من ذلك بكثير، حيث أجرى عبدالله بن طاهر على معلم ولده يعقوب بن السكيت – والذي كان يؤدب أبناء العامة أيضاً[6]_ رزقاً قدره خمسمائة درهم، ثم رفعه إلى ألف درهم شهرياً، كما كان ابن أبي الدنيا مؤدباً لعدد من أبناء الخلفاء بأجر قدره 15 ديناراً في الشهر[7].

وقد اهتم الأمراء والولاة والقادة والتجار بتعليم أبنائهم وتربيتهم وتهذيبهم وتأديبهم، حيث كان يوكل ذلك لبعض العلماء والفقهاء، حتى أن لقب المؤدب اقترن بأسماء بعض العلماء، كما فعل ثابت بن نصر الخزاعي والي الثغور الشامية مع ابنه، حيث أوكل تأديبه للمؤدب الإمام عبيد القاسم بن سلام وولاه مقابل ذلك ولاية طرسوس[8].

---

[1] أبو العرب، المحن (ص379)، ابن عساكر، تاريخ (ج126/7).

[2] هو على بن حمزة الكسائي استقدمه الخلفاء العباسيون إلى بغداد ليعلم أبناءهم، وقدمه البرامكة ورفعوا شأنه، ويُعد أحد الأئمة في النحو واللغة، وأحد القرآء السبعة، ومن رواة الحديث، ألف كتباً عدة في: النحو، والقراءات، لم يصلنا منها إلا رسالة له في لحن العامة، مات ب «الرّيّ» سنة 189هـ. الدينوري، المعارف (ص 545).

[3] ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج295/3).

[4] عبد الملك بن قريب الأصمعي، نشأ في البصرة وقدم بغداد أيام الرشيد، ثم عاد للبصرة لما ولى المأمون، له نيفاً وأربعين كتاباً في مواضيع شتى، ذهب معظمها، توفي 214هـ. الدينوري، المعارف (ص38).

[5] الدينوري، المعارف (ص549)

[6] الذهبي، تاريخ الإسلام (ج552/18).

[7] الخطيب، تاريخ بغداد (ج273/14).

[8] الدينوري، المعارف (ص549)، ابن سلام، الأموال (ص 26).

**ثالثاً: أبرز العلوم في العصر العباسي الأول**

لقد كانت نواة العلوم في العصر الأموي هي القرآن والحديث، فكلٌّ مسائل العلم تقريبًا تدور حولهما، وفي العصر العباسي بقيت هذه النواةُ كما هي، إلا أن البحوثَ حولهما اتَّخذت شكلاً آخر، فقد وُضع تفسير القرآن، وجُمع الحديث، ووُضعت علومه، ووُضع النحو وعلم العَروض، ودوِّنت أشعار العرب، وكُتبت عليها بعض الشروح، ودُوِّن الفقه على يد الأئمة الأربعة، وغيرهم من الأئمة، ودوَّن الواقدي التاريخ وكذلك ابن إسحاق والطبري[1].

كما وُجدت نواة أخرى تجمَّعت حولها العلوم الدنيوية، وهذه النواة هي الطب الذي أُسست له مدرسة جنديسابور، والتي أسَّسها النساطرة، وحول هذه الدراسة الطبية تكونت دراسة الطبيعة، والكيمياء، والهيئة، والمنطق، والإلهيات، وتُرجمت كتب الفلسفة، من منطق، ورياضيات، وهيئة، وطب، وغيرها، وبدأ العلماء يؤلِّفون فيها[2].

وبالرغم من الأهمية المتساوية لجميع العلوم النقلية، إلا أن العلم الأبرز الذي ازدهر وراج كثيراً في مناطق الثغور في ذلك العصر كان علم رواية الحديث، ويُعزى ذلك إلى أن باقي العلوم الفقهية لم تكن قد ترسخت بعد، وأغلب المحدثين في ذلك العصر كانوا من صغار التابعين والذين كان يعول عليهم في الرواية، حيث أن الفترة الزمنية مع عهد النبوة لم تزل قصيرة[3].

وقد نشطت حركة حفاظ الحديث إلى مناطق الثغور في عهد بني أمية واستقرارهم فيها، حيث اشتدت عناية أهل الثغور وطلاب العلم بعلم الحديث، فأخذوا يجمعون الأحاديث في كتب يدرسونها[4]، وقد بدأت حركة تدوين الأحاديث والعلوم الأخرى رسمياً سنة 143هـ/760م[5]، ولعب الإمام المحدث المسند أبي سليمان محمد بن مسلم بن شهاب الزهري[6] والذي كان يقطن الثغور دوراً هاماً في تثبيت هذا العلم ونشره[1].

---

(1) العتباني، الحياة الثقافية والعلمية، شبكة الألوكة، 2013/12/31.

(2) المرجع السابق، نفس المقالة.

(3) الذهبي، تاريخ الإسلام (ج776/3).

(4) أبو رحمة، الحياة العلمية (ص 86).

(5) الذهبي، تاريخ الإسلام (ج776/3).

(6) محمد بن مسلم بن شهاب بن زهرة القرشي أبو بكر الفقيه الحافظ روى عن أنس بن مالك وسهل بن سعد وأبي الطفيل وغيرهم، متفق على جلالته وإتقانه وهو من رؤوس الطبقة الرابعة، حافظ زمانه، وأحد أكابر فقهاء

وقد تطور علم الحديث في العصر العباسي فكثر المحدثون وانتشروا في الثغور، وأصبحت الثغور قبلة لعلماء الحديث وذلك بسبب رباط عدد كبير من المحدثين بها، ومن أبرز من قصد الثغور من كبار علماء الحديث الشريف للأخذ من محدثيها شعبة بن الحجاج[2] والذي يعتبر إماماً في الحديث، والذي زار عسقلان وسمع الحديث عن الحسن بن عمران العسقلاني وعمر بن زيد، وقد قال عنه الإمام أحمد: "شعبة أمة وحدة"، وقال عنه المحدث المعروف سفيان الثوري: " أمير المؤمنين في الحديث ومات الحديث بموته"، وقال عنه الإمام الشافعي: "لولا شعبة لما عُرف الحديث بالعراق"[3].

كما وزار الثغور الإمام الكبير محمد بن علي البخاري صاحب كتاب صحيح البخاري، وسمع من علمائها الحديث وخاصة علماء عسقلان[4]، وكذلك زارها المحدث و الإمام سفيان الثوري[5] والذي كان يسمى أمير المؤمنين في الحديث، والتقى بالزاهد إبراهيم بن أدهم[6]، وأتى إلى فلسطين، وزار بيت المقدس و رابط بثغر عسقلان لمدة أربعين يوماً، قام خلالها بإلقاء الدروس في علوم الحديث الشريف قبل أن يعود إلى مكة، وكان يقول لتلاميذه: "هذا خير لك من ولايتك عسقلان وصور"[7].

---

ومحدثي المدينة، يقال إنه أول من دون الحديث، قال أبو داود: "حديثه ألفان ومائتان، النصف منها مسند"، وقال أبو الزناد: "كنا نطوف مع الزهري على العلماء ومعه الألواح والصحف ويكتب كل ما يسمع"، نزل الشام واستقر بالرصافة، توفي سنة 124هـ/742م. المقدمي، التاريخ وأسماء المحدثين (ص164).

[1] أبو رحمة، الحياة العلمية (ص 86).

[2] شعبة بن الحجاج بن الورد، أبو بسطان العتكي البغدادي، ولد سنة 82هـ ، نشأ بمدينة واسط في العراق وطل بعلم الحديث في مختلف المدن الإسلامية حتى أصبح إماماً فيه، وله ألف حديث، توفي سنة 264هـ ( الخطيب، تاريخ بغداد 255/9).

[3] ابن المبرد، تذكرة الحفاظ (ص 117).

[4] ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج50/52).

[5] أبو عبد الله بن مسروق الكوفي، ولد سنة 97هـ في الكوفة، وتوفي في البصرة سنة 161هـ، وصفه الإمام النووي بأنه أحد أصحاب المذاهب الستة هو والأوزاعي بالإضافة إلى الأئمة الأربعة المشهورين. الدينوري، المعارف (ص 497).

[6] الدينوري، المعارف (ص497)، ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج389/2).

[7] الذهبي، تاريخ الإسلام (ج226/10).

وكذلك زارها عبيد الله بن عبدالكريم أبو زرعة الرازي، والذي روي عنه أنه حفظ سبعمائة ألف حديث، منها عشرة آلاف حديث في القرآن، والذي قال عنه الإمام أحمد:" كل حديث لا يعرفه أبو زرعة فليس له أصل"[1].

بالإضافة إلى علم الحديث فقد ازدهرت في تلك الفترة أيضاً علوم القرآن الخاصة بالقراءات[2] والتفسير، ففي السابق لم يكن العرب بحاجة إلى التفسير والقراءات لأن القرآن نزل بلغتهم، أما في بداية العصر العباسي ومع دخول أعاجم كثيرين كالفرس وغيرهم في الإسلام أصبحت هناك حاجة ماسة لتلك العلوم، فمن ناحية لمعرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآيات، ومن ناحية أخرى لمعرفة اللغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعني بحسب المقاصد والأساليب[3]، وقد كان التفسير قبل العصر العباسي غير منظم ويقتصر على تفسير آيات صغيرة غير مرتبة حسب ترتيب السور والآيات باستثناء تفسير ابن عباس، وأهم المفسرين في العصر العباسي الأول مقاتل بن سليمان الأزدي ومن مصنفاته: "التفسير الكبير" و "الآيات المتشابهات"، وكذلك المفسر الشهير محمد ابن إسحاق[4].

كما وازدهر علم الفقه بشكل كبير وكانت له مدرستان، الأولى: مدرسة أهل الرأي والقياس وظهرت في العراق ومؤسسها أبو حنيفة النعمان، وخلفه أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، ومحمد بن الحسن الشيباني، والثانية: مدرسة أهل الحديث والتي تعتمد على الكتاب والسنة، وظهرت في الحجاز ومؤسسها مالك بن أنس، ثم جاء الإمام الفقيه محمد الشافعي، وجمع بين المدرستين[5].

وأبرز من اعتنى بالفقه في بلاد الثغور، وكان له حضور واضح فيها الإمام محمد بن ادريس الشافعي صاحب كتاب "الأم" في الفقه، والذي زار ثغور فلسطين وخاصة غزة ودرس

---

[1] ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج23/38).

[2] سجل العلماء القراءات الصحيحة المقبولة، وهي عشر قراءات، منسوبة لأئمتها القراء، وهي: قراءةُ نافع، وقراءةُ عاصم، وقراءةُ الكسائي، وقراءةُ حمزة، وقراءةُ ابن كثير، وقراءةُ ابن عامر، وقراءةُ أبي عمرو، وقراءةُ أبي جعفر، وقراءةُ يعقوب، وقراءةُ خلف. الخالدي، القرآن ونقض مطاعن الرهبان (ص53).

[3] ابن خلدون، المقدمة (ص ص 469–471)، أبو رحمة، الحياة العلمية (ص 83).

[4] ابن سعد، طبقات (ج373/7)، الذهبي، سير (ج7/ص ص201–202)، المزي، تهذيب (ج434/28).

[5] ابن خلدون، ديوان المبتدأ (ج564/1)، المحمدي، بحث التصنيف (ص 2). (منشور في الشاملة)

بها[1]، وكذلك الإمام أحمد بن حنبل الذي استقر بثغر طرسوس لفترة من الزمن[2]، وكذلك الإمام الأوزاعي الذي استقر في ثغور الشام وخاصة بيروت[3]، وكذلك سفيان الثوري الذي زار عسقلان ومكث بها أربعين يوماً[4] وهما من أئمة الفقه الستة وغيرهم كثيرون.

**رابعاً: أبرز علماء الثغور في العصر العباسي الأول**

عجت الثغور الشامية بالعلماء والمحدثين العباد والزهاد والمتصوفة الذين سكنوا تلك البلاد؛ لارتباطها بجهاد العدو، ولما للإقامة والمرابطة فيها من أجر، حيث تميزت الثغور الشامية عن غيرها بكثرة العلماء والزهاد والعباد المرابطين عليها، والذين قصدوها من كافة البلدان وخاصة في عهد الخليفة هارون الرشيد الذي أعاد بناء المدن الثغرية وأنزل بها الناس[5]، وقد شهدت تلك الثغور حركة علمية ميزتها عن باقي البلاد لارتباطها بالجهاد في سبيل الله، حيث كانت الرغبة للجهاد والمرابطة ضد الروم واضحة في نفوس من قصدها أو استقر بها من العلماء.

وقد تركزت إقامة هؤلاء العلماء في عدة مدن أهمها طرسوس في أقصى الشمال الغربي على حدود الروم، حيث نُسب إليها عدد من العلماء يصعب حصرهم[6]، والمصيصة إلى الشرق منها وكذلك أذنة، بالإضافة إلى أنطاكية من العواصم، وصور وعسقلان وغزة من الثغور البحرية، وسبب ذلك قرب تلك الثغور لبلاد العدو، وكذلك المكانة الدينية لها والأحاديث التي وردت في فضل المرابطة بها، ولا يعني ذلك خلو باقي الثغور من العلماء ولكن بنسب أقل.

ومن أشهر العلماء الذين برزوا في الثغور الإمام الأوزاعي، والذي كان يُعد من أشهر علماء الشام، وكان من حفاظ القرآن الكريم[7]، كثير العلم ثقة صادقاً، ومن الزهاد المرابطين[8]، نزل بيروت في أوائل القرن الثاني الهجري وأسس أول حلقة دراسية فيها، وأخذت المدينة تستقطب

---

[1] ابن عساكر، تاريخ (ج26/290).

[2] ابن أيوب، المختصر (ج2/ص ص30–32)، ابن الوردي، تاريخ (ج1/212).

[3] ابن سعد، طبقات (ج7/488).

[4] الدينوري، المعارف (ص 497)، ابن خلكان، وفيات الأعيان (ج2/322).

[5] الملحم، العلاقات السياسية (ص 9).

[6] ياقوت، معجم البلدان (ج4/29).

[7] السمعاني، الأنساب (ج1/388).

[8] ابن سعد، الطبقات (ج7/488).

المشتغلين بالفقه والحديث والأصول والسير التي هي أساس لعلم التاريخ عند المسلمين، ومن ثم انتشر مذهبه الفقهي في بلاد الشام قاطبة حتى وصل الأندلس وعُمل به هناك[1].

وكان مذهب الأوزاعي هو المذهب الوحيد السائد في ذلك الوقت، والذي كان يستند في الفقه والإفتاء إلى القرآن الكريم ثم السنة النبوية وأقوال الصحابة مع نبذ الرأي والبدع، لذا يشار لعدد من مدن الثغور إلى أن أهلها على مذهب السنة الذي يسمى أحياناً بمذهب أهل الشام، ويعتبر من أكثر المذاهب استقامة، وعلى هذا سارت أغلب المدن الثغرية إلا من تخصص أو تشيع[2]، وبقي الأمر في الشام على حاله حتى حلت محل مذهب الأوزاعي، مذاهب المالكي والشافعي وذلك في منتصف القرن الثالث الهجري[3].

وكان من أهم البدع التي نبذها مذهب الإمام الأوزاعي ومن تبعه من فقهاء الشام، بدعة الجدل الذي كان دائراً حول الجبر والاختيار(الجبرية والقدرية)[4]، حيث غلب على أهل الثغور من بلاد الشام أنهم أميل إلى القدرية، وربما كان تبنيهم لتلك الفكرة لحملهم ضد الخلافة الأموية من وجوب محاسبة الخليفة إذا ما حاد عن الطريق القويم[5].

وقد أدرك خلفاء بني العباس ما للأوزاعي من قيمة وتأثير في مناطق الثغور خاصة وبلاد الشام عامة، فعملوا على التقرب منه والتودد إليه، وكثيراً ما كان الخليفة المنصور يخطب وده، حيث كتب إليه رسالة طلب منه فيها أن يكون له ناصحاً، فلبي الأوزاعي ذلك وكان يرسل إليه الرسائل في شئون المسلمين[6].

---

[1] تدمري، لبنان من الفتح (ص 204).

[2] المهلبي، المسالك والممالك (ص ص 65–86)، ابن العديم، بغية الطلب (ج60/1)

[3] الذهبي، تاريخ الإسلام (ج56/7).

[4] القدرية هي فرقة تقوم عقيدتها على نفيهم القدر لا إثباتهم إيّاه، فإنهم يقولون أن العبد قادر خالق لأفعاله خيرها وشرّها مستحقّ على ما يفعله ثوابا وعقابا، فالرّب تعالى منزّه عن أن يضاف اليه شرّ وظلم، وسمّوا هذا النمط عدلاً، يقابلهم في ذلك الجبرية الذين ينفون الفعل والقدرة على الفعل عن العبد ويقولون أن الله تعالى يخلق الفعل ويخلق في الإنسان قدرة متعلّقة بذلك الفعل ولا تأثير لتلك القدرة على ذلك الفعل. (موسوعة الفرق المنتسبة للإسلام ج156/1).

[5] الرواضية، جند قنسرين (ص ص 166–167).

[6] الذهبي، تاريخ الإسلام (ج496/9)، ابن كثير، البداية والنهاية (ج124/10).

ومن أبرز تلك الرسائل أنه حينما تجدد تهديد البيزنطيين للنظام الثغري في العصر العباسي، وسقطت اللاذقية بأيديهم مرة أخرى سنة 140هـ/757م، انبرى الإمام الأوزاعي لإنذار الخليفة المنصور بخطورة الأمر، وطلب منه أن يأمر بتخصيص أعطيات سنوية لأهل الساحل حتى يَقْووا على المرابطة، وحراسة الأبراج والحصون الساحلية ففعل الخليفة المنصور ذلك[1]، كما وطلب الأوزاعي من المنصور أن يعفيه من لبس السواد والذي كان شعاراً للعباسيين، فأعفاه من ذلك احتراماً ومهابةً لمكانته[2].

كما وأقام في مناطق الثغور المحدث والفقيه عبد الله بن المبارك[3] والذي مكث بثغري المصيصة و طرسوس غازياً لعدة سنين[4]، وقد لازم المتصوفة وجالسهم بالرغم من أنه لم يظهر تبنيه لمنهجهم، وكان يرافقه مجموعة من تلامذته وأصحابه ويغزون معه في بلاد الروم[5].

وقد مارس عبد الله ابن المبارك الجهاد وبرع فيه[6]، كما أنه لعب دوراً كبيراً في تحريض الناس على الغزو والجهاد والنفرة إلى الثغور، وعاب عليهم الركون إلى التعبد والرهبنة حتى في

---

(1) المصري، طرسوس (ص 108).

(2) الذهبي، تاريخ الإسلام (ج9/496)، ابن كثير، البداية والنهاية (ج10/126).

(3) هو أبو عبد الرحمن بن عبدالله بن المبارك بن واضح المروزي ، ولد بمدينة مرو ومكث فيها 20عاما يتعلم القراءة والكتابة والعلوم الأخرى، رحل إلى مصر والشام والحجاز والعراق طلباً للعلم، كما قصد الثغور الشامية طلباً للأجر والرباط والغزو والتجارة ، كان مضحياً بماله ونفسه في سبيل الله ، عده البعض من خيرة علماء الأمة، ووصفه الفزاري بأنه إمام المسلمين أجمعين، وقد قال عنه الإمام أحمد: لم يكن أحد في زمن ابن المبارك أطلب للعلم منه"، وكان يغزو عاما ويحج عاماً، له عدد من المؤلفات أهمها: تفير القرآن والسنن في الفقه وكتاب التاريخ وكتاب الزهد ، مات سنة 181هـ/797م وهو عائد من غزو طرسوس ودفن في مدينة هيت بالعراق. المزي، تهذيب الكمال (ج16/18)، القنوجي، التاج (ص 44).

(4) الطرطوسي، سير الثغور (ص 55).

(5) الذهبي، تاريخ الإسلام (ج4/882).

(6) أورد الذهبي عن عبد الله بن سنان قال: كنت مع ابن المبارك بطرسوس، فصاح الناس النفير، فخرج ابن المبارك والناس، فلما اصطف المسلمون والعدو خرج رومي وطلب البراز، فخرج إليه رجل، فشد العلج على المسلم فقتله، حتى قتل ستة من المسلمين، وجعل يتبختر بين الصفين يطلب المبارزة، ولا يخرج إليه أحد، قال: فالتفت إلى ابن المبارك وقال: يا فلان، إن حدث بي الموت فافعل كذا وكذا، وحرك دابته وبرز للعلج فقتله، وطلب المبارزة، فبرز إليه علج آخر فقتله، حتى قتل ستة علوج، وطلب البراز، قال: فكأنهم كاعوا عنه فضرب دابته، وطرد بين الصفين وغاب، فلم نشعر بشيء إذ أنا بابن المبارك في الموضع الذي كان، فقال لي: يا أبا عبد الله؛ لئن حدثت بهذا أحداً وأنا حي، وذكر كلمة. الذهبي، تاريخ الإسلام (ج12/232).

مجاورة الحرمين على الرغم من ثوابها، وفي رسالته الشهيرة للفضيل بن عياض ما يوحي بذلك والتي كان مطلعها: يا عابد الحرمين ...[1].

ولقد كان الخليفة هارون الرشيد يعتبره مرجعاً في معرفة الأحاديث الصحيح منها والموضوع، فقد أخذ الرشيد ذات يوم زنديقًا[2]، فأمر بضرب عنقه، فقال له الزنديق: لِمَ تضرب عنقي؟ قال له الرشيد: أريح العباد منك، قال: فأين أنت من ألف حديث وضعتها على رسول الله، كلها ما فيها حرف نطق به؟ فقال له الرشيد بلغة الواثق: فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري وعبد الله بن المبارك ينخلانها فيخرجانها حرفًا حرفًا[3].

كما وبرز في مناطق الثغور الإمام أبي اسحاق الفزاري[4]وهو من كبار المحدثين، والذي وصف بأنه صاحب سنة، حيث أدب أهل الثغر وعلمهم السنة[5]، وكان إذا دخل الثغر رجل مبتدع أخرجه[6]، وقد عُرف هو ومخلد بن الحسين[7] بشيخي الثغور الشامية[8].

كان الإمام الفزاري يسكن المصيصة مرابطاً في سبيل الله حتى توفي بها، وزاره وجالسه كل من الإمام عبد الله بن المبارك والعابد الزاهد ابراهيم بن أدهم، وقد روى عنه خلق كثير من صغار التابعين، وروى عنه أبي سفيان الثوري وكذلك الإمام الأوزاعي وكانوا من شيوخه، حدَث في دمشق وفي كثير من الثغور، حيث وصف بأنه رجل ثقة صالح، صاحب سنة وكثير

---

[1] الذهبي، تاريخ الإسلام (882/4).

[2] سمي الزنديق زنديقاً، لأنه وزن دق الكلام بمخبول عقله، وقياس هوى طبعه، وترك الأثر والاقتداء بالسنة، وتأول القرآن بالهوى، و لم يؤمن بأن الله على عرشه وارتد بعد إسلامه. الذهبي، تاريخ الإسلام (ج141/21).

[3] السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص 216).

[4] إبراهيم بن محمد بن الحارث أبو إسحق الفزاري، الإمام الكبير الحافظ شيخ المجاهدين، وحدّث عنه الأوزاعي والثوري وابن المبارك، قال العجلي: كان ثقة، صاحب سنة صالحاً، وكان كثير الحديث، وكان له فقه، وكان الأوزاعي يقول عنه: حدثني الصادق المصدوق، صنف الفزاري كتاباً سمّاه: السير، وقد نال ثناء جمع من الأئمة وعلى رأسهم: الشافعي إذ قال:" لم يصنف أحد في السير مثل كتاب أبي إسحق"، توفي سنة 186هـ. ابن سعد، طبقات (ج448/7)، الذهبي، سير أعلام (ج539/8).

[5] ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج126/7)، الذهبي، سير أعلام (ج800/4).

[6] ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج126/7)، الذهبي، سير أعلام (ج475/8).

[7] مخلد المهلبي، يوصف بأنه أحد أوعية العلم، توفي بالمصيصة سنة 191هـ/807م. الذهبي، سير (ج236/9).

[8] المسعودي، مروج الذهب(ج2/ص ص56-57)، الذهبي، سير أعلام (ج236/9).

الحديث، وقد قصده طلاب الحديث للنقل عنه كالفضيل بن عياض وغيره[1]، ومن شدة ثقة الخليفة هارون الرشيد فيه استشاره في أمر غزو هرقلة من بلاد الروم سنة 191هـ/807م هو والمحدث مخلد بن الحسين[2].

وكذلك أقام في الثغور عدد من الزهاد الذين انشغلوا بالعبادة والجهاد وتركوا الدنيا خلف ظهورهم، مثل الزاهد إبراهيم بن أدهم بن منصور البلخي[3]، والذي انتقل من بلخ[4] ثم انتقل إلى الشام وأقام بالثغور، ورابط في ثغر المصيصة بحصن ثابت[5] وكان يتردد كثيراً على بيت الإمام الفزاري بالمصيصة[6]، ثم انتقل للمرابطة في ثغر طرسوس[7]، وكان كباقي الزهاد يردد الغزو لبلاد الروم، وكان يفضل الغزو ماشياً على قدميه فلا يركب فرساً[8]، وتوفي في الثغور ودفن في حصن سوقين ببلاد الروم على ساحل البحر المتوسط[9].

كما ومكث بها العالم العابد المحدث الفضيل بن عياض[10]، والذي انتقل إلى المصيصة وهو يقول: اشتقت إلى المصيصة، ما بي فضل الرباط إلا لأرى أبي إسحق الفزاري[1]، وهو الذي

---

[1] ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج125/7)، ابن الجوزي، صفة الصفوة (ج259/4)، الذهبي، تاريخ (ج800/4).

[2] الحميري، الروض المعطار (ص593).

[3] إبراهيم بن أدهم بن منصور أبو إسحاق، ولد ببلخ سنة 100هـ/718م، و أبوه من أشراف بني عجل كثير الخدم والمال، ثم انتقل إلى بغداد ثم خرج إلى الشام طلبا للحلال المحض فأقام بها غازياً ومرابطاً يلزم الورع الشديد، وله صفات جمة، توفى بالجزيرة في الغزو سنة 161هـ/778م وحمل إلى صور فدفن بها، واختلف ليلة أن مات إلى الخلاء نيفاً وعشرين مرة، في كل مرة يجدد الوضوء للصلاة، فلما أحس بالموت، قال: " أوتروا لي قوسي " فقبض عليه، فقُبضت روحه والقوس في يده. ابن حبان، الثقات (ج24/6)، الذهبي، سير (ج 70/7).

[4] مدينة مشهورة بخراسان ، كانت تسمى الاسكندرية قديماً نسبة إلى الإسكندر، والذي قيل أنه بناها وينسب إليها خلق كثير. ياقوت، معجم البلدان (ج480/1).

[5] الطرطوسي، سير الثغور (ص 55).

[6] ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج320/6).

[7] ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج248/6)، الذهبي، تاريخ الإسلام (ج289/4).

[8] الذهبي، تاريخ الاسلام (ج296/4).

[9] ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج349/4).

[10] يكنى أبا علي، ولد بخراسان بكورة أبيورد، وقدم الكوفة وهو كبير فسمع الحديث من منصور بن المعتمر وغيره، ثم تعبد وانتقل إلى مكة فنزلها إلى أن مات بها في أول سنة 187هـ/802م في خلافة هارون الرشيد ، وكان ثقة ثبتاً فاضلاً عابداً ورعاً كثير الحديث. ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج43/6)

لقبه العلامة عبد الله بن المبارك في قصيدته المشهورة "عابد الحرمين"، والتي كان هذا مطلعها[2]:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنك في العبادة تلعب

من كان يخضب جيده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضب

أو كان يتعب خيله في باطل ... فخيولنا يوم الصبيحة تتعب

وريح العبير لكم ونحن عبيرنا ... رهج السنابك والغبار الأطيب

ولقد أتانا من مقال نبينا ... قَوْل صدوق صادق لا يكذب

لا يستوي وغبار خيل الله في ... أنف أمرئ ودخان نار تلهب.

---

[1] ابن عساكر، تاريخ دمشق (125/7)، ابن الجوزي، صفة الصفوة (ج259/4)، الذهبي، تاريخ (ج800/4).

[2] الذهبي، تاريخ الإسلام (ج882/4).

# الفصل الخامس:

# دور الثغور في العصر العباسي الأول

بعد أن اطلعنا على شكل المجتمع الثغوري، وعلى أشكال الحياة التي كانت تمارس في الثغور، وعلى الأحوال الاقتصادية والثقافية والعلمية التي كانت سائدة هناك في ذلك العصر، سنتطرق في هذا الفصل إلى الدور الذي لعبته الثغور، والذي يتنوع ويمتد ليشمل مجالات متنوعة بما فيها الدور السياسي والحضاري والأمني والعسكري بالإضافة إلى الدور الاقتصادي .

## المبحث الأول: الدور السياسي

أبدى المسلمون اهتماماً واضحاً بالمنطقة الثغرية؛ لما لتلك المنطقة من مكانة أمنية وعسكرية واقتصادية وموقع استراتيجي، وعملوا على فتحها وضمها إلى حدود الدولة الإسلامية الفتية، وقد تم ذلك الفتح في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، ولقد كانت مدن شمال الشام والجزيرة أسهل البلاد فتحًا، لأن أهلها رأوا أنهم بين العراق والشام وأن تلك المناطق قد خضعت لسيطرة المسلمين، فأذعنوا بالطاعة، فصالح المسلمون أغلبهم على الجزية والخراج[1]، وبعدها أسلم الكثير من أهلها مباشرة، لما رأوه من معاملة حسنة وسياسة جيدة عاملهم بها المسلمون، كما أن العرب المسلمين الذين قدموا مع جيوش الفتح واستوطنوا تلك الديار ساهموا في نشر الدين الإسلامي ما أدى لاعتناق الكثير من السكان لهذا الدين الحنيف[2].

ولما قامت الخلافة الأموية عُدت المنطقة الثغرية جزءاً أصيلاً من سيادة الدولة الإسلامية، بل إنها اتخذتها قاعدة للانطلاق صوب الدولة البيزنطية وعاصمتها القسطنطينية، التي حوصرت أكثر من مرة في العهد الأموي ووقفت جنود المسلمين على أسوارها، لذا وضعت نُصب أعينها إعمار تلك الثغور والمحافظة عليها، وصد الهجمات الرومية عنها، والتي لم يُذكر أن الروم استطاعوا اختراقها إلا نادراً؛ بسبب يقظة القيادات الإسلامية وتحصينها لخط الحدود من جهة، وقيامها بهجمات مستمرة ضد الدولة البيزنطية، وتوغلها في العمق باتجاه القسطنطينية نفسها من جهة أخرى[3].

---

[1] البلاذري، البلدان (ص ١٧٦)، ياقوت، معجم البلدان (ج135/2).

[2] حمودي، الجزيرة الفراتية (ص 67)

[3] الصلابي، الدولة الأموية (ص ص 400–401).

وما أن سقطت الخلافة الأموية سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م وانتقال مقاليد الحكم إلى العباسيين، حتى ورثوا إمبراطورية مترامية الأطراف، وورثوا معها تركة صراع عسكري مع عدو لدود بُني جزء كبير من تلك الإمبراطورية على أملاكه، فقد كانت بلاد الشام جزءاً مهماً من أملاك الدولة البيزنطية فقدته على يد الجيوش الإسلامية الفاتحة، وأصبحت تلك المنطقة تابعة للدولة الإسلامية بعد أن استطاع المسلمون استخلاصها وضمها إلى دولتهم الفتية[1].

وعلى الرغم من طول فترة السيطرة الإسلامية على تلك المناطق، إلا أن عين الروم لم تزل عليها، فالإغارات الرومية لم تتوقف على شمال الشام وحدودها الغربية طوال تلك الفترة، خاصة وأن هناك عددًا من الأباطرة البيزنطيين كان لديهم اعتقاد بإمكانية استعادة تلك المناطق من المسلمين وإعادتها إلى حظيرة الإمبراطورية البيزنطية، وأن طول فترة حكم المسلمين لهذه المناطق ليس كافياً لاستحالة عودتها، وظهرت تلك الفكرة واضحة فيما بعد في ما يسمى بحروب الاسترداد التي خاضها الإمبراطور حنا تزيمسكس (والذي يسميه العرب بابن الشمشقيق)، وكذلك أثناء الحملة الصليبية الأولى[2].

وفيما يلي سنتعرف على أبرز ملامح الدور السياسي التي لعبته الثغور في تلك الفترة:

**أولاً: تبادل السيطرة على الثغور**

استمرت مناطق الثغور ساحة للصراع العسكري والسياسي بين الجانبين حتى بعد سيطرة العباسيين على الحكم، وقد استغل البيزنطيون انشغال العباسيين في ترتيب بيتهم الداخلي في بداية قيام دولتهم، والذي تمثل في نقل عاصمتهم من دمشق إلى بغداد، وانشغالهم أيضاً في التصدي للحركات المناوئة لحكمهم، وفي القضاء على آخر فلول بني أمية، الأمر الذي اضطرهم لتغيير استراتيجية المواجهة مع الروم، لذلك وجد البيزنطيون فرصة للتوسع في المناطق الحدودية في آسيا الصغرى وشمال الشام، واستولوا على عدد من الحصون بالإضافة إلى مدينتي ملطية والحدث الثغريتين[3].

---

[1] محمد، التوجهات في العلاقات (ص 21).

[2] المرجع السابق، ص 33

[3] مصطفى، دولة بني العباس (ص 365)، محمد، التوجهات في العلاقات (ص 14).

ولم تستعد الدولة العباسية قدرتها في التصدي للبيزنطيين إلا بعد مرور أكثر من عامين على قيامها، حيث بدأت في إرسال الحملات العسكرية وحملات الشواتي والصوائف؛ لاستعادة ما استولى عليه البيزنطيون، ولإزالة التهديد والخطر عن باقي الثغور، لذا أصبحت تبعية تلك القلاع والحصون بين مد وجزر ما بين الفريقين، وأصبحت الحدود السياسية لكلا الدولتين غير ثابتة، فقد تندفع تلك الحدود باتجاه العمق البيزنطي أو تنكمش إلى العمق الإسلامي، وذلك تبعاً لقوة الطرفين وضعفهما وعلى هذا كانت الحال طول فترات الصراع، وكانت الرغبة في السيطرة على الثغور مرتبطة بطلب وتوسيع النفوذ والسيادة، بالإضافة إلى دفع الخطر عن العاصمتين المتقابلتين بغداد والقسطنطينية[1].

وبالإمكان أخذ فكرة عن حركة المد والجزر الحربي من خلال متابعة الغزوات والعمليات الحربية التي حققها الخلفاء واحداً تلو الآخر، ففي عصري أبو العباس والمنصور لم يتغير كثيراً شكل الحدود السياسية، حيث لم تشهد المنطقة أعمالاً حربية واسعة بخلاف بعض الصوائف، إلا أن التغيرات الواضحة حدثت عندما بلغ الجهاد والتوسع ذروته في الفترة التي امتدت ما بين خلافة المهدي والمعتصم، وتخللتها فترة الرشيد والتي كانت فيها بلاد الروم تحت الضغط الإسلامي المتواصل، ذلك الضغط الذي بدأ يتراجع في عهد الواثق إلى أن انتهى في عهد من جاء بعده[2].

وكدليل على الأهمية السياسية لتلك الثغور أن الخلفاء كانوا يباشرون الحرب على أرضها بأنفسهم ويخرجون إليها بالجيوش المحاربة، كما فعل المهدي ثم الرشيد ثم المأمون الذي توفي وهو غاز في طرطوس[3]، ثم المعتصم ثم الواثق، هذا بالإضافة أن ولاتها لابد وأن يكونوا من البيت العباسي وقلما عُهد بأمرها لأحد غيرهم، فقد تولاها المنصور عندما كان ولياً للعهد ثم عبد الله بن علي ثم أخيه صالح، ثم العباس بن محمد وذلك في زمن المنصور، ثم عبد الملك بن صالح العباسي ثم القاسم بن الرشيد وذلك في زمن الخليفة الرشيد، ثم العباس بن المأمون في عهد الخليفة المأمون[4].

---

[1] مصطفى، دولة بني العباس (ج2/ ص ص 325-326).

[2] المرجع السابق، ص 300

[3] السيوطي، تاريخ الخلفاء (ص 230).

[4] مصطفى، دولة بني العباس (ج2/ص ص 333-334).

ومنها أيضاً كانت تُرسل الحملات لقمع الخارجين على الدولة في أطراف الخلافة الساحلية، فقد أرسل الخليفة المأمون أسطوله البحري المرابط في ثغر طرطوس بقيادة علي بن الجروي سنة 210هـ/825م إلى ميناء تنيس المصري لقمع فتنة داخلية حدثت في عهده في مصر [1].

**ثانياً: ساحة للصراع الأموي العباسي**

وعلى صعيد آخر فقد كانت مناطق الثغور ساحة للصدام المسلح بين الخلافة الأموية الآفلة والدولة العباسية الصاعدة، وعلى أرضها كانت آخر المعارك العسكرية بين الطرفين، حيث شهدت الثغور الشامية أحداث نهاية الدولة الأموية.

فما أن تولى أبو العباس السفاح زمام الخلافة، كان لزاماً عليه أن يقضى على النفوذ الأموي في بلاد الشام، والممثل في الخليفة الأموي مروان بن محمد وقواته المرابطة في موقع الزاب[2]، حيث كان مروان قد جمع جيشًا قُدر بحوالي مائة وعشرين ألفًا من فرسان الشام و الجزيرة، وتوجه نحو حران، ثم إلى الموصل فنزل على دِجلة وحفر خندقًا، وتمركز في الضفة الشمالية من نهر الزاب الكبير [3].

فأرسل له أبو العباس السفاح جيشاً بقيادة عبد الله بن علي والذي توجه إلى الزاب، وبدأ الصدام المسلح بين الجيشين في جمادى الأول سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م، واستمر القتال عشرة أيام استطاع خلالها عبد الله بن علي هزيمة مروان بن محمد[4]، الذي فر بعد الهزيمة إلى الموصل ثم حران ثم دمشق ثم العريش ثم إلى مصر، وهناك لحق به أحد قادة العباسيين وقتله وأرسل رأسه للخليفة العباسي السفاح في آخر ذي الحجة من سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م[5].

وبهزيمة الخليفة مروان بن محمد في موقعة الزاب ومقتله في مصر تكون بذلك قد سُطرت نهاية الدولة الأموية والتي استمرت تسعة عقود.

---

[1] عبيد، واقع البحرية (ص 9).

[2] بلد يقع شمال العراق ما بين الموصل وأربيل، تجاوز اقليم الجزيرة، يمر بها نهران سميا بالزاب الكبير والزاب الصغير. ياقوت، معجم البلدان (ج123/3).

[3] الطبري، تاريخ (ج٧/432).

[4] المصدر السابق (ج434/7).

[5] ابن خياط، تاريخ (ص404).

**ثالثاً: ساحة للثورات الأموية**

فقدت بلاد الشام في العصر العباسي مكان الصدارة بين الولايات الإسلامية والتي كانت تتمتع بها إبان الحكم الأموي، ونظر خلفاء بني العباس إلى بلاد الشام بعين الريبة والحذر بسبب ولائهم الخالص للأمويين من جهة، ومن جهة أخرى فقدهم المكانة والامتيازات الخاصة التي حصلوا عليها في العصر الأموي، وقد استعمل الخلفاء العباسيون وأمراؤهم الشدة في تعاملهم مع أهل الشام، لذلك شهدت مناطق الثغور سلسلة من الثورات ضد الحكم العباسي.

تلك الثورات والتي كان يغلب عليها الطابع السياسي والديني، أشعلها أتباع بني أمية الذين آلمهم سقوط دولة الأمويين، فكانت كرد فعل على سقوطها، وكان الهدف منها القضاء على الدولة العباسية، وقد بدأت تلك الثورات بمجرد دخول العباسيين دمشق، وتركزت في بلاد الشام بشكل عام، وفي مناطق الثغور بشكل خاص، كون تلك البلاد كانت أكثر مناطق الدولة تضرراً وأكثرها بعداً عن مركز الحكم الجديد، وقد اتخذت تلك الثورات عقيدة السفياني[1] شعاراً لها[2].

ومن أبرز تلك الثورات التي حدثت في بلاد الثغور، ثورة أبي الورد مجزأة بن الكوثر بن زفر الكلابي[3]، الذي قاد أهل قنسرين وحلب في ثورة ضد العباسيين[4]، وقد كان سببها اعتداء قواد عبدالله بن علي العباسي على ورثة مسلمة ابن عبد الملك الأموي بمدينة بالس[5]، ما أغضب أبو الورد الذي تحرك على رأس أربعمائة فارس إلى بالس ودخلها، وقتل القائد العباسي المعتدي

---

[1] ظهرت تلك العقيدة في بلاد الشام بعد سيطرة العباسيين عليها، وتقول هذه النبوءة بظهور شخص من ولد أبي سفيان سينقذ أهل الشام من الظلم العباسي، ويقضي على حكم العباسيين، ويتخذ من بلاد الشام قاعدة لملكه. الزبيري، نسب قريش(ص 129).

[2] الرقب، أثر الحركات (ص 58).

[3] هو مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحارث أبو الورد الكلابي من سادات قيس، كان من قادة الخليفة الأموي الأخير مروان بن محمد، ولما انتهت الخلافة الأموية بمقتل مروان، بايع العباسيين ممثلين في القائد عبد الله بن علي، إلا أنه خرج عليهم وقاد ثورة ضدهم بمنطقة الثغور إلا أنها سرعان ما انتهت. ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج48/57).

[4] ابن كثير، البداية (ج52/10).

[5] ابن عساكر، تاريخ (ج81/7)، مصطفى، دولة بني العباس (ج196/1).

وعاث فيها خراباً ودماراً[1]، إلا أن الخليفة العباسي أبو العباس طلب من قائده عبد الله بن علي قمع الثورة، فجرت سلسلة من الوقائع انتهت بهزيمة أبي الورد وإنهاء ثورته[2].

وما إن انتهت ثورة أبي الورد حتى ظهرت ثورة أخرى بحلب قادها العباس بن محمد حفيد معاوية، إلا أنها سرعان ما أُخمدت على يد مقاتل بن حكيم العكي[3] الوالي العباسي على الجزيرة وأرمينيا، حيث دخل حلب عنوة وهزم العباس[4].

وسرعان ما قامت ثورة أخرى قام بها أهل الجزيرة حينما حاصروا القائد العباسي موسى بن كعب، وكان يقودهم اسحق بن مسلم العقيلي[5]، والذي أتى من أرمينيا بعد أن هرب إليها بعد سماعه بوفاة مروان بن محمد، الذي كان قد أعطاه البيعة حينما كان خليفة للأمويين، وقد تحصن العقيلي بسميساط، واجتمع إليه ستون ألف مقاتل من كافة أهل الجزيرة، واتجه إليه أبو جعفر وعبد الله بن علي وحاصروه بسميساط لسبعة أشهر، وانتهت ثورته بعقد الصلح[6].

تبع ذلك ثورة قام بها إبان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك، حيث قاد أربعة آلاف شخص من بقايا جند اسحق ودخل بهم إلى سميساط، وتحصن بها إلا أنه هُزم أيضاً على يد عبد الله بن علي وانتهت ثورته[7].

**رابعاً: موطن لثورات الطامعين في الخلافة والخارجين عليها**

شهدت مناطق الثغور بُعيد إقامة الخلافة العباسية صراعات عديدة على السلطة، فما أن تشكلت الدولة حتى بدأ عوامل الاختلاف والتفرق في الظهور، فقد بدأ عدد من قادة الثورة

---

[1] مسكويه، تجارب الأمم (ج526/2)، مصطفى، دولة بني العباس (ج196/1).

[2] ابن خياط، تاريخ (ص 412)، الطبري، تاريخ (ج444/7).

[3] من أهل مرو، من قادة بني العباس، كان والياً على حران، ثم ولي المنصور في إمرة ثغور الجزيرة وأرمينيا واذربيجان عندما طلب منه أبو العباس التوجه لإقامة الحج. (ابن خياط، تاريخ(ص 433).

[4] ابن العديم، زبدة الحلب (ص 33).

[5] إسحاق بن مسلم بن ربيعة بن عاصم ابن حزن بن عامر أبو صفوان العقيلي، كان قائدا من قواد مروان بن محمد وولي أرمينية وشهد مع مروان عدد من حروبه، وبعد معركة الزاب هرب إلى أرمينية ومن ثم انحاز إلى أهل الجزيرة الذي ثاروا على العباسيين. ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج280/8).

[6] الطبري، تاريخ (ج444/7)، مصطفى، دولة بني العباس (ج199/1).

[7] ابن العديم، زبدة الحلب (ص 33).

العباسية ومن معهم من الأنصار والذين قامت على أكتافهم الدعوة، بالتمرد والانتفاضات والثورات على السلطة العباسية رغبة منهم في الحصول على منصب الخلافة، وكذلك ظهور بعض الخارجين عن الخلافة والذين كانوا يرغبون في الاستقلال عن سلطان الخلافة، وكانت مناطق الثغور بيئة ملائمة لذلك لبعدها عن مركز الخلافة، وقربها بلاد العدو، ولعداء أهلها الكبير لبني العباس، فكانت مسرحاً لبعض تلك الصراعات، وعلى أرض مدنها قامت المعارك لحسم تلك الخلافات، والقضاء على أطماع الخارجين، وأهم تلك الثورات:

**أ – ثورة عبد الله بن علي العباسي 136هـ/٧٥٤ م:**

كان عبد الله بن علي قد أُرسل على يدي الخليفة أبو العباس قبل وفاته على رأس صائفة لغزو بلاد الروم، ومعه جنود من أهل الشام والجزيرة وخراسان والموصل، وسار عبد الله بالصائفة حتى وصل دلوك ومنها إلى درب الحدث[1]، وهناك وصلته الأنباء بوفاة أبي العباس وبيعة أبي جعفر المنصور، فعاد بالجيش مدعياً أحقيته بالخلافة من أبي جعفر، بناءً على وعد من أبي العباس السفاح له عندما وجهه لقتال مروان بن محمد بأنه سيكون ولي عهده[2]، وجمع جيشه ونزل بهم في نصيبين وتحصن بها، بعد أن جمع كل ما يحتاجه من رجال وسلاح وأطعمة وأعلاف، وحفر خندقاً وسد الطرق، فأرسل له الخليفة أبو جعفر المنصور القائد أبو مسلم الخراساني على رأس جيش لقتاله[3]، واستمر القتال لعدة أشهر، انتهى بهزيمة عبد الله بن علي في ٧جمادى سنة ١٣٧هـ/٧٥٥م، والذي فر من المعركة مع أخيه عبد الصمد بن علي، حيث استقر الأخير في ثغر الرصافة، وأما عبد الله فقد فر إلى البصرة، وأقام عند أخيه سليمان متواريًا عن الأنظار إلى أن عفا عنه المنصور، إلا أنه لم يأمن جانبه فأمر بقتله سنة ١٤٧هـ/٧٦٤ م[4].

ونتيجة لذلك وليضمن عدم تكرار حركات التمرد، فقد أعاد الخليفة أبو جعفر المنصور تقسيم الشام إلى سابقه في العهد الأموي، حيث كان قد قُسم في بداية حكمه إلى ولايتين كبيرتين، حلت محل الأجناد الخمسة التي كانت في العهد الأموي، الأولى ضمت أجناد قنسرين ودمشق

---

[1] الطبري، تاريخ (ج474/7).

[2] ابن خياط، تاريخ (ص٤١٢)، ابن الأثير، الكامل (ج51/5).

[3] الطبري، تاريخ (ج476/7)، الأزدي، تاريخ الموصل (ج362/1).

[4] ابن خياط، تاريخ (ص ٤٣٣)، الأزدي، تاريخ الموصل (ج364/1).

والأردن وحمص وعين عليهما عبدالله بن علي، والثانية ضمت جند فلسطين والبلقاء وعين عليها صالح بن علي القائد العباسي الشهير[1].

ولما شعر الخليفة المنصور بخطورة أن تُضم الأجناد في يد والي واحد، جعل قنسرين والعواصم تحت صالح بن علي، والأردن تحت محمد بن ابراهيم، ودمشق تحت الفاضل بن صالح، وحمص تحت عبد الله بن صالح، والجزيرة تحت العباس بن محمد.

**ب - ثورة الوليد بن طريف الخارجي 198هـ/800م**

كان الوليد بن طريف بن عامر الخارجيّ التغلبي [2] والياً على حلب وقنسرين بعد واليها السابق عبد الملك بن صالح[3]، وفي سنة 178هـ/800م خرج الوليد على الخليفة الرشيد بأرض الجزيرة، ثم توجه إلى أرمينية واستولى عليها، ثم قصد أذربيجان ثم حوران ثم عبر إلى غربي دجلة، وقصد مدينة بلد، وقد هزم عدة جيوش للرشيد وفتك بهم وهو يقول[4]:

أنا الوليد بن الطريف الشاري ... أخرجني ظلمكم من داري

ثم عاد إلى الجزيرة واشتدّت شوكته، وكثر تبعه، فوجّه الرشيد إليه يزيد بن مزيد الشيبانى سنة 179هـ/801م، فراوغه يزيد إلى أن ظنّ أنّه كرهه، ثمّ التمس غرّته حتّى وجدها فقتله وجماعة كانوا معه، وحمل رأسه إلى هارون فاعتمر شكراً للّه على ما أبلاه وكفاه[5]، وقد رثته أخته فاطمة بنت طريف بقصيدة مشهورة كان مطلعها[6]:

أيا شجر الخابور ما لك مورقاً ... كأنّك لم تحزن على ابن طريف .

**ت - ثورة نصر بن شبث العقيلي 189-810هـ/ 813-825م**

يُعد نصر بن شبث أبرز من قاد الثورات ضد الخلافة العباسية من على أرض الثغور، فقد خرج نصر على المأمون سنة198هـ/814م في ثغر كيسوم شمال حلب، حيث كان من أتباع

---

(1) البلاذري، فتوح البلدان (ص 169)، الملحم، العلاقات السياسية (ص ص 3-4).

(2) هو الوليد طريف بن عامر الخارجيّ، من بني صيفي بن حيّ بن عمرو بن بكر بن حبيب من قبيلة تغلب. ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج/304)، ابن خلدون، تاريخ (ج360/2).

(3) ابن العديم، زبدة الحلب (ص 39).

(4) المقدسي، البدء والتاريخ (ج102/6).

(5) الطبري، تاريخ (ج6/ ص ص101-102).

(6) مسكويه، تجارب الأمم (ج523/3).

الأمين وفي عنقه بيعة له، ولما قُتل الأمين غضب نصر، فتغلب على ما حوله من البلاد من ثغور الجزيرة، حيث ملك ثغر سميساط، واجتمع حوله خلق كثير من الأعراب، وأهل الطمع، وقويت شوكته، وعلى إثر ذلك عبر الفرات إلى الجانب الشرقي، ولما رأى الناس حركته، كثرت جموعه وزاد أتباعه[1].

فلما رأى الخليفة المأمون منه ذلك، أمر قائده طاهر بن الحسين بأن يسير إلى الرقة لمحاربة نصر بن شبث وولاه الموصل، والجزيرة، والشام، والمغرب، فسار طاهر لقتال نصر، وأرسل إليه يدعوه للطاعة وترك الخلاف، فرفض نصر الاستجابة لذلك، والتقى الجيشان بنواحي كيسوم واقتتلا قتالاً عنيفاً، أبلى فيه نصر بلاءً عظيماً وكان له النصر وعاد طاهر بن الحسين مهزوماً إلى الرقة[2].

وفي سنة 206هـ/822م أمر الخليفة المأمون عبد الله بن طاهر بن الحسين بالتوجه لقتال نصر بن شيث بعد أن عجز والده عن ذلك، بعد أن ولاه على مصر والشام، فسار عبد الله بن طاهر إلى الشام، وسيطر على الرقة، وبسط نفوذه على بلاد الشام، بعد أن هدم سور معرة النعمان[3]، وهدم معظم الحصون الصغار مثل حصن الكفر، وحصن حناك وغيرها، وسار حتى نزل بكيسوم وبها نصر بن شبث فحاصرها مدة من الزمن، وحدثت بينهما وقائع كثيرة، انتهت تلك الوقائع بهزيمة نصر بن شبث بعد أن استسلم لعبد الله بن طاهر وطلب الأمان سنة 209هـ/826م وجيء به إلى الخليفة المأمون[4].

**ث _ ثورات متفرقة**

بالإضافة إلى ما سبق، فقد شهدت الثغور مجموعة من الثورات المحدودة والتي كان من أبرزها:

---

[1] الطبري، تاريخ (ج8/ص 527)، ابن الأثير، الكامل (ج460/5).

[2] الطبري، تاريخ (ج529/8)، ابن الأثير، الكامل (ج461/5)، ابن العديم، زبدة الحلب (ص 39).

[3] بلد كثيرة التين والزيتون، تقع بين حماة وحلب، وبينها وبين حلب ستة وثلاثون ميلاً. المهلبي، المسالك والممالك (ص 86).

[4] ابن الأثير، الكامل (ج538/5)، ابن العديم، زبدة الحلب (ص40)، ابن كثير، البداية (ج287/10).

1 – ثورة العباس بن زفر الهلالي[1] الذي تغلب على مدينة قورس وما يجاورها من كور العواصم، ثم سيطر بعد ذلك على قنسرين سنة 196هـ/812م، مستغلاً بذلك الفتنة التي حدثت بين الأمين والأمين وانحياز أهل الشام للأمين، فتوجه إليه طاهر بن الحسين برسالة سنة 199هـ/815م، وهو في طريقه لقتال نصر بن شبث حثه فيها على الاستسلام وهدده، وانتهى ذكره سنة 208هـ/823م بعد سيطرة عبدالله بن طاهر على بالس وكيسوم، والقضاء على ثورة نصر بن شبث سنة 209هـ/824م[2].

2 – ثورة عثمان بن ثمامة العبسي[3]، الذي استغل أيضاً فتنة الأمين والمأمون، واستطاع السيطرة على المنطقة الممتدة ما بين قنسرين وأفاميا وأنطاكية، وتواصل مع النصارى في شمال الشام، وزار دير قنسرين على طريق الفرات، وزار كنيسته التي حرقت وخربت، واستجاب لطلب النصارى بإعادة بنائها، بل طالب أتباعه من الأمراء على المناطق التي تحت سيطرته بالمساعدة في ترميم الكنائس والأديرة وإعادة المتهدم منها، وساعد نصارى أنطاكية بأن طرد أتباع المتمردين على بطريرك أنطاكية المُنصب رسمياً[4].

وقد انتهت ثورة عثمان سنة 208هـ/823م بعد أن رأى سيطرة عبد الله بن طاهر على بالس، وتدميره لها والقبض على أصحاب طاهر بن الحسين، فلما علم ثمامة بتلك التطورات قام بالاستسلام لعبد الله بن طاهر وأدى له ولاء الطاعة[5].

---

[1] هو العباس بن زفر الهلالي من قبيلة القيسية والده وإخوته من قادة بني العباس، وكان من أبرز جلساء الرشيد، استعمله والي الرشيد عبد الملك بن صالح على الشام عاملاً على الثغور سنة 177هـ/793م. ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج40/19)، ابن العديم، بغية الطلب (ج380/8).

[2] اليعقوبي، تاريخ (ج313/2)، الرواضية، جند قنسرين (ص ص 113–115).

[3] كان جده الوليد العبسي قائداً أموياً وكان والياً على قنسرين، تولى قيادة الصائفة في عهد كل من المنصور والمهدي، ولما تولى الرشيد كان ثمامة شيخاً كبيرا وكان على اتصال مع الرشيد، حاول نصر والعباس أن يضماه إلى ثوتهما إلا أنه رفض. البلاذري، فتوح (ص 208)، ابن خياط ، تاريخ (ص430).

[4] اليعقوبي، تاريخ (ج313/2)، الرواضية، جند قنسرين (ص 115–116).

[5] الرواضية، جند قنسرين (ص 117).

## المبحث الثاني: الدور الحضاري والثقافي

بالرغم من أن الغالب على العلاقة الإسلامية البيزنطية هو طابع الصراع العسكري والسياسي، وأن السيف هو اللغة التي كان يتحاور بها الطرفان، إلا أنه لوحظ أن العلاقة بينهما فيما يخص المستوى العلمي والحضاري والتجاري كانت بشكل عام أقرب إلى الحياد، لذلك نرى أن الصلات في المستويات السابقة كانت دائماً قائمة[1].

فقد لعبت الثغور الإسلامية وكذلك الثيمات والبنود البيزنطية وبالرغم من أن الأساس والهدف الذي أُنشئت من أجله كان عسكرياً، دوراً ثقافياً كبيراً نتيجة للاحتكاك المتواصل بين الجانبين، والذي ترتب عليه تأثير وتأثر متبادل على أرض الواقع وعلى شكل العلاقة بين الطرفين، فموقع تلك الثغور كان يخولها الإطلالة على مكونات الحضارة البيزنطية والاحتكاك معها، بل إنها أيضاً كانت مراكز لتلك الحضارة، وخاصة في فترات ما قبل الفتح الإسلامي لتلك المناطق، وبالرغم من الزحف السريع للصبغة العربية الإسلامية إلى داخل الأمصار، فإن مناطق الثغور كان تأثرها بتلك الصبغة أقل لأنها واقعة تحت تأثير الجوار الحضاري لبيزنطة[2].

### أولاً – أدوات التأثر والتأثر

كان لانتقال المظاهر الحضارية والثقافية بين الجانبين عبر الثغور أو ما يقابلها في الجانب البيزنطي عدة طرق وأدوات، وقبل الحديث عن الدور الحضاري الثقافي الذي لعبته الثغور، سنعرض لأبرز الأدوات التي تم من خلالها ذلك التأثير:

### أ –الترجمة:

ساهمت الترجمة بشكل كبير في الازدهار والتطور العلمي والأدبي في العصر العباسي الأول، وقد لعبت الثغور دوراً هاماً في ذلك، حيث كانت ممراً للكتب اليونانية التي ذهب الرسل لإحضارها وكان ينشط الطلب عليها، وربما تُرجم بعضها في مدنها الرئيسية كحلب وأنطاكية[3]،

---

(1) مصطفى، دولة بني العباس (ج339/2).

(2) المسعودي، التنبيه والإشراف (ص 155)، محمد، التوجهات (ص 29).

(3) ابن خلدون، العبر (ج2/ص ص292-471).

كما وكانت المخطوطات اليونانية تُنقل من آسيا الصغرى إلى مدن الثغور الشامية والجزرية، تبعاً لنشاط حركة التبادل في الفترات الخالية من الحروب، وهي فترات عديدة، نظرًا لأن الحروب كانت موسمية وعبارة عن حملات عسكرية تغزو وتنسحب بالإضافة إلا أنها كانت تنشب في أوقات محددة وخاصة في فصل الصيف[1].

ونظراً لقرب مدن الثغور من حران[2]، والتي كانت تعد مقراً للصابئة، والتي اشتهرت في العصر العباسي بكثرة علمائها وفلاسفتها، الذين ساهموا بدور كبير في ترجمة الكتب من اليونانية للعربية ، أثر كبير في دخول الأفكار والمؤلفات إلى بلاد المسلمين، وقد برز من علماء الثغور يعقوب بن محمد الحاسب(أبو يوسف المصيصي) والذي اهتم بعلم الهندسة وألف عدة كتب منها: كتاب الوصايا[3] وكتاب الجبر والمقابلة، وكذلك أبو الحسن المصيصي الذي برع في علم الفلك والهندسة وألف كتاب " القرانات" الذي يتحدث عن علم الفلك وحركة الكواكب والنجوم [4].

ولقد شهد العصر العباسي الأول أوج أعمال النقل الثقافي، بعد اتجاه عناية الخلفاء العباسيين للاطلاع على الثقافات الأخرى[5]، فقد اعتنى الخليفة المنصور بنقل كتب النجوم والطب[6]، ثم جاء الرشيد ووزراءه البرامكة، والذين نشطت الترجمة في عهدهم نشاطاً واسعاً، وكان مما زاد في نشاطها إنشاء دار الحكمة (أو خزانة الحكمة)، وتوظيف طائفة كبيرة من المترجمين بها، وجُلب لها الكتب من بلاد الروم عبر مناطق الثغور وقاموا بترجمتها، ومن أبرزها كتاب المجسطي[7]، وكان الرشيد يولى إدارة هذا العمل ليوحنا بن ماسويه من مدرسة

---

[1] عبد اللطيف، السيرة النبوية (ص 367)، محمد، التوجهات (ص 29).

[2] وهي أول مدينة بنيت بعد بابل، وهي مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، وهي قصبة ديار مضر، بينها وبين الرّها يوم وبين الرّقّة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم. ابن الفقيه، البلدان (ص 458)، ياقوت، معجم (ج235/2).

[3] ابن النديم، الفهرست (ج254/2).

[4] ابن النديم، الفهرست (ج246/2)، المقريزي، المواعظ والاعتبار (ج19/2).

[5] الرواضية، جند قنسرين (ص 297).

[6] الدينوري، المعارف (ص 54).

[7] يحتوى الكتاب على خلاصة ما توصل إليه قدماء اليونان في علم الفلك، ويعتبر المرجع الأساسي في العالم الإسلامي وفى أوربا إلى عصر النهضة، ونُقل الكتاب إلى اللغة العربية أكثر من مرة. ابن واصل، مفرج الكروب (ج344/5).

"جنديسابور"[1]، وهو طبيب من الأطباء النساطرة، حيث قلده الرشيد ترجمة الكتب القديمة، التي وُجدت بأنقرة وهرقلة وغيرها من بلاد الروم، ووضعه أميناً على الترجمة، ووضع له كتاباً حذقة بين يديه، ومات سنة 243هـ/858م وله عدة مؤلفات في الطب وتركيب الأدوية[2].

وفي عصر المأمون اتسعت حركة النقل بشكل كبير، حيث أن الخليفة المأمون لما هادن صاحب جزيرة قبرص، أرسل إليه يطلب خزانة كتب اليونان، وكانت مجموعة عندهم في بيت لا يظهر عليه أحد، فأرسلها إليه واغتبط بها المأمون كثيراً وجعل سهل بن هارون[3] خازناً لها[4].

**ب – السريان ودورهم:**

ساهم السريان النساطرة[5] في ازدهار الحياة العلمية، حيث كانوا يشكلون نسبة كبيرة من سكان بعض الثغور، وكانت لديهم نهضة علمية واسعة في الكنائس والأديرة، خصوصاً في مدرسة الرها ومدرسة نصيبين، ومدرسة دير قنسرين، في إقليم الجزيرة[6]، والتي لقربها من منبج؛ جعل العلوم تنتقل بين ضفتي الفرات عبر جسر منبج بشكل سهل وميسر[7].

---

[1] مدرسة قديمة في بلاد فارس، غير عربية، أُنشئت قبل الإسلام واستمرت حتى العصر العباسي، اشتهرت في الطب، وكان عماد دراستها فيه ما ألفه اليونان، وما نقله منها علماء السريان. جواد، المفصل (ج15/321).

[2] ضيف، العصر العباسي الأول (ص 112).

[3] سهل بن هارون بن راهيون الدستميساني، أبو عمر؛ انتقل إلى البصرة واتصل بخدمة المأمون وتولى خزانة الحكمة له، وكان حكيماً فصيحاً شاعراً، فارسي الأصل شعوبي المذهب شديد التعصب على العرب، وله مصنفات كثيرة تدل على بلاغته وحكمته، مثل كتاب ثعلة وعفرة على مثال كليلة ودمنة، وغير ذلك من الكتب، وكان نهاية في البخل، وكانت وفاته بعد سنة 200هـ. ابن شاكر، فوات الوفيات (ج2/84).

[4] ابن نباتة، سرح العيون (ص 166).

[5] أمة السريان هي أقدم الأمم، وكلام آدم وبنيه بالسرياني، وملتهم هي ملة الصابئين، والنساطرة نسبة إلى نسطور، وهو راهب سوري صار قسيساً لكنيسة أنطاكية، ثم رئيس أساقفة القسطنطينية، وذلك عام428م، وقد اجتمع مجمع في أفسس سنة 431م للنظر في قوله في المسيح، إذ يقول: إن مريم لم تلد إلهاً، ولهذا لا تسمّى والدة الإله، بل والدة المسيح الإنسان، وقد جاء اللاهوت لعيسى بعد ولادته فاتّحد بالأقنوم الثاني، وبذلك وضع نسطور الأساس للقول بطبيعتين في المسيح، وهو ما أخذ به الكاثوليك فيما بعد، وقد خرج قرار بعزله ونفيه حيث مات في مصر منفياً سنة 450م، وانتشر قوله في الشرق خاصة فارس والعراق، وصار لهم نشاط في الهند والصين. الأنطاكي، تاريخ (ص253)، الراسي، البحث الصريح (ص71).

[6] الرواضية، جند قنسرين (ص295).

[7] الغزي، نهر الذهب (ج1/441).

وقد قام النساطرة السريان وعبر أديرتهم وكنائسهم التي كانت تنتشر في بلاد الثغور، والتي تركها المسلمون قائمة على حالها، بدور كبير في إيصال الثقافة اليونانية للعرب، فقد نشطوا في ترجمة الكتب اليونانية إلى السريانية، ومن ثم ترجموها إلى العربية، لأنهم كانوا أقدر على الترجمة من اليونانية، وكان أشهرهم: آل بختيشوع، وآل حنين، وقسطا بن لوقا، وغيرهم[1].

وبفضل ذلك تمكن العرب من الاطلاع على مؤلفات أبقراط وأرسطو وبطليموس وجالينوس وإقليدس[2]، وعكفوا على دراستها وتهذيبها ومخالفة ما وجدوا وجهاً لمخالفته، وقبول ما ثبت عندهم بعد التمحيص، وألفوا في ذلك كتبهم التي دلت على تقدمهم[3].

ولم يقتصر دور هؤلاء السريان على نقل الثقافة البيزنطية إلى المسلمين، بل إنه تم الاستعانة بهم في بعض وظائف الدولة الإدارية التي كانوا بارعين بها، وقد كان أكثر الأطباء والكتبة بالشام من النصارى السريان[4].

**ت – الأسرى:**

لعب الأسرى دوراً هاماً في التأثير والتأثر الثقافي، هؤلاء الأسرى الذين كان جزء مهم منهم من سكان الثغور، والذين كانوا يُؤسرون في الإغارات المتبادلة التي كانت تتم بين الفينة والأخرى على تلك الثغور، أو خلال مشاركتهم في الحملات العسكرية على أراضي الروم، فرغم تواصل القتال وشدته وضراوته، نجد أن أسرى الجانبين سواءً البيزنطيين أو المسلمين قد ساهموا في نقل ثقافته للجانب الأخر، فقد أصبح من بين الأسرى البيزنطيين من يتكلم العربية، وبين الأسرى المسلمين من يتكلم اليونانية، ونتيجة لذلك انتقلت كلمات عربية كثيرة إلى اللغة اليونانية، وانتقلت أيضاً كلمات يونانية إلى اللغة العربية، كما نقلوا بعض الصفات والطباع[5]، ومن شدة رواج اللغة العربية لدى الروم في تلك الفترة ما يذكره المؤرخون من أن مؤسس الأسرة الإيسورية الإمبراطور

---

[1] الدينوري، المعارف (ص 54).

[2] أسماء مشهورة في الحضارة اليونانية وكان لهم دور بارز فيها، ولهم مؤلفات في مجالات الطب والفلك والفلسفة وغيرها، وقد ترجمت كتبهم إلى لغات عدة وكان لهم الفضل على الثقافة الإنسانية بشكل كبير. جواد علي، المفصل (ج321/15).

[3] ابن خلدون، العبر (ج2/ص ص292–471).

[4] المقدسي، أحسن التقاسيم (ص 183).

[5] محمد، التوجهات في العلاقات (ص 29).

ليو الإيسوري[1]، كان يتكلم اللغة العربية، ويجيدها ويقرأ بها، حتى وصل الأمر ببعض أعدائه وخاصة بعد تبنيه وإعلانه لحركة اللا أيقونية لاتهامه بأنه ذو عقلية عربية[2].

**ث – التجار:**

لعبت التجارة عبر الثغور سواءً البرية أو البحرية دوراً بارزاً في التلاقح الحضاري بين المسلمين والروم، فلقد كانت الرباطات الحربية كطرسوس وأنطاكية وبالس وبيروت وعسقلان وغيرها، ذات تأثير خاص على تلك الصلات التجارية، فقد كان يوجد في كل رباط من تلك الأربطة المنتشرة في المراكز العسكرية أقوام يصرفون لسان الروم ولغتهم، ويذهبون إليهم على هيئة وسطاء يحملون إليهم المتاجر والرسائل وأصناف من الأطعمة[3].

ولم يكن باستطاعة بيزنطة الاستغناء عن التعامل مع تجار الشام المسلمين، أو الاستغناء عن منتجات العالم الإسلامي وتجارة الشرق، وخاصة أن تجار شمال الشام كانوا يقومون بدور الوسطاء لتلك التجارات، وهى المواد الضرورية للاقتصاد البيزنطي، وعلى هذا كانت دائماً تخفف من القيود التي تفرضها على التجارة والتجار القادمين إلى القسطنطينية، وخصصت بعض الموانئ لاستقبال تلك التجارة وأهمها ميناء طربيزون الذى كان يستقبل التجارات العربية الإسلامية الوافدة إلى بيزنطة خلال العصور الوسطى[4].

**ج – السفراء**

لقد أوجب الصراع والحملات العسكرية المتكررة والمتلاحقة بين الطرفين، وجود مراسلات وسفراء وبعثات دبلوماسية بينهما، سواء لمناقشة العلاقات التجارية والثقافية أو لوضع شروط

---

[1] يستمد ليو الثالث الإيسوري لقبه من إقليم إيسوريا Isauris في قليقية، فقد وُلد في هذا الإقليم من أبوين أرمنيين؛ وكان ليو رجلاً طموحاً، قوي الإرادة، مثابراً، صبوراً؛ وكان قبل اختياره للجلوس على العرش قد هزم عدة مرات جيوشاً إسلامية تفوق جيوشه؛ كما كان بعد ذلك سياسياً محنكاً، وهب الإمبراطورية الاستقرار بتطبيقه العادل للقوانين العادلة، وأصلح نظام الضرائب، وخفض من أعباء رقيق الأرض، ووسع نطاق الملكية الزراعية، ووزع الأراضي على الفلاحين وعمر الأقاليم المهجورة، وأعاد النظر في القوانين، ولم يكن يعيبه إلا سلطانه الأوتوقراطي. ديورانت، قصة الحضارة (ج157/14).

[2] محمد، التوجهات (ص29).

[3] مصطفى، الأسواق والمراكز ( ص 3).

[4] لويس، القوي البحرية (ص140).

للهدنات العسكرية، والتي يجد فيها الطرفان الفرصة الملائمة لتقوية الحصون والثغور والقلاع وتجديد الآلات الحربية وافتداء الأسرى بين الجانبين، والتي لا تتم إلا من خلال الاتصال الدبلوماسي بينهما[1]، ولاشك أن هناك تأثيرات ثقافية لازمت ذلك سواء في طريقة التعامل مع السفراء أو الهدايا التي كانوا يتبادلونها، أو في طريقة اختيار السفراء وثقافتهم وأسلوب عملهم والصلاحيات التي كانوا يُزودونها[2].

**ثانياً: مجالات التأثير والتأثر**

وأما أهم مظاهر التأثير والتأثر الثقافي الحضاري بين الجانبين، فقد كان أبرزها في المجالات الآتية:

**أ- في مجال العقيدة:**

كان من أهم القضايا التي يرى المؤرخون أنها كانت واحدة من ملامح التأثير الثقافي والعقائدي لدى البيزنطيين ما عُرف بقضية محاربة عبادة الصور "اللاأيقونية"[3]، وأن قيام تلك الحركة في عهد الإمبراطور ليو الإيسوري[4] كان بتأثيرات إسلامية واضحة، فالمعروف أن المناطق الشرقية من الإمبراطورية تأثرت بالمسلمين؛ نظرًا للاحتكاك المباشر والدائم بين الطرفين

---

[1] عبيد، المراسلات والهدايا (ص 11).

[2] محمد، التوجهات في العلاقات (ص 30).

[3] نتجت هذه الظاهرة بعد عكوف جمهرة من المسيحيين على عبادة الصور والتماثيل، والاعتقاد بالخرافات بخلاف تعاليم الإنجيل، كرهت الكنيسة أول أمرها رسم الصور ونحت تماثيل الآلهة وعدتها بقايا عن الوثنية، ولكن انتصار المسيحية في عهد قسطنطين، وتضاعف عدد القديسين المعبودين، نشأت الحاجة إلى معرفتهم وتذكرهم؛ فظهرت لهم ولمريم العذراء كثير من الصور، وتم تعظيم الصليب وأعطوه قوة سحرية عجيبة، وأطلق الشعب العنان لفطرته فحول الآثار، والصور، والتماثيل المقدسة، إلى معبودات، يسجد الناس لها،==== ويقبلونها، ويطلبون المعجزات بتأثيرها الخفي، وكان ذلك واضحاً في البلاد التي تتبع مذهب الكنيسة اليونانية بنوع خاص. ديورانت، قصة الحضارة. (ج14/ص ص157-158).

[4] هناك من يرى أن من الدوافع التي دفعت بالإمبراطور ليو الثالث لاتخاذ قراره بتدمير الصور ومحاربة الايقونات، أنه كان يأمل هذا التصدي أن يزيل إحدى العوائق الرئيسية لإقامة علاقات أكثر تقارباً بين المسيحيين وكلاً من اليهود والمسلمين، الذين يستنكرون عبادة الايقونات وكان يعتقد بأن التقارب الديني مع هاتين الطائفتين سوف يسهل عمليه إخضاعهم للإمبراطورية، ويعيد للإمبراطورية مناطق النفوذ التي خسرتها لصالح المسلمين من قبل. محمد، التوجهات (ص 31).

بمختلف صوره العسكرية والاقتصادية والثقافية، والمسلمون منذ البداية أعلنوا موقفهم من تلك الصور والتماثيل وكانوا يعارضونها أشد المعارضة ويعتبرونها شكلاً من أشكال الوثنية، لذلك كانوا دائمي المعايرة للنصارى بأنهم وهم أهل كتب إلا أنهم تحولوا إلى عباد للأوثان والصور، وكان هذا الموقف يأخذ صورًا مختلفة من التعبير والبروز [1].

هذا وقد تأثر الأرمن الذين كانوا يجاورون المسلمين بشكل واضح بموقف المسلمين من الصور والتماثيل، فنجد أنه في عهد الإمبراطور الأرميني فيليبكوس، والذي كان يتولى قيادة الجزء الشرقي والهام من الإمبراطورية البيزنطية، لم يعترض على تلك العداوة التي أظهرتها أرمينيا للصور والتماثيل واتخاذها رموزاً للعبادة، بل وسمح بالنقاش حول هذا الموضوع وكان مؤيدًا له، وأيده في ذلك الكثيرين من رجال الدين وقواد الجيوش والأباطرة الذين حاربوا عبادة الصور والأيقونات، ما أدخله في نزاع مع كنيسة روما[2].

وعُزي تركز المعارضين لعبادة الأيقونات في الولايات الشرقية للإمبراطورية البيزنطية لعدد من الأسباب، أولها وأهمها: هو مجاورة تلك الولايات للدولة الإسلامية والاحتكاك العسكري الدائم، وما أحرزته من تأثير فكري وعقائدي واضح وبارز، ثانيها: وجود طائفة البيالصة[3]، والذين كانوا على صلات بالمسلمين حيث كانوا يعارضون عبادة الصور، وكان لهم تأثيرهم وعلاقتهم الواضحة بالإمبراطور فيليبكوس، الذي أتاح لهم نشر أراءهم وأفكارهم في تلك الأنحاء، ثالثها: وجود اليهود والذين تواجدوا في الولايات الشرقية للإمبراطورية مثلهم مثل المسلمين، والذين كانوا يستنكرون عبادة الأيقونات وهاجموها بشتى الصور [4].

---

[1] رستم، الروم (ج72/1).

[2] محمد، التوجهات (ص ص 30−32).

[3] مسيحيون يقطنون بين آسيا الصغرى وأرمينيا واختلطوا بالديانات المحيطة وخاصة الإسلامية فأخذوا منهم كراهيتهم لتصوير الإنسان فسموا حركتهم الحركة التطهرية Puritanism، أي تطهير المسيحية من الكنيسة وإصلاحها، ومذهبهم قائم على التفرقة بين إله الخير خالق السموات والأرواح وبين إله الشر المسيطر على العالم المادي ولأن المادة عندهم شر فأنكروا أن للمسيح جسم مادي وأنكروا صلبه والخلاص والفداء وأنكروا الصور والتماثيل، ومؤسس هذه الحركة قسطنطين المابالي والذي قتل رجماً بالحجارة وقد اضهدهم الإمبراطور قسطنطين بدعم من الكنيسة فهرب كثير منهم نحو الصحراء العربية. جوزيف، الدولة البيزنطية (ص ص 183−200).

[4] محمد، التوجهات (ص ص 30−32).

ب – **في مجال الأدب:**

ومن بين التأثيرات الثقافية التي نتجت عن الاحتكاك بين الجانبين في تلك الفترة، هي ظاهرة الأدب الذي أفرزه الصراع العسكري بين الطرفين البيزنطي والإسلامي، والذي تمثل في القصائد التي كان ينظمها الشعراء على الجانبين، وكذلك الملاحم الشعبية والقصص التي انتشرت بين الجانبين والتي كانت تتحدث عن انتصارات الطرفين وعن بطولاتهم[1]، أبرزها ما يُعرف بالأغنيات الشعبية الأكريتاسية، والتي تصور حالة الحروب بين الجانبين خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، لا سيما معركة عمورية زمن المعتصم 223هـ/838م[2].

وكذلك رسمت الحروب أمثلة لأبطال قوميين، لهم قوة أسطورية خارقة، فعلي سبيل المثال فإن المسلمين كانوا يتغنون بشخص محارب له مواصفات قتالية خارقة، اسمه عبد الله البطال استشهد في آسيا الصغرى في إحدى الغزوات سنة 122هـ/740م، الذي أصبح نموذجاً للبطل القومي، ولا يزال قبره في إحدى القرى جنوب شرق تركيا، وفي المقابل يمجد الروم شخصاً ويدعى ديجينيس أكريتاس كان بارعاً أيضاً في مجال الحرب، وكان قُتل في معركة مع المسلمين سنة 172هـ/788م وكان قبره ليس بعيداً عن سميساط[3].

ت – **في مجال فنون الصناعة:**

وكان أيضاً من مظاهر التأثير والتأثر ما كان عليه صناع الشام من الحذق والمهارة، ويأتي ذلك لعدة عوامل فبالإضافة إلى تعاقب الحضارات في بلاد الشام، وتوفر المواد الأولية للصناعة، يأتي عامل القرب والاحتكاك مع بلاد الروم، والتي كان يُعرف أهلها بأنهم بارعون بالصناعة[4]، وامتيازهم بالمهن العجيبة والصنائع البديعة[5] حيث أخذ عنهم صناع الشام مهارة الصناعات وحسن التدبير[6].

---

(1) محمد، التوجهات (ص30).

(2) مصطفى، دولة بني العباس (ج346/2).

(3) ابن خياط، تاريخ (ص 345)، مصطفى، دولة بني العباس (ج346/2).

(4) ابن الفقيه، البلدان (ص 164).

(5) المسعودي، التنبيه (ص 5).

(6) ابن الفقيه، البلدان (ص 164)، ياقوت، معجم البلدان(ج47/1).

## المبحث الثالث: الدور الأمني

نظراً لطبيعة الحياة في الثغور والتي هي دار الرباط والحرب في مواجهة العدو، ونظراً لأن المناطق الحدودية في الغالب هي ساحات للتجسس وتتبع الأحداث ونقل الأخبار، لذا تطلب بقاء أهلها على يقظة وحذر على مدار اليوم من جواسيس الروم والمتتبعين لعورات المسلمين وهناتهم، ونقل أخبار خلافاتهم ومشاكلهم، مما أثر على سلوكات وطبائع أهل تلك الثغور، حيث غدت سمة الجفاء والغلظة هي السمة الأبرز للسلوك الاجتماعي لبعضهم تجاه الطارئ الغريب الوافد إليهم حتى يأمنوا بوائقه ويطمئنوا من غوائله[1].

ولقد حرص الطرفين الإسلامي والبيزنطي على التعرف على ما يدور في بلاد الآخر، وذلك من باب معرفة أحوال العدو وتوجهاته والبقاء على جاهزية للتصدي لأطماعه، واقتناص الفرصة المواتية للانقضاض عليه، لذلك تم توظيف كل أدوات نقل المعلومات والأخبار لمتابعة ما يحدث في الجانب الآخر وما يستجد من أحداث، فكانت أخبار الروم تصل المسلمين بواسطة الجواسيس والعيون أو التجار أو من يتم أسره من الروم، وكانت الأخبار والمعلومات تصب عند والي الثغور والذي بدوره يقوم بتزويد الخليفة في بغداد بما يحدث في بلاد الروم أولاً بأول، وكذا كانت تُنقل أخبار المسلمين للروم[2].

ولقد تمثل الدور الذي لعبته الثغور في هذا المجال فيما يلي:

**أولاً: الاستفادة من سكان الثغور في العمل الأمني**

نظراً لقرب أهل الثغور من بلاد الروم والاحتكاك المتواصل معهم، فقد لعبوا دوراً مهماً في تتبع أخبار الروم والتلصص عليهم وجمع المعلومات عنهم، ومعرفة مواضع الخلل عندهم ونقاط ضعفهم، وقد أدرك المسلمون الأوائل أهمية ذلك وجعلوه شرطاً أساسياً لقبول الصلح مع أهالي تلك البلاد، بدليل أنه لما فُتحت رعبان ودلوك سنة 16هـ/637م قام عياض بن غنم بمصالحة

---

(1) عبيد، حياة المجاهدين (ص 8).

(2) الطبري، تاريخ (ج12/10)، ابن الأثير، الكامل (ج424/7).

أهلها على ما كان صالح به أهل منبج من قبل، حيث اشترط عليهم مقابل قبوله بالصلح أن يبحثوا له عن أخبار الروم ويكاتبوا بها المسلمين[1].

وكذلك فعل حبيب بن مسلمة الفهري مع أهل الجرجومة، وهو في طريقه لغزو أنطاكية سنة 18هـ/639م بعد أن وجهه أبو عبيدة بن الجراح لذلك، حيث مر بالجرجومة فطلب أهلها الأمان والصلح، فصالحوه على أن يكونوا أعواناً للمسلمين وعيوناً لهم في جبل اللكام، وألا يؤخذوا بالجزية، وأن تكون لهم غنائم من يقتلون من أعداء المسلمين إذا حاربوا معهم[2].

ولقد أثرت طبيعة الجوار في مزايا أهل البلدان القريبة من بلاد العدو، من حيث معرفتهم بأخبار الآخر وخبرتهم بتفاصيل بلاده وطبيعة حياته، فقد وُصف أهل الهارونية بأنهم مجاهدون في غاية الشطارة والجلد يغزون فيغنمون ويتلصصون على بلد الروم فيسلمون، وكذلك أهل حصن التينات بأنهم رجال أجلاد في القتال لهم علم بمواضع الخلل في بلاد الروم ومهالكهم[3].

كما كانت تعيش في الثغور فئة تعرف ب "الأدلاء"، وهم المؤلفة قلوبهم من غير المسلمين كالأرمن والروم وأولادهم، وبالرغم من أنها ليست طبقة كبيرة أو واسعة الانتشار وليس لها تأثير واضح في مجتمع الثغور، إلا أنها كانت محط اهتمام أولياء الأمور في تلك الثغور؛ للدور الكبير الذي تلعبه تلك الفئة في الحصول على المعلومات الخاصة والتي من شأنها حسم الحرب لصالح المسلمين، حيث كانوا يتعرفون على نوايا الروم وأعدادهم وتجهيزاتهم العسكرية والحربية[4].

ولقد ظهرت تلك الفئة بشكل واضح في ثغر طرسوس، ولأهمية تلك الفئة كانت تُرصد لهم حصة معلومة من أعشار الغلال هناك بحسب ما يراه السلطان من حسن النظر له ولمن يتجدد منهم، وقد مُيزت دوابهم ومطاياهم بما كان يرد بيت المال بطرسوس من الشعير برسم العشر، وأُطلق لهم رسماً سنويا بمقدار نشاطهم[5].

---

[1] ياقوت، معجم البلدان (ج52/3).

[2] البلاذري، فتوح البلدان (ص ص163-164)، ياقوت، معجم البلدان (ج123/2).

[3] ابن حوقل، صورة الأرض (ج182/1) .

[4] عبيد، حياة المجاهدين ( ص 12).

[5] ابن العديم، بغية الطلب (ج181/1).

وقد ذُكر أنه التحق بالمسلمين قائد أو دليل يدعى منويل، وكان يدرب جيش المسلمين وفي نفس الوقت كان يتواصل مع الروم ويدلهم على مواطن الضعف في الجيش الإسلامي، وبعد أن أساء الروم إليه تركهم والتحق بالبلغار يدلهم على الروم[1].

كما لعب الأرمن دوراً أمنياً مهماً حيث وقفوا إلى جانب المسلمين وأعانوهم على الروم في أكثر من مرة، وكان الأرمن قد التجأوا للمسلمين بعد مهاجمة ملك الروم لهم سنة 95هـ/714م على خلفية حقدهم على المذهب الأرثوذكسي، فسكنوا ملطية والمناطق الشرقية من بلاد الروم وهناك تكاثروا وتحالفوا مع المسلمين ضد الروم[2]، وعمل بعضهم في الثغور كأدلاء للجيوش الإسلامية الغازية لبلاد الروم، وكان المسلمون يصرفون عليهم من الغلال التي تجبى من الضياع التابعة لطرسوس ولغيرها من الثغور[3].

ويذكر قدامة: أن الأرمن حلوا بملطية على آثار قوم أُطلق عليهم السالفة، وهم من الروم إلا أنهم يخالفونهم في كثير من أديانهم، وكان السالفة مع المسلمين يعينونهم في غزواتهم، ويتوفر على المسلمين المعونة بهم، إلى أن رحلوا دفعة واحدة عن هذا الموضع، بإساءة أهل الثغور معاشرتهم وقلة إشراف المدبرين على أمرهم، فتفرقوا في البلاد وحل محلهم هؤلاء الأرمن[4].

وكذلك الجراجمة حيث كانت تتم الاستعانة بهم في مواطن كثيرة، وكان يُعرف منهم المناصحة، كما كان يستعان بهم في المسالح وغيرها، وكانت تجرى عليهم الجرايات[5]، وقد ألزمهم بعض عمال بني العباس بدفع الجزية، فرفعوا ذلك إلى الواثق، فأمر بإسقاطها عنهم[6].

وبالإضافة إلى ما لعبه سكان الثغور وخاصة النصارى من دور هام في مساعدة المسلمين خلال حملاتهم العسكرية، وتحديداً في مجال معرفة لغة الروم والترجمة عنهم، مثل بسيل الترجمان الذي شارك الرشيد في إحدى حملاته، كما رافق المعتصم في فتح عمورية[7]، وبعد

---

[1] مصطفى، دولة بني العباس (ج338/2).

[2] البلاذري، فتوح البلدان (ص185)، الرواضية، جند قنسرين (ص 174).

[3] الطرطوسي، سير الثغور (ص 37)، ابن العديم، بغية الطلب (ج181/1).

[4] الخراج (ص 187).

[5] ياقوت، معجم البلدان (ج123/2).

[6] ابن العديم، بغية الطلب (ج233/1).

[7] الطبري، تاريخ (ج69/9).

انتهاء المعركة أمره المعتصم أن يميز الأسرى، فيعزل منهم أهل الشرف والقدر من الروم في ناحية، ويعزل الباقين في ناحية ففعل[1].

**ثانياً: توظيف التجار للعمل الأمني**

لعب التجار الذين يترددون عبر مناطق الثغور ومنها إلى بلاد الروم دوراً هاماً في نقل بعض أخبار الروم وأخبار تحركاتهم، فهؤلاء التجار الذين لم تؤثر على عملهم الأوضاع السياسية والأمنية التي كانت تخيم على مناطق الثغور، وعلى طرق التحرك من وإلى الدولة البيزنطية، وخاصة أن طرق التجارة هي نفسها الطرق التي كانت تسلكها الحملات العسكرية أو الحملات الاستطلاعية [2].

وقد أدرك البيزنطيون خطر هؤلاء التجار إلا أنه لم يكن بمقدروهم الاستغناء عن التعامل معهم، ولا عن منتجات العالم الإسلامي أو منتجات الشرق بشكل عام التي كانوا ينقلونها، لذا وضعت بيزنطة العديد من القيود على التعامل التجاري معهم، والذى وضح من خلال إلزام التجار بالدخول إلى القسطنطينية من مواضع معينة، وأن يحصلوا على إذن بالدخول، وكانت توضع عليهم حراسة دقيقة ورقابة تامة عند الدخول إلى العاصمة، وتكون إقامتهم في العاصمة محددة بفترة زمنية[3].

**ثالثاً: جمع المعلومات لتوظيفها في الحرب:**

وفي العادة فقد كانت طريقة جمع المعلومات تتم قبيل الحروب والمعارك أو خلالها، وذلك ببث العيون والجواسيس بين صفوف الأعداء؛ للحصول على معلومات عن قواتهم ومواقعهم ومدى استعدادهم للحرب، ويطلق على أحد هؤلاء أسم العيون أو الجواسيس "العين" أو "الجاسوس" وهو الشخص الذي يتسقط أخبار العدو ويبحث عن مواقع ضعفه، إذ كانوا يستترون

---

[1] الطبري، تاريخ (ج69/9).

[2] الطبري، تاريخ (ج85/10)، ابن الأثير، الكامل (ج510/7).

[3] لويس، القوي البحرية والتجارية (ص140)، مصطفى، الأسواق (ص 4).

ويتنكرون ليحصلوا على ما يبحثون عنه من معلومات؛ لإيصالها لقيادة جيوشهم لترتيب خططهم بناءً عليها لكسب المعركة[1].

وهناك آلية أخرى لجمع المعلومات قبل الحروب وكانت تتم بإرسال من يُطلق عليهم لفظ الكُمناء، وهم الذين يتسللون إلى أرض العدو ويتحسسون أخباره ويجمعون عنه المعلومات، وقد أوضح الهرثمي صاحب المأمون خطة عملهم وطريقة تصرفهم حين قال: " لا يجب أن يكون بأحدهم أو بدابته علة أو خلق قد يستدل العدو به عليهم، ويجب أن يكمنوا في موضع خفي مستور بحيث لا يقدر العدو على بيانهم فيه، ولا يؤذون الطير والوحوش في المكان الذي يكمنون فيه، ويطلبون خبر عدوهم بالعيون الذكية ولا يتقدمون إلا على معرفة، ولا يخرجون من مكمنهم إلا ساعة الغدوات في حال غفلة عدوهم، وعند حطهم عن دوابهم وإمراحها، وفي لحظات الحر الشديد في الصيف والبرد الشديد في الشتاء، وليكن المكمن كراديس منتشرة منقطعة من غير أن يبعد بعضهم عن بعض، ولتكن حملتهم عن صدق وانكماش من غير دهش ولا اختلاط، ليسرعوا الرجعة إلى الموضع الذي خرجوا منه[2].

**رابعاً: نقاط للاستطلاع المتقدم**

وفي نفس الوقت وعلى أرض تلك الثغور كانت تُنشأ المسالح والمناظر والمراقب، وهي خطوط الدفاع الأولى عن المدن الثغرية، ونقاط الأمان فيها، ومحل جمع المعلومات عن تحركات العدو ونياته، وكانت توضع بها الحاميات المقيمة، والتي كانت وظيفتها الأولى الاستطلاع وإخبار الجيش بقدوم عدو ما، ومشاغلته لحين وصول القوات المدافعة أو الجيوش[3].

وغالباً ما تكون تلك النقاط في مواضع مشرفة، مثل رأس تل أو جبل يبنى عليه بناء يجعل فيه رقباء ينظرون العدو ويحرسونه، ليتوقوا غدره وشره، فإذا أراد الغارة أرسلت تلك المناظر والمراقب رسالة تحذير للتهيؤ لصد العدو، لمنعه من التسلل بسهولة إلى أرض المسلمين، ولهذا كان

---

[1] الهرثمي، مختصر سياسة الحروب (ص ص 24-26).

[2] الهرثمي، مختصر سياسة الحروب(ص ص 50-51).

[3] مصطفى، دولة بني العباس (ج2/299).

الاهتمام بها وحراستها والعناية بها، وذلك بوضع حاميات بها لتشغل العدو ولتصده من الولوج إلي ديار المسلمين[1].

**خامساً: مكافحة الجاسوسية**

لقد اتبع الأئمة وولاة الثغور سياسة مشددة لمنع التخابر مع الأعداء ونقل المعلومات إليهم، حيث كان للإمام مسالح على المواضع التي تنفذ إلى بلاد أهل الشرك – من الطرق– فيفتشون من مر بهم من التجار، فمن كان معه سلاح أخذ منه ورد، ومن كان معه رقيق رد، ومن كان معه كتب قُرئت كتبه، فما كان فيها من خبر من أخبار المسلمين قد كُتب به أُخذ الذي أصيب معه، وبُعث به إلى الإمام ليرى فيه رأيه، ولا ينبغي للإمام أن يدع أحداً ممن أسر من أهل الحرب وصار في أيدي المسلمين يخرج إلى دار الحرب راجعاً إلا أن يفادى به فإما على غير الفدا فلا[2].

فإن كان هؤلاء الجواسيس من أهل الحرب أو من أهل الذمة ممن يؤدي الجزية من اليهود والنصارى والمجوس فتُضرب أعناقهم، وإن كانوا من أهل الإسلام معروفين فيوجعون بالعقوبات ويطول حبسهم حتى يتوبوا[3].

وأحياناً ما كانت السياسية الخارجية بين البيزنطيين والمسلمين تؤدي إلى نوع من التعصب الإسلامي ضد سكان الثغور من غير المسلمين، وخاصة النصارى، فقد حدث أكثر من مرة أن تعاون أهالي الثغور من النصارى مع البيزنطيين، فعملوا كجواسيس لهم ضد المسلمين؛ لذلك قام الخليفة المنصور بفرض بعض القيود على تحركات أهل الذمة من اليهود والنصارى الذين يقيمون قرب الثغور، بعد هروب عدد كبير منهم إلى داخل الحدود البيزنطية[4].

وكذلك قام بإجلاء بعضاً من أهل لبنان سنة 153هـ/770م ، والذين كانوا قد اجتمعوا على رجل كان على صلة وثيقة مع الروم ويأتمر بأمرهم يقال له "بندار"، حيث سمى نفسه بالملك

---

[1] جواد علي، المفصل (ج9/323).

[2] فوزي، الجيش والسياسة (ص230).

[3] المرجع السابق، ص 230.

[4] فوزي، الخلافة العباسية (ج2/170)، أحمد، بيت المال (ص 161).

ولبس التاج وأظهر الصليب واجتمع عليه أنباط لبنان واستفحل أمره في طرابلس، إلا أنه هرب بعد ذلك ولجأ إلى ملك الروم[1].

ولنفس السبب اتخذ الخليفة المهدي قراراً بإعدام راهب نصراني من الرافقة يدعى رومانوس، أُتهم بالتجسس لصالح البيزنطيين، كما أنه رد بعض الأسرى البيزنطيين إلى النصرانية بعدما اعتنقوا الإسلام، وحدث في عهد الخليفة الرشيد أن تعاون النصارى من سكان الثغور مع البيزنطيين، لهذا أصدر الرشيد في سنة 190هـ/807م أمراً بزيادة الجزية على النصارى، كما أمر بهدم الكنائس في الثغور، واستخدم الرشيد أحجار الكنائس المهدمة لإعادة بناء الحصون ومدن الثغور، مثل حصن الحدث الذي بني بعد أن هُدمت كنيسة كيسوم واستُخدمت حجارتها في البناء[2].

كما أنه وبسبب تجسس بعض أهالي الذمة على المسلمين لصالح البيزنطيين بالرغم من التسامح الديني الكبير الذي حظوا به، فقد أمر الخليفة هارون الرشيد سنة 191هـ/808م، بأن يخالف أهل الذمة المسلمين في لباسهم وركوبهم، وأن لا يبنوا كنيسة أو بيعة لهم إلا بأمر من الخليفة، وأن لا يُظهروا صلبانهم في الأمصار[3]، وذُكر بأن الرشيد تراجع عن قراره بمخالفة النصارى المسلمين باللباس[4].

وبالرغم من ذلك ومنعاً للظلم وتحرياً للعدالة، فإن الرشيد كان يُحكم عقله عند سماعه وشاية ما عن النصارى، فمثلاً ما حدث سنة١٨٠هـ/٧٩٧م، حينما كان الرشيد متوجهًا نحو الحدود البيزنطية لمحاربة الروم، فمر في طريقه بالرها، وهناك وصلته شكوى من قبل المسلمين بأن أهالي الرها جواسيس للبيزنطيين، وبأن الإمبراطور البيزنطي يصلي في كنيستهم ،وطلب منه المسلمون هدم الكنيسة، لكن الرشيد لم يُصغِ إليهم، وعلم بأن هذا الادعاء كاذب، بل وأمر بجلد الواشين[5].

---

[1] مصطفى، دولة بني العباس (ج1/370).

[2] الطبري، تاريخ الطبري (ج8/324)، أبو الفرج، المنتظم (ج9/194)، ابن الأثير، الكامل (ج5/380).

[3] أبو يوسف، الخراج (ص ص72–73)

[4] الطبري، تاريخ (ج8/324)، حمودي، الجزيرة الفراتية (ص47).

[5] حمودي، الجزيرة الفراتية (ص47).

**سادساً: منفى لمناوئي الحكم**

ولقد لعبت الثغور دوراً أمنياً آخراً في أنها استوعبت كل من كان يخشى منه في إفساد حياة المسلمين في الحواضر المهمة، وكانت هدفاً لسياسة الإبعاد عن عاصمة الخلافة التي اتبعها الخلفاء والولاة من بني أمية، ومن جاء بعدهم من خلفاء بني العباس كرد فعل على اشتراك بعض العناصر أو الجماعات في الفتن والاضطرابات السياسية الداخلية، حيث يتم إبعادهم اتقاءً لشرهم إلى تلك المناطق البعيدة ...

كما حدث مع الزط حين تمردوا وقاموا بقطع الطرق في العراق فقام الحجاج الثقفي بقمعهم، وبعث بعضاً منهم إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك، ليرسلهم إلى منطقة الثغور بين أنطاكية والمصيصة، للخلاص منهم من جهة ومن جهة أخرى ليستكثر بهم أهل الثغور[1]، وفي عهد المعتصم ولما تمردوا وقطعوا الطرق في البطائح بالعراق، حاصرهم وقبض عليهم وأمر بنقلهم بعد ذلك إلى ثغر عين زربة تحديداً[2]، وهناك اندمجوا مع أهلها وانتفع الناس بهم كثيراً[3].

وقد كانت تلك سياسة ناجحة حققت عدة أهداف من أبرزها: التخلص من شرور هؤلاء الناس وخاصة أن الأوضاع في العواصم والحواضر تكون دقيقة وحساسة وأي حركة تمرد أو انقلاب قد تهدد السلطة الحاكمة، وكذلك زيادة سواد المسلمين في الثغور مما يربك مخططات الأعداء من الروم في حال فكروا في غزوها، وأخيراً الاستفادة منهم في أمور الحياة العامة كما حدث عندما انتقل الزط إلى مناطق الثغور أفادوا أهلها كثيراً في شئون الزراعة والنقل وغير ذلك.

هذا على صعيد الجماعات أما على صعيد الأفراد فقد أُبعد إليها الإمام أحمد بن حنبل[4] ومحمد بن نوح المضروب[1] وجماعة من القائلين بأن القرآن كلام الله، حيث أُرسلوا إلى طرسوس

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان (ص166)، قدامة، الخراج (ص 309)، ابن العديم، بغية الطلب (ج91/1).

[2] ابن خياط، تاريخ (ص 476)، الطبري، تاريخ (ج10/9).

[3] البلاذري، فتوح البلدان(ص176)، المسعودي، التنبيه (ص 355)، ياقوت، معجم البلدان (ج178/4).

[4] وُلد سنة 164هـ/780م في بغداد ونشأ يتيماً في أسرة كانت محبة للعلم، وفي سنة 179هـ/801م، بدأ يتَّجه إلى الحديث النبوي، فبدأ يطلبه في بغداد حتى سنة 186هـ/807م، ثم بدأ برحلاته في طلب الحديث، فرحل إلى الحجاز وتهامة واليمن، وأخذ عن كثير من العلماء والمحدثين، وفي سن الأربعين جلس للتحديث والإفتاء في بغداد، وكانت الناس تجتمع على درسه حتى يبلغ عددهم قرابة خمسة آلاف، اشتُهر بصبره على المحنة التي

في عهد المأمون حين بدأت محنة خلق القرآن[2]، ففي سنة 218هـ/ 833م طلب المأمون والذي كان في مصر حينها، من عامله ببغداد إسحاق بن إبراهيم أن يمتحن القضاة والشهود وجميع أهل العلم في قضية خلق القرآن، فمن أقر أنّه مخلوق محدث، خلى سبيله، ومن أبى الإقرار فليُعلمه به ليرى فيه رأيه، فجمع أولي العلم الذين كانوا ببغداد، ومنهم قاضي القضاة بشر بن الوليد، وأحمد بن حنبل، ومحمد بن نوح، وآخرين، وقرأ عليهم كتاب المأمون، وسألهم واحداً واحداً فأجابوا، ومنهم الإمام أحمد حيث قال له: ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله، قال: أمخلوق هو؟ قال: كلام الله ما أزيد عليها، ثم قال له: ما معنى قوله سميع بصير؟ قال أحمد: هو كما وصف نفسه، قال: فما معناه؟ قال: لا أدري، هو كما وصف نفسه[3].

فكتب إسحق مقالتهم رجلاً رجلاً، ووُجهت إلى المأمون، فورد جواب المأمون إليه، أن يحضر قاضي القضاة بشر، وإبراهيم بن المهدي، فإن قالا بخلق القرآن وإلا تُضرب أعناقهما، وأما من سواهما، فمن لم يقل بخلق القرآن، يوثقه بالحديد، ويحمله إليه، فجمعهم إسحاق وعرض عليهم ما أمر به المأمون، فقال بشر وإبراهيم ومن معهم بخلق القرآن، إلا أربعة نفر، وهم أحمد بن حنبل، والقواريري، وسجادة، ومحمد بن نوح المضروب، فأمر بهم إسحاق، فشدوا في الحديد، ثم سألهم، فأجاب سجادة والقواريري إلى القول بخلق القرآن، فأطلقهما، وأصر أحمد ابن حنبل ومحمد بن نوح المضروب على قولهما؛ فوجههما إلى ثغر طرسوس كمنفيين[4].

---

عُرفت باسم "فتنة خلق القرآن"، فحُبس وعُذب، ، وفي عهد الواثق مُنع من الاجتماع بالناس، وفي سنة241هـ/855م مرض بن حنبل ثم مات، وكان عمره 77سنة. ابن كثير، البداية (ج1/ص ص 365-374).

[1] أحد رواة الحديث، وهو جار الإمام أحمد بن حنبل، تم نفيه في عهد المأمون إلى طرسوس، وتم إعادته إلى بغداد بعد وفاة المأمون إلا أنه مات في الطريق. أبو الفرج، مناقب الإمام أحمد (ص 427).

[2] محنة خلق القرآن ظهرت في عهد المأمون سنة 218هـ/833م، وكانت تتلخص في: هل القرآن مخلوق، أم أن القرآن هو كلام الله؟ ، فالمأمون كان يقول بما كان يقول به المعتزلة بأن القرآن مخلوق، ومن قال بغير ذلك فيعاقب إما بالحبس أو الجلد أو الإبعاد، ويعتقد أهل السنة والجماعة أن القرآن الكريم كلام الله غير المخلوق، وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل والذي كان يقول: "والقرآن كلام الله، ليس بمخلوق ومن قال بغير ذلك فهو كافر"، واستمرت المحنة بعد وفاة المأمون وفى عهد خلفه المعتصم والواثق وانتهت في عهد المتوكل. ابن الوردي، تاريخ (ج212/1)، أبو الفرج، مناقب (ص417).

[3] ابن أيوب، المختصر (ج2/ص ص30-32)، ابن الوردي، تاريخ (ج212/1).

[4] ابن أيوب، المختصر (ج2/ص ص30-32) ، ابن الوردي، تاريخ (ج212/1).

ثم بعد ذلك وبناءً على طلب المأمون، ألحق بهم بشر بن الوليد وجماعة معه، حيث أشخصهم إلى طرسوس كمنفيين هم أيضاً ليقيموا بها، إلى أن يخرج أمير المؤمنين من بلاد الروم، فأمسكهم إسحاق وأرسلهم، فلما صاروا إلى الرقة، بلغهم موت المأمون فرجعوا إلى بغداد[1].

**سابعاً: استيعاب ودعم الثائرين على العدو**

كما استخدمت الثغور لاستيعاب بعض المناوئين للدولة البيزنطية، ولجوئهم إلى الدولة العربية الإسلامية مثل توماس الصقلبي[2]، حيث لجأ الصقلبي إلى أنطاكية سنة 208هـ/823م، وتوجه بطريقها أيوب الثائر إمبراطوراً، وقد عقد الخليفة المأمون معه معاهدة خلقت للمسلمين فرصة مناسبة لكي يشنوا غاراتهم على أراضي بيزنطة، وقد أدت ثورته دوراً مهماً في إضعاف الدولة البيزنطية براً وبحراً وخسارتها لجزيرتي كريت وصقلية[3]، ما دفعها إلى شن هجوم تدميري على أنطاكية سنة 213هـ/828م انتقاماً منها على استيعابها للصقلبي[4].

وبنفس الأسلوب قام الروم بمد يد الدسائس والمساعدة لنصارى جبل لبنان، حتى وصل بهم الأمر لغزو سواحل الشام لتقويتهم ومد يد العون لهم، حيث تم غزو طرابلس سنة 152هـ/770م في عهد المنصور، وهؤلاء النصارى هم الذي ظهر فيهم بندار، والذي كان قد أعلن ولاءه الكامل للروم، إلا أنه هرب بعد مهاجمته والتجأ إلى ملك الروم[5].

وقد استغل الروم ثورة نصر بن شبث العقيلي فكاتبوا نصر وبعثوا إليه رسولاً إلى ثغر كيسوم، وقد افتخر بقدومه، إلا أن أنصاره نصحوه من مغبة الاتفاق مع الكفار، فقام بقتل الرسول، وكذلك فعلوا مع ثورة بابك الخرمي حيث فتحوا معه مفاوضات سرية وتعاون حربي، وكان الهاربون من أصحابه يلجئون إلى أرض بيزنطة إن ضيق المسلمون عليهم[6].

---

[1] ابن أيوب، المختصر (ج2/ص ص30–32) ، ابن الوردي، تاريخ (ج212/1).

[2] من صقالبة آسيا الصغرى، يدعي أنه ابن الامبراطور قسطنطين الخامس، قاد ثورة داخلية في الدولة البيزنطية سنة 205هـ/820م،عاش هارباً في بلاد المسلمين لمدة 25عاماً. مصطفى، دولة (ج338/2).

[3] عبيد، المراسلات والهدايا (ص 9)

[4] مصطفى، دولة بني العباس (ج322/2)

[5] المرجع السابق، ص 370.

[6] مصطفى، دولة بني العباس (ج337/2).

## المبحث الرابع: الدور العسكري

منذ بداية عمارة الثغور الشامية، والتي شكلت خطوط الدفاع الأولى وأداة حجز ووقاية عن حدود العالم الإسلامي المواجهة للإمبراطورية البيزنطية، سارت الخلافة الإسلامية في هذه الجبهة على سياسة واضحة، استندت إلى الرد على تحديات دولة الروم المتكررة بحملات منتظمة داخل أراضي الروم، وتمثلت تلك الحملات بالصوائف والشواتي وغيرها من الحملات الكبرى، والتي كانت تنطلق كل سنة من مركز الخلافة، أو من الولايات القريبة عبر الثغور، أو من مدن الثغور الإسلامية ذاتها.

وكان الهدف الأساسي لتلك الحملات هو إشغال العدو في عقر داره عن طريق التوغل التدريجي داخل حدوده؛ لاستنزاف وتدمير قوته العسكرية وتخريب ما يمكن تخريبه من مرافق وقوة اقتصادية ممكن أن تخدمه إذا فكر بمهاجمة الدولة الإسلامية، وإرغامه على اتباع أسلوب الدفاع بدل التفكير في الهجوم على ديار المسلمين، وأيضاً استغلال هذا النظام في تدريب وتأهيل الجيش المرابط في الثغور بشكل مستمر للحفاظ على كفاءته القتالية وجاهزيته لصد أي طارئ، وإعطاء المقاتلين الفرصة للتعرف على الطرق والممرات والمواقع الاستراتيجية التي يجب أن يكون مطلعاً عليها، في حال أُتخذ قرار بالهجوم الواسع على الأراضي البيزنطية[1].

بالإضافة إلى ما سبق فقد هدفت الصوائف للحصول على ما يمكن الحصول عليه من الغنائم، كما هدفت إلى تطمين سكان الثغور أن مناطقهم تخضع لرعاية الدولة واهتمامها، وأنها تعمل على ترسيخ وجودها العسكري والسياسي فيها، كما لها من أثر في مواجهة نقض سكان المدن الحدودية لعقود الصلح مع المسلمين ما يجعل قسم منها يميلون إلى مساعدة الروم[2].

ولقد تمثل الدور العسكري للثغور فيما يلي:

---

[1] عرفات، علاقة الدولة الأموية مع الدولة البيزنطية (ص10).

[2] المرجع السابق، ص 10.

## أولاً: التعبئة العسكرية والتدريب

لعبت الثغور دوراً عسكرياً مهماً حيث كان يتم على أرضها الاستعدادات الحربية وتعبئة الجيوش والتهيؤ لملاقاة العدو، وكون أن الثغور هي أماكن ومعسكرات للرباط والجهاد والقتال ضد الأعداء، فكان لابد وأن تكون جاهزة ومستعدة على الدوام هي ومن يقطنها، الذين أتوها طمعاً في أجر الجهاد فكانوا يشتغلون به وبما يعين عليه، لذلك اختلفت الحياة فيها عن غيرها من الأماكن، وكذلك اختلف النشاط اليومي فيها عن غيرها[1]، ففي الأيام العادية التي لا تشهد أي أنشطة حربية إلى أراضي الروم، أو النفير لصد هجوم مفاجئ صوب الديار الإسلامية كان المجاهدون الشباب وغيرهم من المتطوعة، والذين يقدرون على حمل السلاح واستخدامه يقسمون يومهم إلى قسمين، القسم الأول من النهار خصصوه للتدريب على ركوب الخيل والطراد على الأصائل من الجياد، والمران على استخدام الأسلحة بمختلف أنواعها، والضرب بالسيف، واستخدام بقية الأسلحة على ظهورها، والتدرب على الفنون الحربية الأخرى، أما القسم الثاني من النهار فقد جعل للراحة في المنازل ورعاية المزروعات والبساتين التي أقطعت لهم[2].

وقد غلب على مناطق الثغور أسلوب خاص في التنشئة الجهادية يشبه التدريبات العسكرية للصبية والأطفال، وأصبحت تلك الطريقة مع مرور الوقت عادة وموسم احتفال للصبية، ففي أوقات النفير والاستعداد لتحرك الحملات العسكرية لغزو الأعداء، كان المحتسب ورجاله يطوفون في الشوارع لدعوة الناس للنفير، فكان يلحق بهم عدد كبير من الصبية لمساعدتهم في النداء[3].

ويذكر الطرطوسي: أنه شاهد رجلاً يُعرف ب "رؤبة" "يجتمع إليه الصبيان الذين لم يبلغوا الحلم يزيد عددهم على ألف صبي، كلهم بالسلاح الذي يمكنهم حمله وبمزاودهم وبها من الأطعمة التي يحبونها، يطوفون بمطرد(رمح) يحمله رؤبة، يسيرون بسيره ويقفون بوقوفه، فلا يزال ذلك دأبهم حتى إذا عاد السلطان إلى مقر داره، وعند رجوعه من نفيره دخل أولئك الصبيان أمامه على مراتبهم، يصُفهم قائدهم الأمثل فالأمثل، رماتهم عن قسي الرجل التي قد عملت على مقاديرهم، ثم رماتهم عن القسي الفارسية، فيدخلون فوجاً فوجاً صبيين صبيين، ثم من يحسن

---

[1] عبيد، حياة المجاهدين (ص 19).

[2] المرجع السابق، ص 19.

[3] ابن العديم، بغية الطلب (ج188/1).

الثقاف فيثقف قرينه ومثله وخدينه وشكله، حتى يدخل كل صنف منهم في مرتبته، ثم يتلوهم رؤية قائدهم بمطرده وعلامته"[1].

ويضيف الطرطوسي: " حتى إذا خرج [أحد] أولئك الصبيان من حد الطفولة واشتد عضده وقارب حد البلوغ أو بلغ أو تجاوز البلوغ قليلاً، انضاف إلى قائد من قواد الرجالة الذين ذكرت، وصحبه في نفيره وغزوه وارتاد لنفسه الرفاق بحسب ما يختار تربه وجاره وقرينه، فإذا التحى (ظهرت لحيته) وخرج عن حد المُرد دخل في جمهور الناس حاذقاً بما يحتاج إليه ماهراً بصيراً بأمر جهاده وتدبيره أمره نافذاً يقظاً إن شاء الله"[2].

**ثانياً: طريقة تحرك الجيوش من الثغور**

في العادة وقبل انطلاق الجيوش وتحركها باتجاه بلاد العدو، كان يتم إرسال مجموعات مقاتلة للاستطلاع وتقصي الأخبار واستكشاف الدروب، وللإغارة على بلاد العدو القريبة منهم ويعود وينقل لهم المعلومات التي يبنى عليها عمل الجيش في المستقبل، وليتصرف أولو الأمر من المسلمين على غرارها[3].

وكان قادة الجيوش أيضاً يحتاجون هؤلاء العيون والجواسيس للاستعانة بهم كأدلاء في الطرق التي توصلهم إلى العدو، أو المسير في مقدمة الجيش للوصول إلى ما يبغون، لما لذلك من أهمية كبيرة في القتال، فقد كان الجواسيس الثقات يتقدمون الجيش ليكشفوا له الأخبار ويختاروا له المنازل، ليعلم قائد الجيش إذا سار أين ينزل، ولقطع الحيرة في اختيار مكان النزول، خشية من عدم توفر الماء والعلف فيحاصره العدو فيهلك هو والجيش[4].

وما أن يُتخذ قرار الخروج للقتال وينادى للنفير، فإن أول ما يتم عمله هو أن يقوم ولي الأمر بإغلاق باب المدينة كشكل احترازي، ومن باب الاحتياطات الأمنية، ووضع مفاتيح الثغر

---

(1) ابن العديم، بغية الطلب (ج189/1)، عباس، شذرات من كتب (ج453/2).

(2) عباس، شذرات من كتب (ج454/2).

(3) الهروي، التذكرة الهروية (ص ص 15–16).

(4) المرجع السابق، ص 19.

لدى صاحب الشرطة، ثم ينادي المحتسب[1] ورجاله بأعلى أصواتهم وبشكل متزامن: "النفير يا أصحاب الخيل والرجالة، النفير حملكم الله إلى باب الجهاد"، وقد كان يساعدهم من حضر من الصبيان في النداء وخاصة إن حدث النفير في النهار[2]، وفي النفير الطبيعي يكون النداء بالنفير خاصاً بقوة الثغر من الخيالة والرجالة، وأما إن كان الخطر كبيراً وداهماً، احتاجوا إلى حشد الناس، حيث يُطلب من أهل الأسواق النفير ويتم حضهم على المسير في أثر الأمير[3].

ومنذ أن تتحرك الجيوش من الثغر وحتى وصولها لهدفها، يتم الالتزام بأوامر وضوابط صارمة إعتاد عليها المجاهدون، خوفاً من التفرق والتنازع وللحفاظ على وحدة الرأي والكلمة، حيث يعقد الأمير لقائد الفرسان لواء الجهاد، ويشد أزره بقائد من قواد الرجالة، والذي يكون بصحبته عدد من المقاتلين أولى القوة والنشاط والنية من المتطوعة المسجدية، الذين يرغبون بالجهاد ولقاء العدو[4]، فإذا نزل الجيش مكاناً قريباً من عدوهم وقبل لقاءه ولرفع المعنويات تبتّل شيخ، بل شيوخ من الصلحاء معروفون بحفظ من هناك من الغلمان المرموقين بالصباحة والوضاءة، فتنضاف طبقة طبقة إلى ذي معرفتهم وثقتهم وحصلوا تحت علمه ورايته، فلو همّ أحدهم بالوضوء لصلاة لما أفرج عنه إلّا برقيب ثقة أمين شيخ معروف، يمضي معه لحاجته، حتى إذا فرغ منها عاد إلى جملته[5].

**ثالثاً: حماية الجبهة الداخلية في الثغور**

نظراً لأن الجبهة الداخلية تصبح هشة بعد مغادرة الجيوش إلى الغزو، فقد كان لحماية الجبهة الداخلية اهتمام كبير لدى ولاة الثغور، فإنه إذا نودي بالنفير واستعدت جيوش المحاربين

---

[1] بدأ نظام الحسبة منذ بداية العصر الأموي، وإن لم يكن يحمل لفظ الحسبة، إنما دور المحتسب في تنظيم السوق كان متواجداً طوال العصر الأموي، وقد نما النظام وتطور بما يوافق تطور قطاع التجارة، والأسواق، فيلاحظ أنه في بداية الأمر كان الوالي يتولى بنفسه أعمال الحسبة ثم تطور الأمر لأن يكون هناك شخص معين وظيفته الأشراف على السوق، ثم تطور الأمر ليكون لهذا المعين أعوان يعينونه في عمله وتوسعت صلاحياته حتى أصبح يتابع التجاوزات وضبط الحياة العامة للناس. الصلابي، معاوية (ص 339).

[2] عباس، شذرات من كتب (ج453/2).

[3] ابن العديم، بغية الطلب (ج189/1)، عباس، شذرات من كتب (ج453/2).

[4] ابن العديم، بغية الطلب (ج189/1)، عباس، شذرات من كتب (ج453/2).

[5] ابن العديم، بغية الطلب (ج189/1)، عبيد، حياة المجاهدين (ص 23).

لمغادرة الثغر، يقوم ولي الأمر بإغلاق باب المدينة كشكل احترازي ومن باب الاحتياطات الأمنية، خشية من قيام جواسيس الروم بالاطلاع على استعدادات المسلمين، ونقل صورة عن تجهيزاتهم وأعدادهم، ولمنعهم من القيام بعمليات التخذيل وبث الإشاعات في صفوف المسلمين، وقد كانت توصد الأبواب وتودع المفاتيح لدى صاحب الشرطة في الثغر[1].

وحينما يخرج أمير الثغر للنفير ومعه جنده ومن نزع معه من المتطوعين، كانت هناك جموع من الصبية الذين لم يبلغوا الحلم تجتمع إلى رجل معروف بالمدينة – قد يكون المحتسب– ويسند إليهم حماية الجبهة الداخلية للثغر، وتعزيز ثقة الناس بالنصر وإشعارهم بالأمن والمحافظة على النساء والذراري ومن تخلف عن الغزو، من باب التدريب والتهيئة للمشاركة في عمليات نفير قادمة[2]، ويتمركز صاحب الشرطة والمحتسب مع رجاله عند الباب الأول الذي يلي المدينة الذي يخرج منه الناس إلى النفير[3].

وإذا طال أمر النفير وتأخر خبره يقوم المحتسب بالتردد في الأسواق، يحث الناس ويشجعهم ويبعث على اللحاق بمن سار مع الأمير وبمن توجه إلى النفير، فلا يزال الأمر على هذا الحال حتى يعود الأمير من نفيره إلى دار الإمارة[4].

**رابعاً: الحرب النفسية**

لعبت الثغور دوراً مهماً في الحرب النفسية مع العدو، نظراً لقربها من بلادهم، كونها البوابة التي يدخل منها الرسل والتجار والتي تنتشر فيها العيون، لذلك حرص المسلمون أن تبقى في حالة من الاستنفار والجهاد الحقيقي في كل أوقاتها، وحتى المناسبات كان يُحتفل بها بشكل يوحي بالجهاد والاستعداد له، من منطلق إرعاب العدو وضرب روحه المعنوية وخاصة في مناسبات الأعياد أو حين استقبال رسل الروم، حيث كان أهلها يتزينون، ويخرجون بالأسلحة

---

[1] عباس، شذرات من كتب (ج453/2).

[2] عبيد، حياة المجاهدين (ص 23).

[3] ابن العديم، بغية الطلب (ج189/1).

[4] المرجع السابق، ص 189.

الكثيرة المليحة والخيل الحسان ليصل الخبر إلى الكفار؛ فتقع في نفوسهم الرهبة من المسلمين فتقل رغبتهم في قتالهم[1].

ولقد كانت عمليات فداء (تبادل) الأسرى والتي كانت تتم على أرض الثغور مثالاً واضحاً على الحرب النفسية التي كانت تدور بين الجانبين، فعمليات الفداء كانت تتم بعد سلسلة من المفاوضات والترتيبات والطقوس المتعددة، وكما هو معروف فالعمليات الحربية لم تكد تنقطع بين المسلمين والبيزنطيين وتتابع الحملات والحملات المضادة على مناطق الثغور والحدود المشتركة بين الطرفين، حتم ذلك الأمر وقوع أسرى كُثر، فضلاً عن القتلى والجرحى في صفوف الطرفين، وبما أن فكاك الأسرى من أعظم القربات ومن أولى مسئوليات الحاكم، كان لابد لخلفاء الإسلام من فداء هؤلاء الأسرى، وفي العهد الأموي كان يفادى بالنفر بعد النفر في سواحل الشام[2] ومصر والإسكندرية وبلاد ملطية وبقية الثغور الجزرية، إلى أن كانت خلافة أمير المؤمنين هارون الرشيد والذي حدثت في عهده أول عمليات فداء الأسرى[3].

وفي العصر العباسي الأول وفي عهد هارون الرشيد تحديداً أوّل فداء وقع بمال في الإسلام وكان ذلك سنة 189هـ/805م على ضفاف نهر اللامس[4]، وكان الروم يومئذ ملكهم نقفور بن اشبراق، وحدثت عملية الفداء على يد القاسم بن الرشيد وهو معسكر بمرج دابق من بلاد قنسرين في أعمال حلب، حيث فودي بكل أسير كان ببلاد الروم سواء كان ذكراً أو أنثى، وحضر هذا

---

(1) ابن العديم، بغية الطلب (ج189/1)، عبيد، حياة المجاهدين (ص 23).

(2) ينقل مصطفى عن المقدسي البشاري عن بعض عمليات الفداء التي كانت تتم في سواحل الشام وتحديداً غزة وعسقلان ويافا وأرسوف وغيرها في العهد الأموي فيقول:" فيقع بها النفير وتقلع إليها شلنديات الروم وشوانيهم ومعهم أُسارى المسلمين للبيع، كل ثلاثة بمائة دينار وفي كل رباط قوم يعرفون لسانهم ويذهبون إليهم في الرسالات ويُحمل إليهم أصناف الأطعمة، وقد ضج بالنفير لما ترايت مراكبهم، فإن كان ليل أوقدت منارة ذلك الرباط، وإن كان نهار دخنوا، وفي كل رباط منابر شاهقة قد رتب فيها أقوام، فتوقد المنارة التي في الرباط ثم التي تليها وهكذا، فلا تكون ساعة إلا وقد أُنفر بالقصبة وضُرب الطبل على المنارة ونودي إلى ذلك الرباط وخرج الناس بالسلاح وبالقوة واجتمع أحداث الرساتيق ثم يكون الفداء فرجل يشترى رجلاً وآخر يطرح درهماً أو خاتماً حتى يشتري ما معهم. مصطفى، دولة بني العباس (ج299/2).

(3) المقريزي، المواعظ (ج334/3).

(4) اللامِسُ: بالسين المهملة، وكسر الميم: من قرى الغرب، وهي قرية على شط بحر الروم من ناحية ثغر طرسوس كان تتم فيها عمليات الفداء بين المسلمين والروم يقدمون الروم في البحر فيكونون في سفنهم والمسلمون في البرّ ويقع الفداء. الاصطخري، المسالك (ص 69)، ياقوت، معجم البلدان (ج8/5).

الفداء من أهل الثغور وغيرهم من أهل الأمصار نحو من خمسمائة ألف إنسان، بأحسن ما يكون من العدد والخيل والسلاح والقوّة، قد أخذوا السهل والجبل وضاق بهم الفضاء، وحضرت مراكب الروم الحربية بأحسن ما يكون من الزيّ، معهم أسارى المسلمين، واستمرت عملية الفداء اثني عشر يوماً، فودي فيها ثلاثة آلاف وسبعمائة أسير من المسلمين، ولم يبق في سجون الروم أي أسير مسلم، وأقام القاسم باللامس أربعين يوماً قبل الأيام التي وقع فيها الفداء وبعدها[1].

وقد قال مروان بن أبي حفصة[2] في هذا الفداء يخاطب الرشيد بهذه الأبيات:

وفكّت بك الأسرى التي شيدت بها ... محابس ما فيها حميم يزورها

على حين أعيى المسلمين فكاكها ... وقالوا سجون المشركين قبورها[3].

كما حدثت في عهد الرشيد عملية فداء أخرى سنة 192هـ/808م وفي نفس المكان، وكان ملك الروم أيضاً نقفور، وكان القائم به ثابت بن نصر بن مالك الخزاعيّ أمير الثغور الشامية، وقد حضره ألوف من الناس، وكانت عدّة من فودي به من المسلمين في سبعة أيام ألفين وخمسمائة من ذكر وأنثى[4].

وأما عملية الفداء الثالث وهي الأضخم فقد وقعت في عهد الخليفة الواثق باللامس أيضاً وذلك في المحرّم سنة231هـ/846م، وكان ملك الروم ميخائيل بن نوفيل، وكان القائم بها خاقان التركي[5] برفقة أحمد بن سعد بن مسلم بن قتيبة الباهلي، والذي كان الواثق قد عقد له على الثغور والعواصم، وأمره بحضور الفداء مع خاقان[6]. وقد كانت عملية الفداء بعد سلسلة من المفاوضات والتي حضرتها فرقة عسكرية عباسية عددها سبعون ألفاً من حملة الرماح، فكانت فرصة لإظهار قوة المسلمين[7].

---

(1) المسعودي، التنبيه (ج161/1)، المقريزي، المواعظ (ج334/3).

(2) من الشعراء الذي عاشوا في العصر العباسي ، وقد مدح المهدي ثم بعد ذلك قام بمدح الخليفة هارون الرشيد، وتوفي سنة 182 هجرية. الفسوي، المعرفة والتاريخ (ج173/1).

(3) الطبري، تاريخ (ج318/8)، المقريزي، المواعظ والاعتبار (ج334/3).

(4) المقريزي، المواعظ والاعتبار (ج334/3).

(5) المصدر السابق، ص 336.

(6) الطبري، تاريخ (ج9/ص ص142-144).

(7) الطبري، تاريخ الطبري (ج19/11)، ابن كثير، البداية والنهاية (ج303/10)، ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج5/ 275).

وقد اجتمع المسلمون ومن معهم من أسرى الروم على ضفتي النهرِ، وأتت الروم ومن معهم من أسرى المسلمين، وأقام كل منهما جسراً، فكان المسلمون إذا أطلقوا أسيراً، أطلق الروم أسيراً مثله، فيلتقيان وسط الجسر، فإذا وصل المسلم كبر المسلمون، وإذا وصل الرومي إلى أصحابه صاحوا صيحة الفرح، وكان عدد من افتدي من المسلمين4460 نفساً، النساء وأزواجهن وأولادهن ثمانمائة، ومن أهل الذمة مائة، وقد كانت الدولة تعطي الطليق فرساً وألف درهم[1] وممن أطلق من أسرى المسلمين مسلم بن أبي مسلم الجرمي، وكان من مشاهير أهل الثغور، وعلى معرفة بأهل الروم وأرضهم، وله مصنفات في أخبارهم، وملوكهم، وذوي المراتب منهم[2].

لإتمام العملية ونظراً لعدم وجود أسرى كفاية من الروم لتحرير باقي المسلمين، اضطر الواثق لجمع الرقيق الرومي من بغداد والجزيرة وبلاد الشام، وشراء ما يمكن شراؤه منهم، ولتعويض النقص اضطر لاخراج النساء الروميات العجائز وغيرهن حتى اكتمل العدد المطلوب، وبعد الفداء زاد لدى المسلمين عدداً من الروم، فتم ردهم إلى طرسوس وبيعوا بها[3].

ونظراً لوقوع عملية الفداء هذه في وقت حدوث محنة خلق القرآن فقد حضر مع خاقان قاضي القضاة أحمد بن أبي داود يمتحن الأسرى وقت المفاداة، فمن قال منهم بخلق القرآن فودي به وأحسن إليه، ومن أبى تُرك بأرض الروم[4]، فاختار جماعة من الأسرى الرجوع إلى أرض النصرانية على القول بذلك[5]، وقد بقيت عمليات فداء الأسرى مستمرة حتى مستهل العصر العباسي الثاني[6].

---

(1) المسعودي، التنبيه (ص162)، ابن الأثير، الكامل (ج5/ 275)، ابن كثير، البداية والنهاية (ج303/10).

(2) الطبري، تاريخ الطبري (ج20/10).

(3) المصدر السابق، ص ص 142-144.

(4) ابن العديم، زبدة الحلب (ص43)، المقريزي، المواعظ (ج334/3)، ابن خلدون، تاريخ (ج340/3).

(5) المقريزي، المواعظ (ج336/3).

(6) أبرزها ما حدث في خلافة المتوكل في شوّال سنة 241هـ باللامس أيضاً، والملك ميخائيل، وكان القائم به سيف خادم المتوكل، وحضر معه جعفر بن عبد الواحد الهاشميّ القاضي، وعليّ بن يحيى الأرمنيّ أمير الثغور الشامية، وكانت عدّة من فودي به من المسلمين في 7 أيام ألفي رجل ومائة امرأة، وكان مع الروم من النصارى المأسورين من أرض الإسلام مائة رجل ونيف، فعوّضوا مكانهم عدّة أعلاج. المقريزي، المواعظ (ج336/3).

## المبحث الخامس: الدور الاقتصادي

لعبت الثغور دوراً اقتصادياً هاماً في الدولة الإسلامية في العصر العباسي الأول، فبالرغم من أنها كانت مصدراً مهماً لبيت المال، إلا أنها في نفس الوقت كانت هدفاً للإنفاق وفي غالب الأحيان كانت عامل إثقال لكاهل بيت المال في الدولة الإسلامية.

فلقد كان ايراد مناطق الثغور تافهاً إذا قورن بنفقات الدفاع عنها، فقد كان خراج الثغور الشامية بما فيها طرسوس وأذنه والمصيصة وعين زربة والهارونية يبلغ حسب الوثائق العربية الرسمية مائة ألف دينار، تنفق على المشاريع اللازمة وأجور الجواسيس والبريد ومسالك الدروب في الجبال ومخاضات الأنهار والحصون، بينما كانت نفقات الصوائف والشواتي براً وبحراً تبلغ مئتي ألف وثلاثمائة ألف أحياناً، وكان خراج ثغور الجزيرة وتشمل مرعش والحدث وملطية وبلاداً أخرى سبعين ألف دينار وينفق عليها أربعين ألف دينار وتخصص والثلاثون ألفاً الباقية لعطاء الجند وزاد عليها كل سنة بين (120 إلى170) ألف دينار، هذا عدا النفقات الطارئة للحملات المفاجئة وهي تتناسب مع شأن الحملة، وربما كانت هذه النفقات الدفاعية تافهة إذا قيست بجملة إيرادات الخراج في عهد الرشيد أو المأمون والتي بلغت قرابة 25 مليون دينار [1].

ولقد تمثل الدور الاقتصادي لذي لعبته الثغور فيما يلي:

**أولا: الإيرادات:** وقد تنوعت مصادر بيت المال والتي كانت تأتي من مناطق الثغور لعدة أنواع:

**أ-الخراج والجزية:**

فقد لعبت مقادير الخراج والجزية[2] التي كانت تجبى من بلاد الشام والجزيرة أثر مهم في رفد بيت المال بأموال كثيرة، وقد كان لخصوبة التربة ووفرة المحاصيل والمواسم الجيدة واستقرار

---

[1] قدامة، الخراج (ص253)، مصطفى، دولة بني العباس (ج2/ص ص332-333).

[2] الخراج هو ما يؤخذ عن الأرض الصلح، الجزية هي ما يؤديه الكتابي من المال للدولة الاسلامية نظير حمايته وإقامته فيها، ويجتمع الخراج مع الجزية في ثلاث وجوه أنهما يؤخذان من غير المسلمين وهما من جملة أموال الفيء ويجبيان في أوقات معينة كل سنة، ويختلفان أن الجزية ثابته بنص القرآن الكريم والخراج اجتهاد والجزية لها حد أدنى – دينار – وسقفها الأعلى بالاجتهاد أما الخراج فأدناه وأعلاه بالاجتهاد والجزية تؤخذ مع بقاء الكفر وتسقط بالإسلام أما الخراج فيؤخذ مع الكفر ومع الإسلام. الخوارزمي، مفاتيح العلوم (ص39)، الماوردي، الأحكام السلطانية (ص ص142- 153)، ابن الجوزية، أحكام أهل الذمة (ج101/1).

الأوضاع السياسية والأمنية ونجاعة جهاز الجباية ونشاط أهلها واتقانهم للحرف والمكانة الدينية والجغرافية والتجارية أثر هام في ذلك، فمن خلال الإحصائيات نرى أن خراج جند فلسطين كان يتراوح ما بين 40–60% بالمقارنة مع حصيلة خراج بلاد الشام والجزيرة مجتمعين، خاصة ثغري غزة وعسقلان نظراً لتمتع ذلك الجند بالصفات السابقة[1].

فقد كان الخراج يجبي نقداً وعلى مساحة الأرض زُرعت أم لم تُزرع، ثم في عهد المهدي أصبح يجبى بنظام المقاسمة، وكان الخراج يجبى في شوال من كل عام وقد كان يعتبر العمود الفقري لإيرادات الدولة العباسية، وكانوا يحرصون على انتظام الجباية وإن اختلف مقدارها من خليفة لآخر، وقد ترك كل خليفة مبالغ كبيرة في بيت المال ليستعين بها من يأتي خلفه في إدارة شئون الدولة[2].

ولقد حرص خلفاء بني العباس على عدم تحويل الأراضي الخراجية إلى نمط آخر، إلا في نطاق ضيق وخاصة في الثغور لأنها منطقة حرب دائم، لكي تبقى مرغوبة للاستقرار بها[3].

وأما الجزية على أهل الذمة فقد شكلت خلال العصر العباسي الأول مورداً آخر لبيت المال، وقد سار الخلفاء على نفس النهج الذي سار عليه الخليفة عمر بن الخطاب ومن بعده بني أمية في جبايتها حيث كانت تخضع لطاقة ويسر أهل الذمة، فكانت تُفرض على الغني ثمانية وأربعين درهم، وعلى متوسط الحال أربعة وعشرين درهماً، وعلى الطبقة السفلى اثني عشر درهماً وما يعادله من أهل الذهب[4]، وكثيراً ما كان والي الخراج هو من يتولى جبايتها وأحياناً ما كان يتولاها وال مستقل[5].

وهناك جزية من نوع آخر كانت تفرض على من هم خارج حدود الدولة الإسلامية، حيث تم فرضها من منطلق القوة على مناطق واسعة من بلاد الروم، فقد فرضت خلال ذلك العصر أربع مرات، ففي سنة 155هـ/771م طلب ملك الروم الصلح مع الخليفة المنصور على أن يؤدي له

---

[1] تدمري، لبنان (ص 58).

[2] أحمد، بيت المال (ص ص140–148).

[3] المرجع السابق، ص 50

[4] قدامة، الخراج (ص 225)، الدوري، تاريخ العراق (ص 184).

[5] مسكويه، تجارب الأمم (ج448/6).

الجزية[1]، وفي سنة 165هـ/781م عقد الرشيد الهدنة مع ملكة الروم لمدة ثلاث سنين على أن تدفع له جزية قدرها تسعون أو سبعون ألف دينار سنوياً[2]، وفي سنة 166هـ/782م قام الروم بتسليم الدفعة الأولى منها حيث بلغ مقدراها أربعة وستين ألف دينار رومي، وثلاثون ألف رطل مرعزى[3]، بالإضافة إلى ألفين وخمسمائة دينار عربية [4]، وفي سنة190هـ/805م حيث فتح الرشيد هرقلة بلغ مجمل ما فُرض على الروم من جزية خمسين ألف دينار وأن يدفعوا بعد ذلك ثلاثمائة ألف دينار كل سنة[5]، وفي سنة 216هـ/831م فرض المأمون الجزية على خلق كثير من الروم بعد أن غزاهم وفتح عدداً كبيراً من حصونهم[6].

**ب-المكوس و العشور**

ومن الطرق التي كانت تتدفق منها الأموال لبيت المال ما كان يسمى بالمكوس والعشور [7]، والتي وكانت تفرض على بضائع التجار المارين بالثغور سواء الصادرة أو الواردة، وكانت تُؤخذ على الحدود بين الشام وبلاد الروم، والمكوس هذه كانت تأخذها الجهة ذات اليد العليا في الثغور فإن قويت شوكة الروم أصبحوا هم من يأخذوها من التجار وإن ضعفت أخذها المسلمون[8].

وقد كانت المكوس والعشور تؤخذ على أموال وعروض وتجارة أهل الحرب وأهل الذمة، وحتى تجارة المسلمين المارين بثغور الإسلام والتي كانت تقدر بالعُشر، فكانت القاعدة أن يدفع المسلم ربع العشر والذمي نصفه و يدفع القادم من أرض الحرب غير المسلم عُشراً كاملاً[9].

---

[1] الطبري، تاريخ (ج46/8)، ابن الأثير، الكامل (ج38/5)، ابن كثير، البداية (ج113/10).

[2] الطبري، تاريخ (ج152/8).

[3] المرعز هو الصوف اللين الذي يكون تحت شعر الماعز وهو الذي تصنع منه الثياب غالية الثمن (موسوعة المعاني، معنى مرعز في معجم المعاني الجامع)

[4] الطبري، تاريخ (ج152/8).

[5] ابن الأثير، الكامل (ج123/5)، ابن خياط، تاريخ (ص494)، القزويني، آثار البلاد (ص567).

[6] ابن طيفور، كتاب بغداد (ص 144)، المسعودي، مروج الذهب (ج42/4).

[7] المكوس (جمع مكس) أو العشور وهي الضريبة التي تجبى من التجار المارين في المراصد، ونصابها في التجارة ما قيمته مائتي درهم من الفضة أو عشرين مثقالاً من الذهب، وأن كان قيمتها أقل من ذلك لا يؤخذ منها، وما أخذ عنه ضريبة مرة لا يؤخذ عنه ثانية. أبو يوسف، الخراج (ص124)، الخوارزمي، مفاتيح (ص 40).

[8] أبو يوسف، الخراج (ص 134).

[9] المصدر السابق، ص 145، ابن الجوزية، أحكام أهل الذمة (ج156/1).

وكون أن التجار البيزنطيون والغربيون قد ساهموا بنصيب في تجارة المدن والمراكز التجارية والإسلامية، فقد كان يؤخذ منهم طريقة العشر نظير دخولهم الأسواق التجارية الإسلامية[1]، وكذلك التجار أهل الذمة الذين كانوا يرتادون حلب والموصل وسائر الأسواق في شمال الشام والجزيرة حيث تقع الثغور، وخاصة التجار اليهود من طائفة اليهود الراذانية، الذين كانوا يلعبون دوراً هاماً في تجارة الإقليم وكانوا يسافرون من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق برّا وبحراً، والذي ساعدهم في ذلك إجادتهم لعدد من اللغات كالفارسيّة والروميّة والإفرنجيّة والأندلسيّة والصقلبيّة فضلاً عن العربية[2].

**ت–الغنائم**

كما كانت الغنائم[3] مصدراً آخر لبيت المال والتي كانت تتدفق بشكل مستمر وذلك للحملات العسكرية المتلاحقة من مناطق الثغور وعبرها إلى بلاد الروم، فقد كانت الصوائف والشواتي مصدراً لإمداد مناطق الثغور وغيرها من أقاليم الدولة بأصناف الغنائم التي يتم الاستيلاء عليها، وأهمها السبي فقد كانت كمية السبي المجلوب تعبر عن مدى نجاح الحملات[4].

فقد عُبر عن نجاح صائفة عبد الملك بن صالح والتي انطلقت سنة 175هـ/791م لأنها جلبت معها19ألف رأس من الروم[5]، وحملة حميد بن معيوف البحرية على قبرص سنة 190هـ/805م والتي أتت ب 16 ألف رأس وبيعوا في الرافقة ومن ضمنهم أسقف قبرص الذي بيع بألفي دينار[6]، وكذلك غزوة المعتصم لعمورية سنة223هـ/838م لأنها جلبت معها 30 ألف رأس حتى امتلأ المعسكر بخلاف من بيعوا في بلاد الروم لكثرتهم[7].

---

[1] عاشور، بحوث ودراسات في العصور الوسطى (ص33).

[2] ابن خرداذبه، المسالك والممالك (ص 135)، مصطفى، التجارة والأسواق (ص 4).

[3] الغنيمة فهي ما حصل عليه المسلمون من عدوهم عنوة وقهراً سوآءا كان ذلك سبياً أو متاعاً أو أموالاً أو سلاحاً أو غيره بالقوة. الماوردي، الأحكام السلطانية (ص ص 126–127).

[4] الطبري، تاريخ (ج9/ص ص142–143).

[5] ابن خياط، تاريخ (ص 449)، ابن عساكر، تاريخ (ج21/23).

[6] الذهبي، تاريخ (ج793/4).

[7] الطبري، تاريخ (ج69/9)، الذهبي، تاريخ (ج693/5).

وبالإضافة إلى الأسرى فلا تكاد صائفة أو شاتية تعود إلا ويذكر أن مقاتلتها قد عادوا بأصناف من الغنائم الوافرة، فقد غنم هارون الرشيد في صائفته سنة 165هـ/782م والتي قادها في عهد والده المهدي ما لا يوصف من المواشي والدواب بخلاف الأسرى[1]، وفي عهد الخليفة الواثق غزا أحمد بن سعيد الباهلي الشاتية سنة 231هـ/846م ورغم أنه جبن عن ملاقاة أحد بطارقة الروم إلا أنه عاد بألف بقرة وعشرة آلاف شاة[2].

وقد كانت الإيرادات في بعض الأعوام تتأثر بالأحداث والتطورات السياسية، كما حدث إبان الفتنة التي حدثت بين الأمين والمأمون، فقد انخفضت نسبة الجباية بشكل كبير، وذلك لخروج أغلب مناطق الشام عن طاعة العباسيين، فلم يدفعوا الخراج، فقد منع نصر بن شبث إرسال الخراج لبيت المال سنة (189-206هـ/813-821م) والذي كان يسيطر على الجزيرة والتي كانت ترفد بيت المال بمبالغ كبيرة من المال[3].

**ثانياً: النفقات:**

تعددت أوجه نفقات الدولة في مناطق الثغور، وعكست تلك النفقات مدى اهتمام خلفاء بني العباس بتلك المناطق، وما تتطلبها طبيعة المنطقة في كونها متاخمة لحدود الأعداء التقليديين للخلافة العباسية، فكان من الطبيعي أن يكون للجانب العسكري الحيز الأكبر من تلك النفقات، وذلك حرصاً على سلامة حدودها المتاخمة للعدو وحرصاً على إبقاءها على جهوزية تامة، وقد تنوعت أوجه الإنفاق كما تنوعت أوجه الاهتمام، ونورد أبرزها فيما يلي:

**أ-الإنفاق على التحصينات والحملات:**

استدعى بناء مدن الثغور وتحصينها نفقات طائلة، حيث حرص خلفاء بني العباس على تحصين الحزام الأمامي للمدن التي امتدت من أعالي الفرات حيث يقع ثغر ملطية حتى طرسوس على البحر المتوسط وما بينهما من مدن محصنة كأذنة ومرعش وأنطاكية وغيرها[4].

---

[1] الطبري، تاريخ (ج8/152)، ابن الأثير، الكامل (ج6/66).

[2] الطبري، تاريخ (ج9/145)، ابن الأثير، الكامل (ج7/93).

[3] الرقب، أثر الحركات (ص 114).

[4] عبيد، تحصين المدن (ص 9).

وقد كلف ذلك بيت المال مبالغ باهظة، وعلي سبيل المثال لا الحصر، فقد أنفق الخليفة المعتصم على تحصين ثغر قليقلة الرومي بعد أن دك الروم سوره بالمنجنيق ما يقرب من خمسمائة ألف درهم[1].

ولم يقف الحد عند بناء الثغور وتحصينها، بل امتد الأمر إلى الإنفاق من أجل الدفاع عنها وإبعاد التهديد الرومي عنها، لذلك قام خلفاء بني العباس بتسيير الحملات العسكرية وإنفاق الأموال الطائلة عليها، حيث كان يعتبر إنفاذ الغزوات المتلاحقة جهاداً في سبيل الله، وصداً للعدوان الواقع أو المحتمل على الحدود الشمالية للدولة الإسلامية، لذا فقد كانت الغزوات ( الصوائف والشواتي) تتوالى من الثغور وعبرها، وقد كلفت بيت المال مصاريف باهظة حيث كانت تضاعف ما يجبى من تلك الثغور[2].

ففي عهد المهدي مثلاً أُنفق على الحملتين اللتين قادهما ابنه هارون الرشيد على بلاد الروم في الفترة ما بين سنتي 163-165هـ/779-781م والتي وصل في الحملة الثانية إلى خليج القسطنطينية والتي جاءت كرد على قيام ميخائيل البطريق بمهاجمة مدينة الحدث وتدميرها سنة 164هـ/780م، ما قيمته: 100000درهم، 194 ألف دينار، 21 مليون درهم[3].

وفي عهد الأمين تم إنفاق ما قيمته مليوني دينار ومليوني درهم في الحروب التي خاضها، وإن كان أغلبها صُرف على حروبه مع أخيه المأمون، حيث أنفق كل ما معه من الأموال حتى نفذت كل أمواله، فأمر ببيع ما في الخزائن من الأمتعة وضرب آنية الذهب والفضة دنانير ودراهم[4].

كما وأنفق الخليفة المعتصم ما بين مائتي ألف و ثلاثمائة ألف دينار في حملات الشتاء والصيف التي سيرها في عهده، وأنفق في فتح عمورية لوحدها مليون دينار حيث تجهز لفتح عمورية بجهاز لم يتجهزه خليفة من قبل من آلات الحرب والأحمال والجمال والقرب والدواب[5].

---

[1] البلاذري، فتوح البلدان(ص 236)، ياقوت، معجم البلدان (ج299/4).

[2] الزهراني، النفقات وإدارتها(ص 317).

[3] ابن الأثير، الكامل (ج65/5) ، الطبري، تاريخ (ج152/8)، الزهراني، النفقات (ص 317).

[4] الطبري، تاريخ (ج446/8)، ابن الأثير، الكامل (ج437/5)، ابن خلدون، تاريخ (ج299/3).

[5] ابن الأثير، الكامل (ج39/6)، ابن كثير، البداية (ج252/14).

ويضاف إلى النفقات في هذا المجال الأموال الكبيرة التي كانت تنفق على تحصين الثغور البحرية والسواحل وكذلك الصناعات البحرية، وكذلك نفقات دور الصناعة، ففي عهد الخليفة المعتصم وصل مقدار النفقة على المراكب إذا غزت من مصر والشام وذلك لمرة واحدة نحو مائة ألف دينار [1].

**ب-الإنفاق على رواتب الجند:**

نظراً لخطورة المهمة التي أنيطت بجند الثغور، ولاحتياج تلك المناطق للرجال والمقاتلين، فقد حرص خلفاء بني العباس على شحن تلك الثغور بالمؤن الكافية وبالمقاتلة وأنفقوا في ذلك عن سخاء، بل كانوا يزيدون في عطاء الجند من أجل تشجيعهم على الاستقرار في تلك المدن، وللبقاء على جهوزية تامة لمواجهة العدو، ولقد كان لتلك السياسة أثر واضح وكبير في استقرار وانتقال أعداد كبيرة من المقاتلين إليها، والذين نقلوا إليها معهم نسائهم وأطفالهم[2].

وقد كانت رواتب جند الثغور تزيد على رواتب الجند الآخرين في باقي أرجاء الدولة، فكان راتب الجندي في الثغر يتراوح ما بين 40 إلى 50 دينار في كل شهر، إضافة لما كان يُصرف لهم من أطعمة وألبسة وإعانات ومخصصات للمساكن، كما كان يتم إقطاعهم الأراضي الزراعية لزراعتها وقت السلم[3]، بالإضافة إلى تساهلهم معهم في الضريبة المقررة على أراضيهم ومساكنهم[4].

ولم يقتصر الأمر على ما تنفقه الدولة على الثغور والجند المرابطين بها، بل إن الناس الموسرين كانوا يقومون أيضاً بإرسال الأموال وغيرها إلى هناك طمعاً في الأجر، فعلي سبيل المثال وفي عهد المأمون قام عبدالله بن طاهر بمنح القاسم بن سلام مبلغ ثلاثين ألف دينار فأخذها ابن سلام واشترى بها خيلاً وسلاحاً وأرسله للثغور إسهاماً منه في الدفاع عن ديار الإسلام[5].

---

[1] عبيد، واقع البحرية (ص 8).
[2] البلاذري، فتوح البلدان (ص 154).
[3] الزهراني، النفقات وإدارتها (ص300).
[4] أحمد، بيت المال (ص 258).
[5] الزهراني، النفقات (ص 318).

**ت–أُعطيات الأدلاء**

يضاف إلى النفقات تلك الأعطيات التي كانت تُمنح للجواسيس الذين كانوا يعملون كعيون للمسلمين في مناطق الثغور[1]، وكذلك لفئة الأدلاء حيث كانت تُرصد لهم حصة معلومة من أعشار الغلال في الثغور، بحسب ما يراه السلطان من حسن النظر له ولمن يتجدد منهم، وقد مُيزت دوابهم ومطاياهم بما كان يرد بيت المال بطرسوس من الشعير برسم العشر وأُطلق لهم رسماً سنويا بمقدار نشاطهم[2].

وكذلك كانت الأعطيات تعطى للأقوام الذين كانوا يساعدون المسلمين فقد كانت الجرايات تجرى على الجراجمة مقابل الاستعانة بهم في مواطن كثيرة والذين كان يُعرف منهم المناصحة، كما كان يُستعان بهم في المسالح وغيرها من الأماكن القريبة من بلاد العدو[3] .

وكذلك الأرمن حيث كان المسلمون يصرفون عليهم من الغلال التي تجبى من الضياع التابعة للثغور مقابل عملهم كأدلاء للجيوش الإسلامية الغازية لبلاد الروم [4].

---

[1] قدامة، الخراج (ص253)، الطائي، اقتصاديات الثغور(ص 19).

[2] ابن العديم، بغية الطلب (ج181/1).

[3] ياقوت، معجم البلدان (ج123/2).

[4] ابن العديم، بغية الطلب (ج181/1).

## النتائج

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على من أرسله الله عز وجل بالهدى والرحمات ،سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .. وبعد

وفي ختام هذا الجهد المتواضع المتمثل في هذه الرسالة البحثية، والتي كانت بعنوان: " الثغور الشامية في العصر العباسي الأول" ، والذي استمر العمل عليها ما يقارب العام ونصف ما بين جمع للمعلومات وتفنيد لها وتوثيقها وكتابتها ومراجعتها وتدقيقها وإخراجها بالشكل الحالي، وذلك بعد أن تم الاطلاع على عدد كبير من المصادر والمراجع والدراسات التي تحدثت عن الموضوع أو تطرقت له في ثناياها، وبعد أن تم تسليط الضوء على الثغور الشامية الجزرية في العصر العباسي الأول، فإن الباحث قد خرج بعدد من النتائج هي على النحو التالي:

- بينت الدراسة ماهية الثغور وأهميتها عند المسلمين وأجر المرابطة فيها.
- وضحت الدراسة مفهوم بلاد الشام وخصوصيتها والأجر المضاعف للرباط فيها.
- لم تكن فكرة الثغور فكرة إسلامية خالصة بل إنها انتقلت إليهم من الأمم السابقة كالفرس والروم، إلا أنهم طوروها ووضعوا لها نظاما خاصاً.
- الاهتمام بالثغور كان منذ اللحظة الأولى التي رأت فيها الدولة الإسلامية النور فقد اهتم النبي صلى الله عليه وسلم بتأمين الثغور وكذلك فعل خلفاؤه الراشدون ومن جاء بعدهم من خلفاء بني أمية الذين كانت الثغور وحمايتها ذات أولوية خاصة.
- الثغور لم تكن نوع واحد، بل قُسمت الثغور إلى أكثر من نوع، فهناك ثغور برية وهي قسمين ثغور شامية وهي التي تقابل العدو من جهة الشمال الغربي، وثغور جزرية وهي التي كانت تقابل العدو من جهة الشمال الشرقي، وهناك ثغور بحرية وهي التي كانت تقابل البحر الرومي وتمتد على طول الساحل الشامي من أقصاه إلى أقصاه، ويأتي بعد ذلك العواصم وهي كانت من الثغور إلا أنه في زمن الرشيد تم تغيير مسماها الإداري لتصبح قواعد خلفية للثغور وخاصة بعد ضم أجزاء كبيرة من شمال الشام للدولة الإسلامية.
- منذ تولي العباسيين للحكم اختلف نوع العلاقة الحربية بين المسلمين والروم، وأصبحت بين مد وجزر متأثرةً بانشغال الطرفين في قضاياهم الداخلية، وانحصرت في هجمات محددة وفي مواسم محددة.

- اهتم خلفاء بني العباس اهتماما كبيراً بالثغور، فبالإضافة إلى إعادة بناء ما تهدم منها على أيدي الروم أو بفعل الطبيعة وتحصينه، قاموا ببناء العديد من الحصون الجديدة، كما قاموا بشحنها بالرجال والعتاد ومنحوا قاطنيها الكثير من الامتيازات.
- لم يقتصر دور الخلفاء العباسيين على إرسال الحملات الحربية السنوية، بل وصل بهم الأمر لقيادة الحملات العسكرية بأنفسهم كما فعل المهدي والرشيد والمأمون والمعتصم.
- تنوعت الحياة الاجتماعية في الثغور فقد اختلفت فيها أعراق السكان وكذلك تغيرت أديانهم إلا أن ذلك لم يمنع من سياسة التسامح بين مكونات المجتمع الثغوري.
- بالرغم من الطابع العسكري للثغور إلا أنها كانت ميدان للنشاط الاقتصادي فتضاريسها ومناخها وخصوبة تربتها ووفرة مياهها جعل منها مكاناً خصبا للزراعة وكذلك ازدهرت فيها الصناعات وكان للتقارب بين أهلها والروم دوراً في ازدهار صناعتها وبراعة صناعها وكذلك لعب الموقع المميز في ازدهار تجارتها.
- ازدهرت الحياة العلمية في الثغور بسبب كثرة من نفر إليها من العلماء والفقهاء والمحدثين واهتمام خلفاء بني العباس بالعلم وكذلك أمراء الثغور .
- لعبت الثغور أدوار متعددة ولم يقتصر على الدور العسكري فقط بل امتد للسياسي والأمني والحضاري والاقتصادي.

**التوصيات:**

**للمجاهدين:**

- نفر سلفكم الصالح إلى أرض الثغور طمعاً في الأجر والشهادة فسيروا على نهجهم.
- لم يبخل خلفاء المسلمين ولا موسريهم في البذل على إعمار الثغور فاقتدوا بهم.
- استحضروا أجر الرباط في الثغور وخاصة مجاهدي الشام فالأجر مضاعف.

**للباحثين:**

- لم تأخذ الثغور حظها من البحث فمن الضروري الاهتمام بهذا الموضوع.
- التركيز أكثر على الأدوار التي كانت تقوم بها الثغور ففيها الكثير من المعلومات التي قد تستفيد منها الأمة وخاصة في ظل مثل هذه الظروف الصعبة التي تعيشها الأمة.

# الملاحق

ملحق رقم (1): قائمة بأسماء خلفاء العصر العباسي الأول[1].

| م | اسم الخليفة | لقبه | فترة حكمه | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|
| 1 | عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب | السفاح، أبو العباس، المرتضى، القائم. | (132هـ - 136هـ) (750م - 754م) | أمه تدعى ورَيْطة بنت عبيد الله الحارثي. |
| 2 | عبد الله الثاني بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب | أبو جعفر المنصور. | (137هـ - 158هـ) (754م - 775م) | أمه تدعى سلامة البربرية |
| 3 | محمد بن عبدالله ابن أبو جعفر المنصور | أبو عبد الله، المهدي. | (158هـ - 169هـ) (775م - 786م) | أمه تدعى أروى بنت منصور الحميري |
| 4 | موسى بن محمد بن عبدالله | أبو محمد، الهادي. | (169هـ - 170هـ) (786م - 787م) | أمه تدعى الخيزران |
| 5 | هارون بن محمد بن عبدالله | الرشيد، أبو موسى، أبو جعفر. | (170هـ - 193هـ) (787م - 809م) | أمه تدعى الخيزران |
| 6 | محمد بن هارون الرشيد | الأمين، أبو عبد الله. | (193هـ - 198هـ) (809م - 814م) | أمه تدعى زبيدة بن جعفر |
| 7 | عبد الله بن هارون الرشيد | المأمون، أبو العباس. | (198هـ - 218هـ) (814م - 833م) | أمه تدعى مراجل |
| 8 | محمد بن هارون الرشيد | المعتصم، أبو إسحاق. | (218هـ - 227هـ) (833م - 842م) | أمه تدعى ماردة |
| 9 | هارون بن محمد بن هارون | الواثق بالله، أبو جعفر. | (227هـ - 232هـ) (842م - 847م) | أمه تدعى قراطيس |

---

[1] محمود شاكر، الدولة العباسية (ج1/ص ص 300-450).

**ملحق رقم(2): أبرز ولاة العباسيين على الشام والجزيرة وثغورهما في العصر العباسي الأول[1]**

| م | اسم الخليفة | اسم الوالي | مكان الولاية | سنة الولاية |
|---|---|---|---|---|
| 1 | أبو العباس السفاح | عبد الله بن علي | اقليم الشام | 132هـ/750م |
| | | عبد الله بن محمد (المنصور) | بلاد الجزيرة الفراتية | 132هـ/750م |
| 2 | أبو جعفر المنصور | صالح بن علي | اقليم الشام وأجناده | 137هـ/754م |
| | | أبو مسلم الخرساني | اقليم الشام وأجناده | 138هـ/755م |
| | | العباس بن محمد بن علي | بلاد الجزيرة الفراتية | 137هـ/754م |
| 3 | المهدي | هارون الرشيد بن المهدي | اقليم الشام وأجناده | 163هـ/779م |
| | | الفضل بن صالح | بلاد الجزيرة الفراتية | 159هـ/775م |
| 4 | هارون الرشيد | الأمين بن الرشيد | اقليم الشام وأجناده | 173هـ/789م |
| | | عبد الملك بن صالح بن علي | اقليم الشام وأجناده | 173هـ/789م |
| | | المؤتمن ( القاسم بن الرشيد) | بلاد الجزيرة والثغور | 173هـ /789م |
| 5 | الأمين | عبد الملك بن صالح على | اقليم الشام وأجناده | 175هـ/791م 196هـ/811م |
| | | جعفر بن يحيى البرمكي | اقليم الشام وأجناده | 180هـ/796م |
| | | خزيمة بن حازم | بلاد الجزيرة والثغور | 194هـ/809م |
| 6 | المأمون | طاهر بن الحسين | اقليم الشام وأجناده | 198هـ/813م |
| | | عبد الله بن طاهر | اقليم الشام وأجناده | 200هـ/815م |
| | | المعتصم | اقليم الشام وأجناده | 211هـ/826م |
| | | العباس بن المأمون | بلاد الجزيرة والثغور والعواصم | 213هـ/828م |
| 7 | المعتصم | أشناس التركي | اقليم الشام والجزيرة | 223هـ/838م |
| 8 | الواثق | محمد بن صالح بن عبد الله بن صالح | اقليم الشام والجزيرة | 227هـ/842م |

[1] الشوحة، موقف بلاد الشام من الخلافة العباسية (ص ص 232- 236).

ملحق رقم (1): قائمة بأسماء خلفاء العصر العباسي الأول[1].

| م | اسم الخليفة | لقبه | فترة حكمه | ملاحظات |
|---|---|---|---|---|
| 1 | عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب | السفاح، أبو العباس، المرتضى، القائم. | (132هـ - 136هـ) (750م - 754م) | أمه تدعى ورَيْطة بنت عبيد الله الحارثي. |
| 2 | عبد الله الثاني بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب | أبو جعفر المنصور. | (137هـ - 158هـ) (754م - 775م) | أمه تدعى سلامة البربرية |
| 3 | محمد بن عبدالله ابن أبو جعفر المنصور | أبو عبد الله، المهدي. | (158هـ - 169هـ) (775م - 786م) | أمه تدعى أروى بنت منصور الحميري |
| 4 | موسى بن محمد بن عبدالله | أبو محمد، الهادي. | (169هـ - 170هـ) (786م - 787م) | أمه تدعى الخيزران |
| 5 | هارون بن محمد بن عبدالله | الرشيد، أبو موسى، أبو جعفر. | (170هـ - 193هـ) (787م - 809م) | أمه تدعى الخيزران |
| 6 | محمد بن هارون الرشيد | الأمين، أبو عبد الله. | (193هـ - 198هـ) (809م - 814م) | أمه تدعى زبيدة بن جعفر |
| 7 | عبد الله بن هارون الرشيد | المأمون، أبو العباس. | (198هـ - 218هـ) (814م - 833م) | أمه تدعى مراجل |
| 8 | محمد بن هارون الرشيد | المعتصم، أبو إسحاق. | (218هـ - 227هـ) (833م - 842م) | أمه تدعى ماردة |
| 9 | هارون بن محمد بن هارون | الواثق بالله، أبو جعفر. | (227هـ - 232هـ) (842م - 847م) | أمه تدعى قراطيس |

---
[1] محمود شاكر، الدولة العباسية (ج1/ص ص 300-450).

## ملحق رقم (3): خريطة عامة للثغور البرية الشامية الجزرية[1]



---

[1] مصطفى، دولة بني العباس (ج295/1).

ملحق رقم (**4**): **خريطة للثغور البرية الشامية**[1]




---

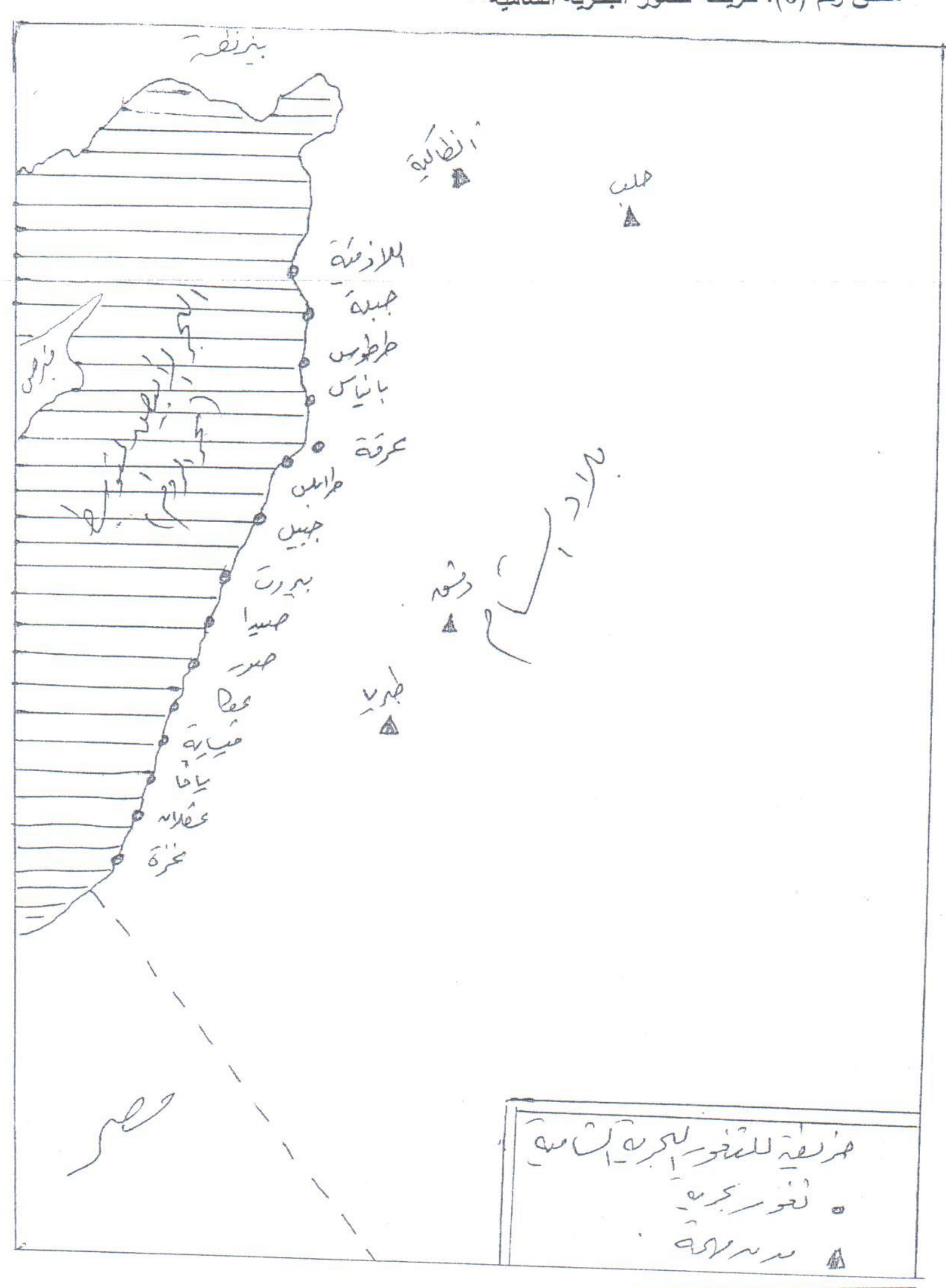
[1] مصطفى، دولة بني العباس (ج295/1).

ملحق رقم (5): خريطة للثغور الجزرية[1]




[1] مصطفى، دولة بني العباس (ج295/1).

ملحق رقم (6): خريطة للثغور البحرية الشامية[1]



[1] دياب، المسلمون وجهادهم (ص 236).

# المصادر والمراجع


القرآن الكريم.

ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري.(1997م). *الكامل في التاريخ*. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. ط 1. بيروت: دار الكتاب العربي .

أحمد، عبد الحسين علي. (1989م). *بيت المال في بغداد خلال العصر العباسي الأول 132هـ-232هـ* (رسالة دكتوراه غير منشورة). جامعة عين شمس، القاهرة.

أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني. (2001م). *مسند الإمام بن حنبل*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط عادل مرشد، وآخرون. ط1. نشر مؤسسة الرسالة.

الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي.(1409هـ) *نزهة المشتاق في اختراق الآفاق*. ط 1. بيروت: عالم الكتب .

الأزدي، أبي زكريا بن يزيد بن إياس الأزدي.(2006م). *تاريخ الموصل*. تحقيق: أحمد عبد الله محمود. ط1. بيروت: دار الكتب .

الأزدي، ابو اسماعيل محمد بن عبدالله الأزدي البصري. (د. ت). *فتوح الشام*. (د. ط).

الاصطخري، أبو اسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري. المعروف بالكرخي . (2004م).*المسالك والممالك*. (د. ط). نشر: بيروت : دار صادر.

ابن أعثم، أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي.(1991م) *كتاب الفتوح*. تحقيق: على شيري .ط1. دار الأضواء .

أكبر، فايزة إسماعيل. (1993). *الزُط وموقعهم في التاريخ الإسلامي*. *مجلة العصور*، 8(1)، 127-142.

الأنصاري، أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري صفي الدين (1301هـ). *خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال*. (د. ط). نشر: المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق.

الأنطاكي، يحيى بن سعيد بن يحيى الأنطاكي.(1990م). *تاريخ الأنطاكي* المعروف بصلة تاريخ أوتيخاء. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. (د. ط). جروس برس: طرابلس.

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله. (1987م). *الجامع الصحيح*. ط1. القاهرة: دار الشعب .

البدرشيني، هيام هاشم أحمد.(2002م).*الأوضاع السياسية والعسكرية والاقتصادية في منطقة الثغور الإسلامية الجزرية الشامية في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي*. (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الملك عبد العزيز.

البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي .(1988-2009م) *مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار*. تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرين. (د. ط). المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم .

ابن بطوطة، محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي. (1417هـ). رحلة ابن بطوطة. *تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار*. (د. ط). الرباط: أكاديمية المغرب

بن بكار، الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي.(1996م) .*الأخبار الموفقيات* . تحقيق: سامي مكي العاني. ط2. بيروت: عالم الكتب .

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي. (1992م). *المسالك والممالك*. (د. ط). دار الغرب الإسلامي.

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري الأندلسي.(1403هـ). *معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع*. (د. ط). بيروت: عالم الكتب.

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود.(1996م) *جمل من أنساب الأشراف*. تحقيق: سهيل زكار وآخر . ط1. بيروت: دار الفكر.

البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود. (1988م). *فتوح البلدان*. (د. ط). بيروت: دار الهلال .

البلخي، محمد بن أحمد بن يوسف، أبو عبد الله .الكاتب البلخي الخوارزمي(د. ت). *مفاتيح العلوم*. تحقيق: إبراهيم الأبياري. ط2. دار الكتاب العربي.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني. (2003م). *السنن الكبرى للبيهقي*. تحقيق : محمد عبد القادر عطا. ط3. لبنان – بيروت : دار الكتب العلمية.

تدمري، عمر عبد السلام تدمري. (1990م). *لبنان من الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية (13-132هـ/634-750م)*. ط1. طرابلس : جروس برس .

التنوخي، المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري، أبو علي.(1978م). *الفرج بعد الشدة*. تحقيق: عبود الشالجى . (د. ط). بيروت: دار صادر.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، أبو عيسى. (1975م). *السنن*. سنن الترمذي. تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرين . ط2. مصر: مكتبة ومطبعة الحلبي .

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي. (1987م). *الفتاوى الكبرى*. ط1. دار الكتب.

الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي. (د. ت). *ثمار القلوب في المضاف والمنسوب*. (د. ط). القاهرة: دار المعارف .

الجبوري، عدي سالم عبد الله حمد. (2006م). *حياة المجاهدين في الثغور الشامية والجزرية خلال العصرين الأموي والعباسي*. *مجلة جامعة تكريت*، 13(8)، 126- 158.

الجعفري، أميرة بنت أحمد الجعفري. (د. ت). *سياسية الدولة الأموية في إدارة الثغور الأندلسية(138-422هـ)*. (د. م).

جواد علي، الدكتور جواد علي. (2001م). *المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام*. ط4. دار الساقي .

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. (2000م) . *صفة الصفوة* . تحقيق: أحمد بن علي. (د. ط). القاهرة: دار الحديث .

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي.(1409هـ). *مناقب الإمام أحمد*. تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي.ط2. نشر: دار هجر .

جوزيف نسيم يوسف. (2005م). *تاريخ الدولة البيزنطية (248-1453م)*. (د. ط).دار المعرفة الجامعية

الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه الحاكم النيسابوري. (1997م). *المستدرك على الصحيحين للحاكم*. تحقيق: أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي. (د. ط). القاهرة: دار الحرمين .

حتي، فيليب. (د. ت). *تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين*. ط3. بيروت: دار الثقافة .

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي القرطبي الظاهري(د. ت). *الفصل في الملل والأهواء والنحل*. (د. ط). القاهرة :مكتبة الخانجي .

حسن، ابراهيم حسن. (1996م). *تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والاجتماعي الدولة العباسية*. ط14. بيروت: دار الجيل .

حمودي، شيرين سليم .(2008م). *الجزيرة الفراتية منذ بداية العصر العباسي حتى نهاية خلافة المأمون 132-218هـ/750-833م* . (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة دمشق.

الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم.(1980م). *الروض المعطار في خبر الأقطار*. تحقيق: إحسان عباس.ط2. بيروت: مؤسسة ناصر للثقافة .

ابن حوقل، محمد بن حوقل البغدادي الموصلي.(1938م). *صورة الأرض*. (د. ط). بيروت: دار صادر، افست ليدن.

الخالدي، صلاح عبد الفتاح. (2007م) . *القرآن ونقض مطاعن الرهبان*.ط1. دمشق: دار القلم.

ابن خرداذبة، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله. (1889م). *المسالك والممالك.* (د. ط).بيروت: دار صادر أفست ليدن.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي. (2002م). *تاريخ بغداد.* تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف. ط1. بيروت: دار الغرب الإسلامي

خفاجي، محمد توفيق. (1966م). *النظم الإدارية والمالية في بلاد العراق والفرس من مستهل العصر العباسي إلى نهاية القرن الرابع الهجري.* (رسالة دكتوراه غير منشورة)، جامعة القاهرة.

خفاجي، محمد عبد المنعم. (2004م) . *الحياة الأدبية في العصر العباسي.* (د. ط). الإسكندرية: دار الوفاء .

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد الحضرمي. (1988م). *تاريخ ابن خلدون،* المعروف بديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر. تحقيق : خليل شحادة. ط2. بيروت: نشر دار الفكر.

خماش، نجدت خماش. (1987م). *الشام في صدر الإسلام.* (د. ط). دار طلاس للدراسات.

بن خياط، أبو عمر خليفة بن خياط بن خليفة الشيباني العصفري البصري. (1397ه). *تاريخ خليفة بن خياط.* تحقيق: د. أكرم ضياء العمري . ط2. بيروت: دار القلم ،مؤسسة الرسالة .

أبو داود، أَبو داوود سليمان بن الأشعث السجستاني(د. ت). *السُّنَن.* تحقيق :عوامة. (د. ط). بيروت : دار الفكر – دار القبلة .

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي. (1987م). جمهرة *اللغة.* تحقيق: رمزي منير بعلبكي. ط1. بيروت: دار العلم للملايين .

الدمشقي، أبي البقاء عبد الله البدري المصري الدمشقي. (1241ه). *نزهة الأنام في محاسن الشام،* (د. ط).القاهرة: المطبعة السلفية.

الدوري، عبد العزيز. (1995م). *تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري.* ط3.بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

دياب، صابر محمد .(1984م). *المسلمون وجهادهم ضد الروم خلال القرن الرابع الهجري*. (د. ط).مكتبة السلام العالمية.

الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري .(1960م). *الأخبار الطوال*. تحقيق: عبد المنعم عامر. ط1 . القاهرة: دار إحياء الكتب العربي .

ديورَانت، ويليام جيمس. (1988م). *قصة الحضارة*. ترجمة: الدكتور زكي نجيب محمُود . بيروت: دار الجيل، (د. ط). تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*. (2003م). تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف. ط1. دار الغرب الإسلامي

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز. (2006م). *سير أعلام النبلاء*. (د. ط). القاهرة: دار الحديث .

الراجحي، محمد بن سليمان. (2001م). *جهود العباسيين في بناء المدن الثغرية وتحصينها*. مجلة الدرعية ، السنة الرابعة، 13 ، أبريل 2001م. 39- 91.

الراسي، زيادة بن يحيى النصب. (2003م). *البحث الصريح في أيما هو الدين الصحيح*. تحقيق: سعود ين عبد العزيز الخلف . ط1. المدينة النبوية: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.

الرباصي، مفتاح يونس. (د. ت). *المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول 132-232هـ*. منشورات جامعة 6 أكتوبر. مصر.

أبو رحمة، زهير عبد الله سعيد. (2006م) .*الحياة العلمية في غزة وعسقلان منذ بداية العصر العباسي وحتى الغزو الصليبي 132-491هـ/750-1097م*. (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الاسلامية-غزة . فلسطين.

رستم، أسد . (1955م) . *الروم وصلاتهم بالعرب*. ط1. بيروت.

ابن رسته، أبو علي أحمد بن عمر(د. ت). *الأعلاق النفيسة*. (د. ط).

ابن رضي، محمد بن محمد بن محمد الغزي العامري الدمشقي. (2004م). *المطالع البدرية في المنازل الرومية*. تحقيق: المهدي عيد الرواضيّة. ط1. أبو ظبي: دار السويدي للنشر.

الرقب، نائل عبد الحميد عبد الرحمن. (2003م) .*أثر الحركات ( الفتن والثورات) في جند دمشق على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في العصر العباسي الأول من سنة 132- 247هـ/ 750-681م*. (رسالة ماجستير غير منشورة). الجامعة الأردنية.

الرواضية، المهدي عيد موسى.(2012م). *جند قنسرين في العصر العباسي حتى قيام الدولة الحمدانية، (132-323هـ/749-944م)*. (رسالة دكتوراه غير منشورة). الجامعة الأردنية.

الزبيدي، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني. (د. ت). *تاج العروس من جواهر القاموس*. تحقيق: مجموعة محققين. (د. ط).القاهرة: دار الهداية.

الزبيري، مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير(د. ت). *نسب قريش*. تحقيق: ليفي بروفنسال. ط3. القاهرة: دار المعارف.

الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس.(2002م) .*الأعلام*. ط15. القاهرة: دار العلم للملايين .

الزهراني، ضيف الله يحيى. (1404هـ). *النفقات وإدارتها في الدولة العباسية من 132/334هـ*. (رسالة دكتوراه غير منشورة). جامعة أم القرى .

سالم، السيد عبد العزيز سالم. (د. ت). *تاريخ الدولة العربية*. ط2. مؤسسة شباب الجامعة.

السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة. (1971م). *شرح السير الكبير*.(د. ط). القاهرة: الشركة الشرقية للإعلانات.

ابن سعد، أبو الله عبد محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي. (1990م). *الطبقات الكبرى*. تحقيق: محمد عبد القادر عطا. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية .

ابن سلام، أبو عبيد القاسم .(1989م).*الأموال*. ط1. القاهرة: دار الشروق.

السمعاني المروزي، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي. (1962م). *الأنساب*. تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره. ط1. حيدر أباد: مجلس دائرة المعارف العثمانية.

السمهودي، علي بن عبد الله بن أحمد الحسني الشافعي. (1419هـ). *وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية .

ابن سيد الناس، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربعي، فتح الدين. (1993م). *عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير*. ط1. بيروت. دار القلم.

بن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي .(2000م). *المحكم والمحيط الأعظم*. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. (1425هـ). *تاريخ الخلفاء*. تحقيق: حمدي الدمرداش. ط1. القاهرة: مكتبة نزار الباز .

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي. (د.ت) *الدر المنثور في التفسير بالمأثور*.(د. ط) بيروت: دار الفكر.

ابن شاكر، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الكتبي. (1974م). *فوات الوفيات*. تحقيق: إحسان عباس. ط1. بيروت: دار صادر.

بن الشحنة، القاضي أبي الفضل محمد بن الشحنة. (1984م). *الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب*. ط1. دار الكتاب العربي.

ابن شداد، عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم الأنصاري الحلبي(د. ت). *الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام و الجزيرة*. (د. ط).(الشاملة).

شفيق جاسر أحمد محمود. (1409هـ). *المماليك البحرية وقضائهم على الصليبيين في الشام*. (د. ط)82. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية .

شلبي، أحمد . (1999م). *التاريخ والحضارة الإسلامية*. (د. ط).القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

الشوحة، خلدون نواف الشوحة. (1992م). *موقف بلاد الشام من الخلافة العباسية في العصر العباسي الأول*. جامعة اليرموك. الأردن.

بن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن خواستي العبسي. (1409هـ). *الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار*. تحقيق: كمال يوسف الحوت. ط1. الرياض: مكتبة الرشد .

الشيخ، عبد الستار. (2006م). *الإمام الأوزاعي*. ط1. دمشق: دار القلم .

صالح، عبد العزيز. (د. ت). *تاريخ شبه الجزيرة العربية في عصورها القديمة*. (د. ط).مكتبة الأنجلو المصرية.

صالح، عبد العزيز. (د. ت). *الشرق الأدنى القديم في مصر والعراق*. (د. ط).القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي. (2000م). *الوافي بالوفيات*. تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى. (د. ط). بيروت: دار إحياء التراث .

الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي. (2002م). *الانشراحُ وَرَفعُ الضِّيق في سِيرةِ أبي بَكْر الصِّديق شخصيته وَعَصره*. (د. ط). القاهرة: دار التوزيع والنشر الإسلامية.

الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي.(2006م). *دولة السلاجقة وبروز مشروع إسلامي لمقاومة التغلغل الباطني والغزو الصليبي*. ط1. القاهرة: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة.

الصَّلاَّبي، عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي. (2008م). *معاوية بن أبي سفيان– شخصيته وعصره*. ط1. مصر: دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع .

الضبي، أحمد محمد بن الحسن الضبي. (1998م). *ديوان الصنوبري*. تحقيق د. احسان عباس. (د. ط). بيروت: دار صادر .

ضيف، شوقي . (1966م). *العصر العباسي الأول*. ط1. دار المعارف.

الطائي، سناء عبد الله عزيز.(2010م). *اقتصاديات الثغور في القرنين الثالث والرابع للهجرة التاسع والعاشر للميلاد*، *مجلة أبحاث كلية التربية*، 9(3). 497– 515.

الطائي، سناء عبد الله عزيز.(2011م). *أنطاكية مدينة العواصم في القرنين الثالث والرابع للهجرة . مجلة آداب الرافدين . العدد 60*.

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني. (د.ت) *المعجم الأوسط*. تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. (د. ط). القاهرة: دار الحرمين .

الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي. *المعجم الكبير*. (1983م). تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي. ط2. الموصل: مكتبة العلوم والحكم .

الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري.(1387هـ). *تاريخ الطبري* = تاريخ الرسل والملوك. ط2. بيروت: دار التراث.

طقوش، محمد سهيل. (1996م). *تاريخ الخلفاء الراشدين والفتوحات*. ط1. دار النفائس.

طقوش، محمد سهيل. (1996م). *تاريخ الدولة الأموية*. ط1. بيروت: دار النفائس.

ابن طيفور، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر ابن طيفور.(2002م). *كتاب بغداد*. تحقيق: السيد عزت العطار الحسيني. ط3. القاهرة: مكتبة الخانجي .

عاشور، سعيد عبد الفتاح. (1997م). *بحوث ودراسات في تاريخ العصور الوسطى*. (د. ط). جامعة بيروت .

عباس، إحسان. (1988م). *شذرات من كتب مفقودة في التاريخ*. ط3. بيروت: دار الغرب الإسلامي .

ابن عبد الحق، عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي. (1412هـ). *مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع*. ط1. بيروت: دار الجيل.

عبد اللطيف، عبد الشافى محمد. (1428هـ). *السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي*. ط1. القاهرة: دار السلام .

العبد الغني. (1990م). *الحدود البيزنطية الإسلامية وتنظيماتها الثغرية* (40-339هـ/660-950م). (حوليات كلية الآداب، الحولية 11). الرسالة 71.

ابن العبري، غريغوريوس (واسمه في الولادة يوحنا) ابن هارون بن توما الملطي. (1992م). *تاريخ مختصر الدول*. تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي. ط3. بيروت: دار الشرق.

عبيد، طه خضر.(2011م). *واقع البحرية العباسية في شرق البحر المتوسط 132-247هـ/749-861م. مجلة التربية والتعليم*. 18(3). 104-118.

أبو عُبيَّة، طه عبد المقصود عبد الحميد. (د. ت). موجز عن *الفتوحات الإسلامية*. ط1. القاهرة: دار النشر للجامعات .

العتباني، طاهر. *الحياة الثقافية والعلمية في عصر أبي تمام (2013/12/31م)*، تاريخ الاطلاع 2016/8/20م، موقع http://www.alukah.net/

ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي. (د. ت). *بغية الطلب في تاريخ حلب*. تحقيق: د. سهيل زكار. (د. ط). دار الفكر.

ابن العديم، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيلي.(1996م). *زبدة الحلب في تاريخ حلب*. وضع حواشيه: خليل المنصور. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

أبو العرب، محمد بن أحمد بن تميم التميمي المغربي الإفريقي. (1984م). *المحن*. تحقيق: د عمر سليمان العقيلي . ط1. الرياض: دار العلوم .

عرفات، عبد الله حسين ولي.(د.ت). *علاقة الدولة الأموية مع الدولة البيزنطية في عهد معاوية بن أبي سفيان (41-60هـ/660-681م)*. (د. م).

العريني، الباز. (1982م). *الدولة البيزنطية*. (د. ط). بيروت: دار النهضة العربية .

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله. (1995م). تاريخ دمشق. تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي. (د. ط). دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

العسلي، بسام. (1988م). *فن الحرب الإسلامي*. (د. ط). بيروت: دار الفكر للنشر والتوزيع.

عصفور، محمد أبو المحاسن. (د. ت). *معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم*. (د. ط).بيروت: دار النهضة العربية.

العلي، صالح أحمد. (1983م). *امتداد العرب في صدر الإسلام* .ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة.

عمران، محمود سعيد. (2000م). *معالم تاريخ الإمبراطورية البيزنطية*. (د. ط). دار المعرفة الجامعية .

العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين. (1423هـ). *مسالك الأبصار في ممالك الأمصار*. ط1. أبو ظبي: المجمع الثقافي.

عون، عبد الرؤوف .(1961م). *الفن الحربي في صدر الإسلام*. ط2. دار المعارف.

العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفي. (د. ت). *عمدة القاري شرح صحيح البخاري*. (د. ط). بيروت: دار إحياء التراث العربي .

الغزي، كامل بن حسين بن محمد بن مصطفى الحلبي.(1419هـ). *نهر الذهب في تاريخ حلب*. ط2. حلب: دار القلم.

غلوش، أحمد أحمد . (1424هـ). *السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي*. ط1. مؤسسة الرسالة

بن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين.(1979م). معجم *مقاييس اللغة*. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. (د. ط). دار الفكر.

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن شاهنشاه بن أيوب. (د. ت). *اليواقيت والضرب في تاريخ حلب*. (د. ط). (مرقم آليا). (د. م).

أبو الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر صاحب حماه.(1981م). *تقويم البلدان*. تحقيق مستشرقين فرنسيين. طبع في باريس(1850م). ط12.بغداد: مجلة الرسالة الإسلامية.

أبو الفرج، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. (1409هـ). *مناقب الإمام أحمد*. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن الترك. ط2. دار هجر.

الفسوي، يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي، أبو يوسف. (1981م). *المعرفة والتاريخ*. تحقيق: أكرم ضياء العمري . ط2. بيروت: مؤسسة الرسالة.

الفقي، محمد حامد. (1956م). *شذرات البلاتين من طيبات كلام الصالحين*. (د. ط).القاهرة: مطبعة السنة .

ابن الفقيه، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمداني.(1996م). *البلدان*. تحقيق: يوسف الهادي .ط1. بيروت: عالم الكتب.

فوزي، فاروق عمر. (2009م). *الخلافة العباسية عصر القوة والازدهار*. ط1. عمان: دار الشروق للنشر.

فوزي، فاروق عمر. (د. ت). *الجيش والسياسة في العصر الأموي ومطلع العصر العباسي 41هـ/334هـ* .. (د. ط). دار المنهل .

الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ، أبو العباس. (د. ت). *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير*. (د. ط). بيروت: المكتبة العلمية .

قدامة، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي. (1981م).*الخراج وصناعة الكتابة*. ط1. بغداد: دار الرشيد للنشر.

ابن قدامة، عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي أبو محمد. (1985م). *المُغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل الشيباني وشرح مختصر الخرقي*. ط1. دار إحياء التراث العربي .

القزويني، زكريا بن محمد بن محمود القزويني. (د. ت). *آثار البلاد وأخبار العباد*. (د. ط). بيروت: دار صادر .

القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني. (2007م). *التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول*. ط1. قطر: وزارة الأوقاف.

ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. (1997م). *أحكام أهل الذمة*. تحقيق: يوسف بن أحمد البكري وآخر. ط1. الدمام: رمادي للنشر.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي. (1419هـ). *تفسير القرآن العظيم*. تحقيق: محمد حسين شمس الدين. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية .

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي. (1988م). *البداية والنهاية*. تحقيق: علي شيري . ط1 . دار إحياء التراث العربي.

كحيلة، عبادة بن عبد الرحمن رضا. (1996م). *العقد الثمين في تاريخ المسلمين*. ط1. الكويت: دار الكتب الحديث.

كُرْد عَلي، محمد بن عبد الرزاق بن محمَّد. (1983م). *خطط الشام*. ط3. دمشق: مكتبة النوري

كمال، أحمد عادل. (1989م). القادسية . ط9. لبنان: دار النفائس.

كنعان، عصام إسماعيل. (2008م). *نظام حماية الحدود في العصر الأموي*. *مجلة الفتح*، العدد 32، 2008م

لويس، أرشيبالد. (د.ت). *القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط*. ترجمة أحمد محمد عيسى. مراجعة محمد شفيق غربال. (د. ط).القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

ليسترنج، كي. (د. ت). *بلدان الخلافة الشرقية*. ترجمة بشير فرنسيس و كروكيس عواد. (د. ط). الكويت: مؤسسة الرسالة.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي. (د.ت). *الأحكام السلطانية*. (د. ط). القاهرة: دار الحديث.

ابن المبرد، يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن ابن عبد الهادي الصالحي. (2011 م). *تذكرة الحفاظ وتبصرة الأيقاظ*. تحقيق: نور الدين طالب ولجنة. ط 1. سوريا: دار النوادر.

المزي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي الكلبي. (1980م). *تهذيب الكمال في أسماء الرجال*. تحقيق: د. بشار عواد معروف. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة.

مجهول،(1423هـ). حدود *العالم من المشرق إلى المغرب*. محقق ومترجم الكتاب(عن الفارسية): السيد الهادي. (د. ط). القاهرة: الثقافية للنشر.

محمد، عمر يحيى . (د. ت). *التوجهات في العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين الدولة البيزنطية والدولة الإسلامية في عهد الأسرة الايسورية 98-205هـ / 717-820م*. (د. م).

المحمدي، أبو ذر عبد القادر بن مصطفى بن عبد الرزاق المحمدي. (د. ت). *التصنيف في مصطلح الحديث بين مدرستي الحديث والفقه*. (الشاملة).

محمود، حسن أحمد محمود وآخر.(د.ت). *العالم الإسلامي في العصر العباسي*. ط5. دار الفكر العربي .

ابن المستوفي، مبارك بن أحمد بن المبارك اللخمي الإربلي (1980م). *تاريخ اربل*. تحقيق: سامي بن سيد خماس الصقار. (د. ط).العراق: وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر.

المسعودي، ابي الحسن بن علي المسعودي. (2005م). *مروج الذهب ومعادن الجوهر*. راجعه: كمال حسن مرعي . ط1. بيروت-لبنان: المكتبة العصرية .

بن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب. (2000م). *تجارب الأمم وتعاقب الهمم*. تحقيق: أبو القاسم إمامي. ط2. طهران: سروش.

مسلم، الصحيح، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري. (د. ت). *الجامع الصحيح (صحيح مسلم)*. (د. ط). بيروت: دار الجيل+ دار الأفاق.

المصري، جميل عبد الله محمد. (2011م). *طرسوس صفحة من جهاد المسلمين في الثغور*. *مجلة التربية والتعليم*، 12(3).

مصطفى، شاكر مصطفى.(1973م). *دولة بني العباس*. ط1. الكويت: وكالة المطبوعات .

مصطفى، نهلة أنيس محمد. (1998م). *الأسواق والمراكز التجارية في شمال الشام والجزيرة خلال العصر العباسي*، بحث نشر في المؤتمر الدولي في التاريخ الاقتصادي للمسلمين. القاهرة: جامعة الأزهر.

معلوف، لويس معلوف . (د. ت). *المنجد في اللغة*. ط19. بيروت: المطبعة الكاثوليكية.

المقدسي، أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري. (1993م). *أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم*. ط1. القاهرة: مكتبة مدبولي.

المقدمي، محمد بن أحمد بن محمد، أبو عبد الله المقدمي. (1994م). *التاريخ وأسماء المحدثين وكناهم*. تحقيق: محمد بن إبراهيم اللحيدان. ط1. دار الكتاب والسنة.

المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي. (1991م). *المقفى الكبير*. تحقيق: محمد اليعلاوي. ط1. دار الغرب .

المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي.(1418هـ). *المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية.

ملا علي، عصام عبد المحسن.(2010م). *النشاط العسكري الأموي على الجبهة البيزنطية (40-132هـ / 661-750م)*. (رسالة ماجستير). دمشق: جامعة دمشق.

الملحم، محمد بن ناصر بن أحمد . *العلاقات السياسية بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية في عهد الرشيد 170-193هـ/ 786-808م*. الإحساء: جامعة الإمام محمد بن سعود.

ابن الملقن، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي الشافعي المصري. (1994م). *طبقات الأولياء*. تحقيق: نور الدين شريبه من علماء الأزهر. ط2. القاهرة: مكتبة الخانجي .

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى. (1414هـ). *لسان العرب*. ط3. بيروت: دار صادر.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى. (1984م) .*مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر*. تحقيق: روحية النحاس وآخرون. ط1 دمشق – سوريا : دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر.

مهران، محمد بيومى. (د.ت) . *دراسات في تاريخ العرب القديم*. ط2. دار المعرفة الجامعية.

المهلبي، الحسن بن أحمد المهلبي (العزيزي). (د. ت). *المسالك والممالك*. جمعه وتعليق: تيسير خلف. (د. ط). (د. م).

مؤسسة سفير الاعلامية، *الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامية*. (د. م).

*موسوعة المعاني*، http://www.almaany.com

ناصر خسرو، أبو معين الدين ناصر خسرو الحكيم القبادياني المروزي. (1983م).*سفر نامه*. تحقيق: د. يحيى الخشاب. ط3. بيروت: دار الكتاب.

بن نباته، جمال الدين بن نباته المصري. (1964م).*سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون*. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. (د. ط). دار الفكر العربي.

ابن النديم، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي الشيعي. (1997م). *الفهرست*. تحقيق: إبراهيم رمضان. ط2. بيروت: دار المعرفة .

أبو نعيم، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني. (1998م). *معرفة الصحابة*. تحقيق: عادل بن يوسف العزازي. ط1. الرياض: دار الوطن للنشر.

النويري، أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري.(1423هـ). *نهاية الأرب في فنون الأدب*. (د. ط). القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية .

النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، الشافعي. (1430هـ). *التفسير البسيط*. تحقيق: لجنة علمية . ط1. جامعة بن سعود: عمادة البحث العلمي.

الهرثمي، صاحب المأمون.(1964م). مختصر *سياسية الحروب*. تحقيق :عبد الرؤوف عون. (د. ط). المؤسسة المصرية العامة، مطبعة مصر.

الهروي، تقي الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر الهروي. (د. ت). *التذكرة الهروية في الحيل الحربية*. (د. ط). مكتبة الثقافة الدينية.

بن هشام، عبد الملك بن هشام بن أبو الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين.(1955م). *السيرة النبوية*. تحقيق: مصطفى السقا وآخرون. ط2. مصر: مكتبة ومطبعة الحلبي.

هنتس، فالتر. (1955). *المكاييل والأوزان الإسلامية*، ترجمة د. كامل العسلي. الجامعة الأردنية.

ابن واصل، محمَّد بن سالم بن نصرالله بن سالم ابن واصل، أبو عبد الله المازني التميمي ياقوت، جمال الدين. (1957م). *مفرج الكروب في أخبار بني أيوب*. تحقيق: جمال الدين الشيال وآخرون. (د. ط). القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية– الأميرية.

الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي المدني. (1997م). *فتوح الشام*. ط1. دار الكتب العلمية .

الواقدي، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي المدني.(1989م).*المغازي*. ط3. تحقيق: مارسدن جونس. بيروت: دار الأعلمي.

ابن الوردي، عمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس. (1996م). *التاريخ*. ط1 . بيروت: دار الكتب.

ابن الوردي، سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر بن الوردي، البكري القرشي، المعري ثم الحلبي، المنسوب خطأ: للقاضي زين الدين عمر بن الوردي البكري القرشي. (2008م). *خريدة العجائب وفريدة الغرائب*، تحقيق : أنور محمود زناتي . ط1. القاهرة : مكتبة الثقافة الإسلامية.

هارون، عبدالسلام. (1985م). *تهذيب سيرة ابن هشام*. ط 14. الكويت. مؤسسة الرسالة – دار البحوث العلمية.

ياقوت، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي. (1995م). معجم *البلدان*. ط2. بيروت: دار صادر.

أبو يوسف، يعقوب بن ابراهيم بن حبيب بن سعد الأنصاري. (د.ت). *الْخراج. تحقيق*: طه عبد الرؤوف سعد. (د. ط). القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث.

اليوزبكي، توفيق سلطان. (د. ت). *الثغور ودورها العسكري والحضاري*.(د. م).

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح الكاتب. (1892م). *البلدان*. ط1.

اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح الكاتب. *تاريخ اليعقوبي*.
http://dar.bibalex.org/webpages/mainpage.jsf?PID=DAF-Job:45